



انموذج لتمثال امنمحجت الثالث بمتحف فؤاد الأول الزراعي . والاصل  
في دار تحف القاهرة . والى هذا الملك يرجع الفضل في انشاء الجزء  
الاكبر من مشروعات الري العظمى بالفيوم  
تصوير الدكتور حسن كمال



# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد الرابع والثمانين

١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٢

١ مارس سنة ١٩٣٤

## من السدم النارية

الى الانسان العاقل

النظام الكوني ومكان الحياة والعقل فيه

اي نظام يسود هذا الكون الفسيح ؟ سؤال يعرض لنا عند ما نرفع بصرنا الى رحاب الفضاء في ليلة صافية الاديم، وعند ما نحدق في المكروسكروب فنرى تلك الكائنات الحية الدقيقة التي تستسر عن بصرنا ولكنها مع ذلك تملك من قوى الخير والضر ما لا يتصوره العقل ، وعند ما نشهد افعال الجسم الحي في الصحة والمرض وما تملكه الاعضاء من عجائب التكوين ومعجزات الاتساق والدفاع والتجدد ، في كل هذه الحالات نسأل ما هو النظام السائد في هذا الكون العظيم ؟

واذ تفكر في هذا السؤال ونتصور انفسنا واقفين على سطح هذا السيار — الارض — نعجب بالشمس وضوئها وحرارتها ، وبالسيارات نتأمل في اقدارها وابعادها وما يدور حولها من اقمار ، وبالنجوم وابعادها وعددها والرحاب الفسيحة بينها — نسأل : وما معنى كل ذلك ؟

كيف بدأ هذا النظام الكوني العجيب ؟ والى أين مصيره ؟ وما مقام الحياة فيه ؟ وما مستقبل العقل والذكاء وأثرهما في تسيير شؤونه او تصريف احواله ؟ هذه هي الاسئلة التي ما زالت الانسانية توجهها الى عباقرها من فجر الخليقة ، او من فجر العقل ، فلننظر الآن بصورة مجملة كيف يحجب عنها ابن السنة الرابعة والثلاثين من القرن العشرين

اننا نقسم الكائنات الى قسمين — عضوي ويشتمل على الكائنات الحية ، وجامد او غير عضوي



كالصخور والمعادن . واذا دققنا النظر في رحاب الكون وجدنا في الغالب ، على ما نستطيع ان نرى ونحقق ، عالماً او كوناً غير عضوي لاننا حتى الساعة لم نكشف عن دليل مباشر ، يثبت لنا ان في رحاب الفضاء او على سطوح اجرامه اثرٌ للحياة . أما على سطح الارض فالامر يختلف عما تقدم . ان يابستها واغوارها المائية حافلة بالاحياء ، صغيرها وكبيرها ، بسيطها ومعقدتها ، نباتها وحيوانها . وكل نوع منها بل كل ضرب ، يستطيع ان يتناسل بطريقة من طرق التناسل العجيبة وأحد هذه الانواع من الاحياء قد تطور في خلال عشرات القرون فأصبح ذا عقل وذكاء ، يجعلانه فذاً في الكون الرحب ، الى حد ما بلغه علمنا اليقيني . ونحن البشر اصحاب هذا العقل وبه نستطيع ان نرود رحاب الفضاء دهشين متسائلين : ما معنى كل هذا ؟

ويجب ان نذكر ، ان عقلنا هذا شيء جديد ، او صفة طارئة حديثة . فليس لاحد من الاحياء التي تعمر سطح الارض شيء من هذا ، بالمعنى الذي نقصده . ومع اننا نستطيع ان نمد الطرق ونبنى السكك الحديدية ونصنع الطيارات والتلسكوبات وآلات الراديو العجيبة ، يجب ان نفهم اننا ما زلنا في مستهل عصر العقل ، في الشوط الاول من مضماره . قد نظن انه تفدنا بعلمنا الى اعماق اسرار الطبيعة وأحطنا بظواهرها ، والواقع اننا ما زلنا من الطبيعة على شاطئ رحب وقد التقطنا من در حصبائه حجراً واحداً — وهو قول للفيلسوف العظيم اسحق نيوتن

اننا لا نعلم هل نحن صورة الحياة الفردية في هذا الكون الفسيح . ولا نعلم هل الارض بين الوف الوف الاجرام المنشورة في رحاب الفضاء هي المأوى الوحيد للعقل والذكاء . فنحن اشبه مانكون بفريق من الخطابين او الصيادين ، وقد دخلوا دغلاً ملتف الأشجار من الادغال في قلب افريقية ، وهم لا يدرون ، هل في الدغل غيرهم من الناس

مضت قرون ، والناس يسألون انفسهم هذه المسائل واشباهها . ففي عهد بطليموس ، سأل الناس ما مكانة الانسان في الكون . فأجاب بطليموس « انه من الكون في المركز . في الصميم » . ولكن غليليو ، من نحو ثلاثمائة سنة ، صرّح ، بأن جواب بطليموس لا يمكن ان يكون صحيحاً بل قال ، انه يظن ان الجواب يجب ان يكون كما يأتي : — « ان الانسان يعيش على احد السيارات الصغرى التي تدور حول شمس في المركز » . وانقضت مائتا سنة اثبت العلماء في خلاها ان قول غليليو ، لم يكن صواباً كله ، وان الشمس التي تدور حولها ارضنا ، ليست في مركز الكون كما كان يظن ، وقالوا ان هناك الوفاً وملايين من الشموس تدور حول كل منها سيارات ، وقد تكون هذه السيارات مأهولة كالارض . اما فلكي اليوم فيقول بلسان العالم البريطاني السر جيمز جينز : « كأني بالحياة نادرة في الكون ، لاننا لا نعرف نوعاً من الاجرام السماوية ، تجتمع فيه العوامل المؤاتية للحياة إلا السيارات التي كالسيارات الدائرة حول شمسنا ، وهذه السيارات نادرة »

مما تقدم نستطيع ان نتبين ، ان الاحياء العاقلة ، نادرة في الراجح ، في بحر خضم من الزمان



والمكان والطاقة . ونحن على الارض اذا اردنا ان نتكلم عن الحقب الطويلة قسناها بالقرون — القرن مائة عام — ولكن مقاييسنا البشرية صغيرة ضئيلة ، ازاء رحاب الكون الزمانية . لذلك اذا فكرنا في نظام الكون وامتداده الزمني وجب ان نعلم الى ملايين القرون . فقد مضى مثلاً على ارضنا نحو عشرين مليون قرن (٢٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة) وهي تدور حول الشمس . والادلة الجيولوجية المنتزعة من الصخور المشعة تؤيد هذا التقدير . وقد مضى على الانسان رأس الخلائق على الارض نحو خمسة آلاف قرن (٥٠٠٠٠ سنة) وهو حيوان منتصب القامة . ثم ان الادلة تدل على ان الكائن الحي الذي تطور الى الانسان ، انتقل من طور القرود من نحو خمسمائة الف قرن (٥٠٠٠٠٠٠ سنة) فانقضى عليه قرن يليه قرن ، اضطر فيه بحكم الحاجة الى الغذاء والدفاع عن النفس ان يربي ملكات العقل وعلى ذلك يكون قد انقضى على الانسان نحو ٤٩٧٠ قرن بعد ما انتصبت قامتة (٤٩٧٠٠٠ سنة) قبل ان اصبح عقله ، قادراً ان يدرك انه ساج في خضم الفضاء ، على سيار يدور حول شمس . لان هذا الادراك لم يأت إلا من نحو ثلاثين قرناً اي ثلاثة آلاف سنة

اما كولمبوس فلم يكتشف اميركا إلا من ٤٤٢ سنة ، بعد ان عانى ما عانى في اقناع ابنائه جيله بان الارض كروية . ومن نحو ٣٠٠ سنة فقط سجن غليليو لانه ذهب الى ان الارض ليست مركز الكون . وكذلك يتبين لنا ، ان العقل او الذكاء شيء جديد ، في التكوين البشري وهذه الارض ، التي نوجدنا عليها ، ونحن نستيقظ استيقاظنا العقلي الذي يبعثنا على توجيه المسائل ومحاولة الاجابة عنها — هذه الارض ترافق امها الشمس في رحلة في خلال الفضاء ، نكاد لانعلم عنها الاقل من القليل . الى اين نحن ذاهبون ؟ ولماذا ؟ سؤالان يبعثان في النفس الدهشة والعجب . وأما الشمس نجم متوسط بين النجوم . فليس فيها شيء غير عادي ، اذا قيست بالثلاثين الف مليون من النجوم التي تتكون مجرتنا منها . وكوننا ابناء سيار ، من تسعة سيارات تدور حول شمس هي واحدة من ثلاثين الف مليون شمس ، يحملنا على التفكير في هل مقامنا في الكون حيث نطنه نحن خطراً وجلال شأن ؟

ومع ذلك فالجزة ليست كل الكون . ذلك انه لما استطاع علماءنا ، ان يستنبطوا وسائل جديدة فعالة لريادة الفضاء ، اكتشفوا وراء المجرة مجرات اخرى ، كل مجرة منها اشبه شيء بمجرة كبيرة ، في خضم من الفراغ ، او ما يكاد يكون فراغاً ، لذلك دعيت هذه الاجسام الكونية الضخمة بالمجرات الخارجية ( اي خارج مجرتنا ) او بالعوالم الجزرية ( نسبة الى جزيرة ) . كنا الى ان اكتشف هذا الاكتشاف ، نظن ان المجرة هي كل الكون . واذ نحن مشغولون في التفكير بخطور هذا الاكتشاف جاءت الانباء بأن هذه العوالم الجزرية قد صورت بالفتوغراف . فالى اين تمتد ؟ او اين تتهي ؟ ان اكبر التلسكوبات ، المستعملة الآن ، هو تلسكوب مرصد جبل ولسن ، وقطر مرآته العاكسة ١٠٠ بوصة او نحو ثمانى اقدام وثلاث قدم انكليزية . وقد ثبت من طرق تصوير الاكوان



الجزرية التي خارج المجرة بهذا التلسكوب ، ان عددها قد يبلغ الملايين ، وكل منها من طراز مجرتنا وقد لا تقل نجومها عن بضعة آلاف مليون من النجوم . بل يظن او يقدر انه اذا تم بناء التلسكوب الكبير ، الذي شرع في بنائه الآن ، وقطر مرآته العاكسة ١٦ قدماً وثلاثاً قدم او مائتا بوصة ، استطعنا ان نجد في الفضاء الذي يستكشفه هذا التلسكوب نحو ١٦ مليون مجرة من هذه المجرات . فالى اي مدى في اعماق الكون ، تمتد المجرات ؟ هذا ما يعنى بدرسه اينشتين ، وغيره من فطاحل العلماء ونحن قد بدأنا ندرك معنى هذا الآن . اننا في الكون نشغل مكاناً لا يؤبه له . فالارض ازاء هذه الاجرام التي لا تحصى ، ولا تعد انواعها واشكالها ، كذرة من الغبار . ونحن الاحياء - الاجسام العضوية - نسكن كوناً لا يأبه للحياة ، او كأنه لا يأبه لها ، فكأننا نفاية من نفايات الكون . فاذا كانت الوداعة مما يهذب الخلق فيجب ان نكون في الذروة من سمو الخلق ، بفعل الوداعة والضعفة اللتين نحس بهما اذ نقلب الطرف ، في هذا الكون ونرى ان نحن فيه

\*\*\*

كيف نشأت ارضنا أولاً ؟ هذا سؤال مهم ، وقد انفق العلماء في الاجابة عنه وقتاً طويلاً وجهداً عظيماً وجاؤا بنظريات متنوعة . ان الادلة المتجمعة الآن عند البعثات تدل على ان الارض وسائر السيارات انطلقت من مادة الشمس في شكل ذراع غازية ، عند ما اقتربت منها في العصور الخوالي ، شمس اخرى فجذبتها اليها فانجذب من كتلة الشمس الغازية ، مقدار من المادة اتخذ شكل ذراع ، مستدقة الطرفين متضخمة في الوسط ، كأنها « سيجار هافانا » . ثم ان هذه المادة التي انطلقت بهذا الشكل ، جرت على احكام الطبيعة ، فتلاصقت دقائقها وانفصلت الى كتل ، كل منها اتخذ شكلاً كروياً ، وكذلك نشأت السيارات حول الشمس ، وهي تسعة اقربها عطارد وأبعدها بلوطو المكتشف حديثاً ولا نعلم هل وراءه سيار آخر وانما نعلم ان بينهما عطارد فالزهرة فالارض فالمرخ فالشتري فزحل فاورانوس فنبتون

عرف عطارد في العصور القديمة وهو اصغر من الارض ، والراجح انه متجه دائماً بأحد وجهيه الى الشمس مشيح عنها بالوجه الآخر ، فهو على أحد وجهيه شديد الحرارة حتى ليصهر الرصاص على سطحه ، وعلى الوجه الآخر شديد البرد . فالحياة على السطح الشديد الحرارة او على السطح الشديد البرد ، متعذرة ، اي الحياة كما نعرفها نحن . وقد توجد الحياة على سطحه ، في المنطقة المتوسطة بين الوجهين ، حيث لا الحرارة شديدة لا تطاق ولا البرد شديد لا يختمل ، ولكن ليس عند العلماء الآن اقل دليل على ان هذا واقع

ويلى عطارد الزهرة ، وهي كوكب المساء احياناً وكوكب الصباح احياناً اخرى ، وتماثل الارض حجماً بوجه التقريب ، نهارها اسابيع وليلها اسابيع ، ونحن لا نعلم هل على سطحها احياء ، لاننا لا نرى من سطحها الا الغيوم التي تغطيها . اما ارضنا فالحرارة تتباين على سطحها الا عند القطبين



وفي جوارهما ، من ١٢٥ بميزان فارنهایت ( ١٢٦ ٠ درجة مئوية ) الى ٤٠ بميزان فارنهایت ( وهي قريبة من درجة الصفر بميزان سفتغراد المئوي ) ثم ان للارض جوًّا ، تنفسه وتنفس فيه ، وعلى سطحها ماء كثير لا ينفد لا بد منه للحياة . في هذه الاحوال الطبيعية ، والمؤاتية نشأت الحياة وترعرعت وتطورت والراجع اننا لا نجد لها - اي هذه الاحوال - مجتمعة على سطح سيار آخر هل المريح مأهول ؟

المريح سيار يلي الارض في بعده عن الشمس وهو اصغر منها ولكن يومه قريب من يومها في الطول ، اذ يومه ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة بمقاييسنا الارضية ، ولكن متوسط حرارته اقل من متوسط حرارتها لانه ابعد منها عن الشمس فحرارته عند خط استوائه ، ترتفع الى ما متوسطه ٥٠ درجة بميزان فارنهایت او ١٠ درجات مئوية ( سفتغراد ) وتهبط في الليل الى ما دون درجة الجمد ، وفي هوائه بقية رطوبة ، فالحياة كما نعرف خصائصها مستطاعة على سطحه . فاذا كان على سطحه نباتات كما قال الاستاذ لول ، فيمكن اقامة الحجة ، بان على سطحه حيواناً كذلك

وكان الاستاذ لول يذهب الى ان الخطوط المستقيمة التي تظهر على سطحه ، ليست من صنع الطبيعة اعتباطاً بل من صنع احياء عاقلين ، ولكن بعض العلماء يظنون ان هذه الخطوط المستقيمة التي قال بها لول وغيره ، انما هي من الاوهام البصرية وقد عجز علماء الفلك عن تصويرها مباشرة حتى الآن ، ولكن عجزهم لا يمكن ان يؤخذ دليلاً على انتفاء وجودها لقصور التصوير الفتوغرافي من نواح متعددة . وكان لول محتملاً رأيه على ان هذه الخطوط تمثل اقنية ، او ترعاً صنعت للري ، وان النبات الذي ينمو في مساحة عرضها نحو عشرين ميلاً على ضفتي كل قناة ، جعل رؤية الاقنية - كما يدعي - ممكناً . وهذا كل ما لدينا من الادلة على وجود الاحياء على سطح المريح

ويلي المريح في البعد عن الشمس طائفة من الاجرام الصغيرة تعرف بالنجيمات كبرها نجيمة تدعى ( سيريس ) قطرها ٤٨٠ ميلاً فقط وهي اي النجيمات على ما يظن نثار سيار كبير قد تهشم وراء النجيمات تجد اكبر السيارات ونعني المشتري وقطره اكبر من قطر الارض ١١ مرة وكتلته تفوق كتلتها ١٤٠٠ مرة اي اذا اخذنا ١٤٠٠ جسم كالارض ودمجناها معاً تولد منها جسم حجمه حجم المشتري او اقل قليلاً غير ان كثافة جسم المشتري اكثر قليلاً من كثافة الماء ، ودورانه على محوره يقتضي ١٢ سنة بمقاييسنا الارضية . اما حرارته على ما يرى من سطحه فتبلغ نحو ١٥٠ درجة تحت درجة الجمد ، فاذا كان على سطحه احياء عاقلة فيجب ان يكون تكوينها غير تكوين الاحياء العاقلة على الارض ، لان هذه لا تطيق حرارة باردة كالحرارة التي على سطحه . اما ما يعرف عن الاحوال على سطح المشتري غير ما ذكرنا فيسير جداً لان الغيوم تحجبه

ويلي المشتري السيار زحل وهو فذ بين السيارات لان له حلقات تحيط به . وكثافته اقل من كثافة الماء ، ومدة دورانه حول محوره ٢٩ سنة ونصف سنة . ثم له علاوة على الحلقات التي



تحيط به تسعة اقمار . والمظنون ان الحلقات مكونة من اجسام صغيرة كالخصى وحبيبات الرمل . أما ما نعرفه عن الاحوال على سطحه فيسير لان سطحه لا يرى من خلال الغيوم التي تحجبه . والراجح ان الحرارة على سطحه اذا كان له سطح منفصل عن الغيوم التي تحيط به ، فنحو ١٨٥ درجة تحت درجة الجمد لشدة بعده عن الشمس ، والحياة على سطحه كما نعرفها على سطح الارض متعذرة كل التعذر . ثم يجيء السيار اورانوس وراء زحل وهو يفوق الارض اربعة اضعاف حجماً ، وكثافته اقل من كثافة الماء حتى ليظن انه غازي وسنثته ( اي دورانه على محوره ) ٣٤ سنة من سني الارض ، ولما كان ابعد من زحل عن الشمس خوارته في الراجح اقل من حرارتها . والحياة على سطحه مستحيلة

وبلي ذلك السياران نبتون وبلوطو المكتشف حديثاً ( من نحو اربع سنوات ) وحرارة الاولى نحو ٢٤٠ درجة تحت درجة الجمد ، اما حرارة الثاني فأقل منه او اوطأ من ذلك والحياة لا يمكن تصوورها في مثل هذا البرد الشديد

\*\*\*

هؤلاء هم ابناء الاسرة الشمسية ، وهي اقرب الشمس اليها في الفضاء . ومما تقدم نتبين ان الحياة كما نعرفها ونتصور خصائصها ، لا يمكن ان توجد الا في منطقة ضيقة من الاسرة الشمسية نعي الارض ، وقد يجاريها في ذلك المريخ . فالسيارات القريبة من الشمس شديدة الحرارة ، والسيارات البعيدة شديدة البرودة ، والحياة لا تطيق الحرارة الشديدة ولا البرودة الشديدة

\*\*\*

هل نستطيع التخاطب مع سكان الاجرام اذا كان ثمة سكان عاقلون ؟ لا ريب ان الوسيلة الوحيدة التي نستطيع ان نستعملها للتخاطب ، اذا كان ثمة من يتلقى رسائلنا ، هي امواج الراديو . فاذا كان بين الواف الالوف من النجوم ، نجم او اكثر له اسرة من السيارات كأسرة الشمس ، وكان على بعض هذه السيارات احياء عاقلون كالاحياء على سطح الارض ، لتوافر الاحوال المواتية للحياة من دقء ورطوبة وغيرها ، فمن المعقول ان ننظر اكتشاف هؤلاء الاحياء يوماً ما — وان كان الاحتمال بعيداً — بواسطة التخاطب اللاسلكي ؟ واذا اكتشفنا هؤلاء الاحياء او هم اكتشفونا ، فكيف نتخاطب وبأية لغة نتفاهم ؟ ان ذلك اليوم اذا جاء كسف جميع ايام التاريخ المشهودة !

وثمة ثلاثة اعتبارات يجب ان لا تعزب عن البال اذ ننظر في هذا الموضوع . اذا كان الجرم الذي نحاول الاتصال به كالمريخ جارنا ، يجب ان نذكر ان اشاراتنا اللاسلكية قد تصل اليه في نحو دقيقتين من الزمان ، لان الامواج اللاسلكية تجتاز الفضاء بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية ، وهي سرعة الضوء . فالمريخ من وجهة النظر الفلكية قريب منا كل القرب . ولكن اذا كان ذلك الكائن الذي



نخاطبُه قاطناً سياراً يدور حول نجم في عنقود هرقل Hercules Cluster لا بدّ ان يمضي على الاشارات اللاسلكية ٤٠ الف سنة قبلما تصل اليه . ثم ان الاشارة التي يرُدُّ بها علينا من هناك تستغرق كذلك ٤٠ الف سنة قبل ان تصل الينا — فالرسالة اللاسلكية تستغرق ٨٠ الف سنة ذهاباً واياباً ! وهذا زمن طويل اذا قيس بطول حياة الانسان التي تحصى بالسنتين او بالسبعين . وقد اردنا ان نذكر ما تقدم لنبيين شيئاً من معنى المسافات الشاسعة التي تفصل بين الاجرام السماوية والمسلم به بين العلماء ان الحدث السموي ، الذي اسفر عن تكوُّن اسرة الشمس وقع من نحو النى مليون سنة الى اربعة آلاف مليون سنة . فانقضت مئات الملايين من السنين قبلما اجتمعت الاحوال المؤاتية لظهور الحياة على الارض من نحو ١٥٠٠ مليون سنة . ولعل الكتلة الحية الاولى ، كانت خلية من البروتوبلازما

هل ظهرت اولاً على الارض ، او في رحاب الفضاء ، ثم جاءت الارض بطريقة من الطرق على جناحي نيزك هابط من الفضاء ؟ يذهب بعضهم الى أنها ظهرت أولاً نتيجة لتفاعل بعض المواد الكيميائية في بعض الاغوار المائية . وقد حاول العلماء في كل انحاء الارض وبمختلف الوسائل ، ان يحدثوا هذا التفاعل الكيميائي ليخلقوا الحياة فعمجزوا وبأوا بالخيبة . اما اذا كانت الحياة جاءت الارض اولاً محمولة على مادة من مواد الفضاء التي تسقط على سطح الارض كل يوم ، فهي اذن موجودة في اماكن اخرى في رحاب الكون . ولا تنسين ان بعض الاشكال الحية كالزور تستطيع ان تتحمل درجات عالية من البرد من دون ان تفق قوة الانعاش اذا احيطت بأحوال مؤاتية من الحرارة والرطوبة

\*\*\*

ولكن سواء اظهرت الحياة على الارض ، أم أتت من الفضاء فالاجح ان الخلية الحية الاولى ظهرت على الارض من نحو ١٥٠٠ مليون سنة . نعم اننا نختلف في اصلها . ولكنها ظهرت على كل حال ونحن — انا الكاتب وانت القارئ — الدليل المحسوس على ظهورها وتطورها . واذن تكون هذه الخلية قد استغرقت ١٤٩٩ ٥٠٠ ٠٠٠ سنة قبلما بلغت في تطورها وتحولها الشكل المعروف بالشكل الانساني . اي ان الانسان ظهر على الارض من نحو ٥٠٠ الف سنة . وهذا حديث اذا قيس بتاريخ ظهور الحياة نفسها . والادلة تدل على انه نشأ من حيوان شبيه بالقرد فأصبح منتصب القامة في بلاد مستوية تقل فيها الاشجار حيث كان يحتاج الى الاعتماد على سرعته وذكائه في الفرار من اعدائه وفي الحصول على غذائه

لما نزل هذا الكائن من الاشجار كان خشن المنظر والملمس . ولكن تطوره في خلال ٤٩٧٠٠٠ سنة انشأ منه الانسان الذي نشهده في فجر التاريخ المدوّن . ومن نحو ثلاثة آلاف سنة ، بلغ الانسان في تطوره العقلي مرتبة ظن فيها ، ان الارض تدور حول الشمس ( هبارخس ) ولكن انقضى عليه



بعد ذلك ٢٧٠٠ سنة قبلما تمكن من ان يصنع تلسكوباً ( غليليو من نحو ٣٠٠ سنة ) ثم انقضت ٢٩٨ سنة قبلما تمكن من ان يعرف ان للشمس سياراً تاسعاً يدور حولها ( بلوطو الذي اكتشف سنة ١٩٣٠ )

وكذلك تبين لنا ، اننا نحن أسياد الارض ، بمدتنا العظيمة وسككنا الحديدية وطياراتنا وآلاتنا اللاسلكية وغيرها من مآتي حضاراتنا المادية والمعنوية نكاد نكون حديثي الانفلات من قيود الحيوانية . فاذا كان الانسان الاول نزل من الاشجار ، واتخذ القامة المنتصبية من نحو ٥٠٠ الف سنة ، فالجزء من ذلك الزمن الذي احرز فيه تلسكوبات وشوكاً وسكاكين ومعرفة يقينية عن بعض الاشياء ، لا يزيد على ستة اجزاء من مائة جزء من واحد في المائة — اي نحو ٣٠٠ سنة من ٥٠٠,٠٠٠ سنة !

فالانسان انما هو الآن في فجر يقظته العقلية بل هو على عتبة عصر العقل . وهذا هو التعليل الذي نستطيع ان نفسر به قلة معرفتنا عن وجود الحياة ، في انحاء الكون ورحابه . ولا ريب في ان من يخلفنا على هذه الارض بعد قرون ، سوف ينظر الينا نظراً الآن الى طفل يتسكع قبل ان يمشي او الى رجل يتلمس في الظلام طريقه قبل انبثاق الفجر

\*\*\*

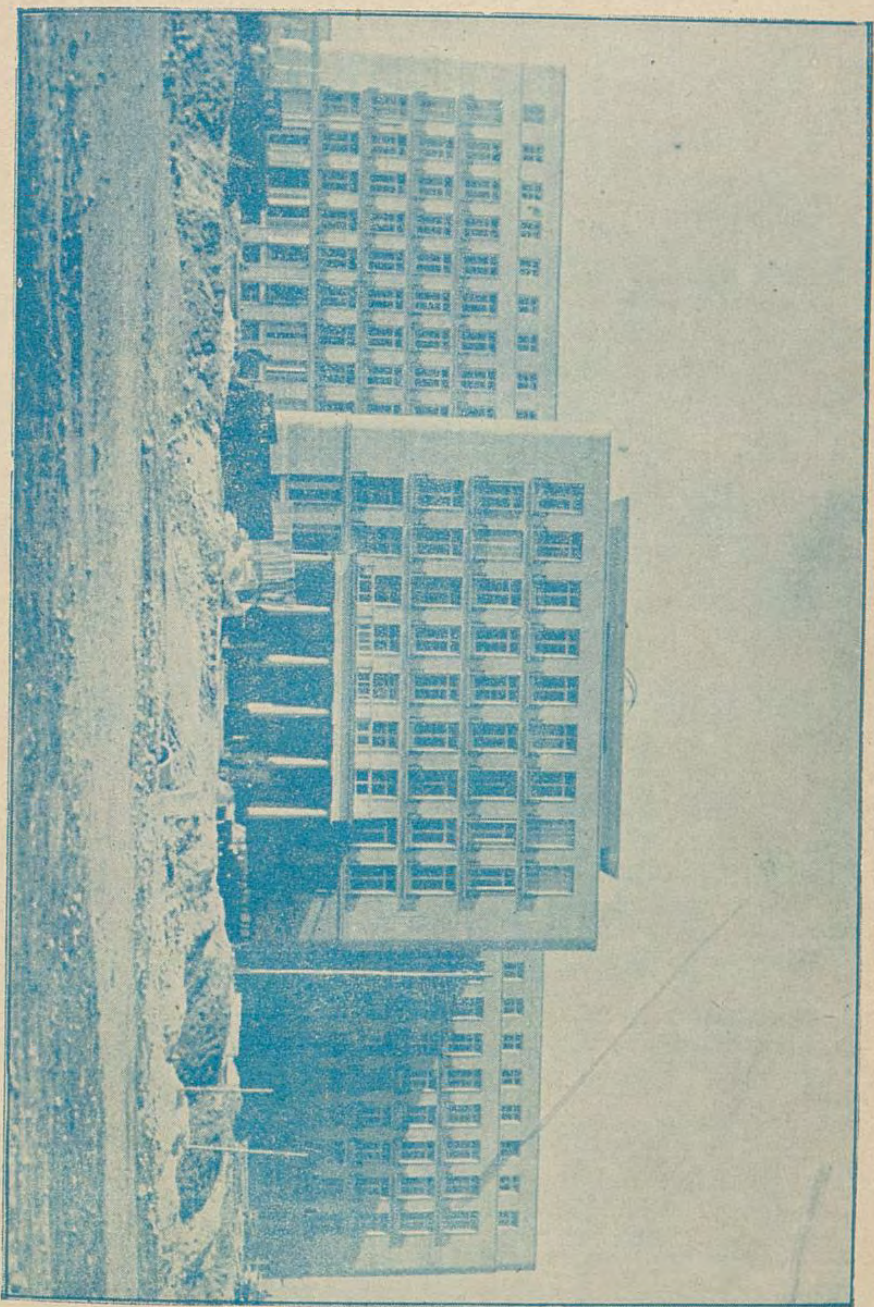
ما هو مستقبل الحياة على الارض ؟

هذا المستقبل مرتبط بمستقبل الشمس ومصيرها . ولا بدّ لبقاء الحياة على الارض ، من ان تواصلها الشمس بالحرارة المواتية للحياة ، وهي تتراوح بين ٥٥ — ٦٠ درجة مئوية حرارة ، ونحو ٦٠ درجة تحت الجمد برودة . ولكن اذا نحن نظرننا حولنا ، ورأينا درجات الحرارة تبلغ الملايين من الدرجات المئوية ودرجات البرودة تهبط عن درجة الجمد ، مئات من الدرجات كذلك ، نيقنا ان الشقة من درجات الحرارة والبرودة التي تؤاتي الحياة انما هي يسيرة جداً

ولكن الحرارة على الارض لم تتقلب تقلباً عظيماً في خلال ملايين من السنين ، والراجع انها لا تتقلب تقلباً عظيماً كذلك في ملايين آتية من السنين ، رغم ما تفقده من كتلتها بالاشعاع . فالشمس تفقد كل يوم ٣٦٠ الف مليون طن من كتلتها بالاشعاع ، ومع ذلك فانها اليوم لا تختلف اختلافاً نسبياً كبيراً عما كانت عليه من نحو ٢٠٠٠ مليون سنة لما تولدت السيارات . بيد انها كانت من نحو خمسة ملايين مليون سنة ، ضعف ما هي الآن وأشد حرارة وألمع ضوءاً

والامر الذي لا ريب فيه ان الشمس سائرة الى الفناء ، بما تفقده من كتلتها وحرارتها وقوة جذبها . فالمنتظر ان تبعد الارض رويداً رويداً عن الشمس كلما قلت قوة جذبها ، بفقد ما تفقده من جرمها ، وعندئذ تأخذ الحرارة على سطح الارض في الهبوط حتى يشتد البرد وتتعذر الحياة ولكن ذلك لا يمكن ان يتم قبل انقضاء الف الف مليون من السنين





امام صفحة ٢٩٦

آخر صورة للمستشفى اخذت يوم ١٣ فبراير سنة ١٩٣٤

مقتطف مارس ١٩٣٤



# مستشفى المؤاساة

معهد قومي انساني<sup>(١)</sup>

قد تستغرب اجتماع القومية والانسانية في معهد واحد . ولكن اذا شئت ان ترى هاتين الزعتين ممثلتين في قالب خالص من الفن والعلم والخدمة العامة فعليك زيارة مستشفى المؤاساة في الاسكندرية . بل اذا شئت ان ترضي ما يحول في صدرك من عزة قومية ، ورحمة وحنان ، فابذل في سبيل مستشفى المؤاساة ما تستطيع . فهو معهد صحي مصري ، يفاخر به في اي بلاد من بلدان الله . وهو منشأة قومية يصح ان تكون مدرسة ومثلاً للمنشآت القومية النافعة في الشرق ، القائمة على الرحمة والايثار والتعاون

كانت جمعية المؤاساة الاسلامية ، تعنى بجمع المال من المحسنين لتوزعه على الفقراء والمساكين فرأت بعد ممارسة هذا الغرض الشريف بضع سنين ان تنشئ مستشفى يكون ملاذاً وموئلاً للعرضى البائسين وعملاً قومياً ينهض امام مستشفيات الجاليات الاوربية دليلاً على تنبئه الامة المصرية الى الطالب الانسانية العليا وسخائها في سبيل تحقيقها ، ومثالاً للمشروعات العظيمة التي تقوم بها الجماعات الخيرية الاهلية . وقد احسنت الجمعية ، في قرارها ان لا يقتصر المستشفى على المصريين بل يرحب « بمعالجة من يدخل فيه من الاجانب على اختلاف اجناسهم ودياناتهم اذ ان الانسانية لا تعرف الفوارق ولا تميز بينها » - تقرير ١٩٣١ صفحة ٦ - فندب الدكتور احمد النقيب الجراح الاسكندري للذهاب الى اوربا وزيارة المستشفيات لاختيار اصح نموذج منها يصلح لمدينة مصرية كبيرة كالاسكندرية فزار انكلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وعاد بتقرير فني مسهب اقرت الجمعية مبادئه وافدمت على تحقيق غرضها ، وهي لا تملك الا الايمان بالله والاخلاص للوطن وللانسانية ، والثقة بأن جلالة ملك البلاد وحكومته والشعب المصري والجاليات الاجنبية تؤيدها في هذا العمل النبيل

\*\*\*

رى الانكليز ان بناء المستشفيات ، يقتضي السخاء في الانفاق عليها ، فاذا كان المال المرصود لبناء مستشفى ما قليلاً يحتم عمل حساب لكل نفقة كبيرة وصغيرة ، نخير في نظرهم ان لا ينفق

(١) يشكر كاتب هذه السطور لصاحب العزة محمد فهمي عبد الحميد بك رئيس جمعية المؤاساة وسعيد جميعي افندي سكرتير الجمعية ان اتاحا له زيارة المستشفى وبخص بالشكر الدكتور احمد النقيب الذي رافقه في هذه الزيارة يومين متواليين باسطاً له كل ما جل ودق من شؤون المستشفى الهندسية والصحية



ذلك المال في بناء مستشفى . وذلك لان الاساس عندهم في بناء المستشفيات ، الهبات المالية الكبيرة والرءاء في اختيار المعدات ومواد البناء والاثاث . قيل ان احد الاغنياء الانكليز وهب مستشفى مدلسكس ثلاثمائة الف جنيه ، لبناء جناح خاص بالمرضات ، ورأيه في ذلك ان عمل الممرضة من اشق الاعمال وأدقها ، فاذا لم تكن مرحلة النفس ، هادئة الاعصاب لم تستطع ان تقوم بعملها ، على خير وجه . واشترط ذلك الواهب ، ان يكون لسكنى ممرضة حجرة خاصة للنوم وأخرى للاستقبال ، وان يحق لها ان تستقبل من تشاء في حجرتها الخاصة . فسلمت ادارة المستشفى بكل الشروط والأشروط الاخير ، واقرحت ان تمنح الممرضة حق استقبال من تشاء في بهو عام خاص بالاستقبال ، وقالت للواهب انه اذا رفض تعديل هذه الشروط اضطرت الى رفض الهبة . فقبل

والخلاصة ان الانكليز يحسبون ان نفقات بناء المستشفى تكون بوجه عام بواقع ١٥٠٠ جنيه للسري الواحد . اي ان انشاء مستشفى فيه ٥٠٠ سرير يكلف نحو ٧٥٠ الف جنيه . غير ان الالمان وجّهوا عنايتهم بعد الحرب ، الى بناء مستشفيات تجمع مزايا المستشفيات الانكليزية ، ولكن لا تقتضي مثل نفقاتها . فبنوا مستشفى مارتن لوثر في برلين ، فبلغت نفقاته بواقع ٣٥٠ جنياً فقط للسري الواحد . وهو آخر ما بلغه فن بناء المستشفيات الحديثة ، من الاتقان وتوافر الشروط التي يقتضيها العلم والفن وقلة النفقة . وعلى مثاله بني مستشفى المؤاساة في الاسكندرية . بل ان مهندس مستشفى مارتن لوثر نفسه — ارست كوپ — هو الذي وضع تصميم مستشفى المؤاساة وأشرف على بنائه كان الرأي من قبل متجهاً الى جعل المستشفيات مباني متفرقة كل بناء خاص بمرض من الامراض ، او بطائفة متلازمة منها ، وذلك لكي يتوافر للمريض في البناء الصغير ، ما لا يتوافر له عادة في البناء الكبير ، من نور الشمس والهواء الطلق . ولكن تقدم علوم الطب الحديث ، وأساليب المعالجة ، جعل حتماً ارتباط المباني بعضها ببعض ، اذ من المحتّم على المريض الواحد ، في غالب الاحيان ان ينقل الى جهاز العلاج بالاشعة ، لتصوير عضو من اعضائه بالاشعة السينية ، او لتعريضه للاشعة التي فوق البنفسجية ، او لتحليل دمه او بوله ، او فحصه بالآلات خاصة ثابتة لا يمكن تنقلها . ومن الاسراف الذي لا مسوغ له ، ان يكون في كل بناء من مباني المستشفى المتفرق ، جميع هذه الادوات ، والخبراء الذين يستعملونها . لذلك نشأت فكرة انشاء المستشفى الحديث في بناء واحد ، تكون اجزائه المختلفة ، كالأعضاء في الجسم مترابطة منتظمة في وحدة شاملة وعهدوا الى المهندسين ، في تحقيق هذه الغاية بلا تفريط في ما يحتاج اليه المريض من النور والهواء والراحة . فكان مستشفى مارتن لوثر في برلين ، ومستشفى المؤاساة في الاسكندرية ، مثالا لهذا الاتجاه الجديد . ومما يدل على خطورة هذا الاتجاه ، ان مستشفى « غراش بلاش » في ليون — وهو من اكبر المستشفيات في فرنسا وقد بلغت نفقاته نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات — كان قد بدى انشاؤه قبل الحرب على اساس اجنحة متفرقة ، وفقاً للرأي القديم ، فلما بدت لمجلس



ادارته ، مزايا البناء الواحد كما اوجزناها ، وعز عليهم هدم مبانيه جميعاً ، وحدوا بينها ، بانفاق وامراب تحت الارض حتى ليستطاع ، نقل المريض في سريره ، بالمصعد آناً ودرجاً في الانفاق آونة ، من بناء الى آخر ، وفقاً لما تقتضيه اساليب العلاج الحديث

\*\*\*

يقوم مستشفى المؤاساة على اكمة ، ترتفع نحو ١٨ متراً عن سطح البحر في بقعة تطل على بطيحة الجدران وهي من اجل بقاع الاسكندرية واصلاحها لاقامة المستشفيات حيث الفضاء متسع والهواء نقي والراحة موقورة لبُعد البناء عن ضوضاء المدينة وجلبة شوارعها يطالعك الصرح ، على كتف الاكمة فيروعك ما يتجلى في خطوطه من البساطة والجلال . طوله مائة وعشرة امتار ، وعرضه ٥٤ متراً ومساحة الارض المبنية ٣٠٠٠ متر مربع ، ومساحة حرمة ٣٠٠٠٠ متر مربع وينتظر ان يحوّل الى حديقة غناء . فاذا اقتربت منه استقبلك مدخل نفخ معمد ، وابواب ثلاثة علو الباب منها ستة امتار مصاريحها من الحديد والبرونز المخرم ، كأنها قطع من الدنثلا في دقة صنعها ، تدخل بها الى بهو ، فترى في الجدار الجنوبي الذي يقابلك عند الدخول مكاناً ينتظر ان يزین بصورة زيتية لجلالة الملك وحواليها على الجدران الثلاثة اماكن لصور اخرى شخصية ورمزية ، منها صور امنحوتب وابن سينا وكلوت بك . والى يمين هذا البهو ردهة ضخمة خاصة باستقبال جلالة الملك وتقابلها ردهة لاجتماع مجلس الادارة

والبناء ثمانية ادوار ، احدها تحت الارض وآخر على سطحها وستة فوقها . اما الدور الارضي ، فدوران في الواقع وفيهما الآلات والماكنات اللازمة لتوليد البخار ، وانابيب المجاري والاسلاك وما الى ذلك . ومما يدلك على عناية المهندس العظيمة ، جعله المجاري والانابيب مكشوفة بدلاً من ان تكون مطمورة في الارض لكي تسهل مراقبتها والسيطرة عليها اذا وقع خلل فيها . وبوزع البخار بانابيب ومواسير على المطابخ والمغاسل او على رجل ماء كبير يموت المستشفى بما يحتاج اليه من الماء الساخن لتدفئة الغرف وللاستعمال في مرافق المستشفى العامة . وفي هذين الدورين كذلك ماكنات التبريد ، وهي لازمة للمستشفى لتبريد الثلجات في المطابخ ، والغرف الخاصة بحفظ الجثث اذا لزم حفظها ، ولتبريد غرف المرضى متى اقتضى الجو او العلاج ذلك . وماكنات التبريد تصنع ثلجاً قد لا يحتاج المستشفى الا الى قدر يسير منه ، ولكن ادارته اتفقت مع بعض الشركات على شرائه منها ، وسوف يكون بيعه مصدر ايراد لا بأس به لادارة المستشفى

وفي المستشفى مولدان ( دينامو ) للكهربائية احدهما قوته ١٦٠ حصاناً والآخر ١٠٠ حصاناً فاذا تعطل الواحد استعمل الآخر ، واذا تعطل الاثنان — وهو مستبعد — استطاع المستشفى ان يستمد القوة الكهربائية من شركة لبون او شركة سكة حديد الرمل . ولما كانت لجنة المستشفى تفتي عناية خاصة في اقتصاد كل ما يمكن اقتصاده من نفقات العمل ، ابتاعت مكشفات وبطاريات



خازنة للكهربائية ، حتى اذا كان التيار التجاري رخيصاً ، أخذ وخزن واستعمل حين الحاجة اليه  
وفي هذين الدورين كذلك آلة تجذب الهواء من الجو الطلق فوق المستشفى وتنقيه بمصفاة من  
الزيت وتصفيه من الغبار والرطوبة ، ثم تمنحه القدر المطلوب من الرطوبة والدرجة المعينة من  
الحرارة او البرودة التي يحتاج اليها المرضى ، وتدفعه في انابيب خاصة بذلك الى الغرف  
ولما كان نقل المريض بسريره من حجرته الخاصة الى حيث يعالج او يفحص ، من ضرورات  
المستشفيات الحديثة ، كان كل باب من ابواب المستشفى على الاطلاق يتسع لكل سرير في المستشفى .  
فبدلاً من ان يرفع المريض على نقالة ويسار به الى حيث يقتضي العلاج ، يدرج سريره من غرفه  
الى الممر او الى المصعد (الاسناسور) فيؤخذ الى غرف العلاج ، او يهبط به الى الدور الارضي  
فينقل بسريره الى الحديقة ، او يصعد به الى السطح للمعالجة باشعة الشمس الطبيعية . ولكي تستتب  
للمريض جميع وسائل الراحة ، لا تترك غرفة من غرف المرضى ولها نافذة تطل على ممرات المستشفى ،  
بل لكل منها باب كبير وشرفة تطل على الشمال الغربي او الشرق الشمالي . ومبالغة في الحرص على  
راحة المريض ، جعل كل باب يطل على الممرات في حجر المرضى ، مزدوجاً وبين المصراعين نحو نصف  
متر من الفراغ فتم للمريض الراحة التامة من الجلبة او الانين . اما الهواء فيدخل من ثقوب في أعلى  
جدار الغرفة ، ويفتح القسم الاعلى من باب الشرفة ، بطريقة تسهل التهوية ، من دون ان يحدث  
تيار من الهواء ، قد يصاب المريض منه بقشعريرة . بل اذا ضغط المريض على زر ، لا يقرع جرساً ،  
ولكنه ينير نوراً فتهب اليه الممرضة . ومن غريب ما رأيناه في هذا الباب في مستشفى المؤساسة ان  
في غرفة الممرضة مصباحاً ينبهها بنورم الى ان مريضاً يدعوها ، فتهب الى نجده . وعند دخولها  
تضغط زرّاً خاصاً بين بابي الغرفة فاذا دعاها مريض آخر وهي تعنى بالاول ، لم ينر المصباح في  
غرفتها ، بل في غرفة المريض الذي تعالجه ، فتعرف ان مريضاً آخر يدعوها . وأعجب من ذلك ، ان  
في غرفة القهرمانه لوحة تدون من تلقاء نفسها ، دعوة كل مريض ووقتها ، وتلمية كل ممرضة ووقتها ،  
فتستطيع ان تعلم في لحظة واحدة ، وبطريقة لا تقبل الخطأ ، المتوانية من الممرضات في القيام بما عليها  
اسرة المرضى في المستشفى ٤٥٠ سريراً ، ٤٥ منها للدرجة الاولى و ٩٠ للدرجة الثانية و ٣١٥  
للدرجة الثالثة ، وهذه الاخيرة مجانية جميعاً . واذا اقتضت الضرورة امكن زيادة الاسرة الى ٦٠٠  
سرير . وله عيادة خارجية تتسع الآن لنحو ٤٠٠ او ٥٠٠ مريض كل يوم . وانما تنوي الجمعية ان  
تقيم في المستقبل عيادة خارجية تتسع لنحو ٤٠٠٠ مريض كل يوم . وكل غرفة من غرف المرضى  
مزدوجة السقف والجدران والارض والابواب . وتحتوي كل غرفة من غرف الدرجة الاولى على  
سرير واحد ، وكل غرفة من غرف الدرجة الثانية على سريرين ، وكل غرفة من غرف الدرجة الثالثة  
على ست اسرة او اقل . بيد ان اللجنة ادركت انه اذا ثقلت وطأة المرض على مريض ما واحتاج الى  
عناية خاصة ، استوى عند ذلك المريض الغني والمريض الفقير ، فينقل مريض الدرجة الثالثة الى



غرفة خاصة فيها سرير واحد ، وينال من العناية الخاصة ما يناله المريض الغني . وفي أجنحة الدرجة الثالثة خمسون غرفة في كل منها سرير واحد فقط

خمس من ادوار المستشفى الثمانية مخصصة للمرضى فالدور الاول خاص بالامراض الباطنية للرجال والثاني بالامراض الباطنية للنساء والاطفال والدور الثالث بامراض النساء والولادة وجراحاتها والرابع والخامس بجراحة الرجال . وفي الدور الأرضي صيدلية كبيرة ومعمل للتحليلات الكيميائية والبكتريولوجية وكلاهما مجهز بآدق واحداث الاجهزة الكيميائية والبكتريولوجية . وفيه كذلك ردهة واسعة للاجتماعات والمحاضرات العلمية . اما الدور السادس ففيه المطبخ والحمامات الشمسية وسكن الممرضات المبتدئات اللواتي يتلقين فن التمريض نظراً وعملاً ، ولكل منهن حجرة خاصة فيها سرير وخزانان وماء جارٍ بارد وساخن . وكل دور من ادوار المرضى مؤلف من اربعة اجنحة ، جناح للدرجة الاولى وثانٍ للدرجة الثانية ، اما الثالثة والرابعة فللدرجة الثالثة . وحجر المرضى كلها في مقدمة البناء ، اما حجر المؤخرة فلسكن المرضى والعمليات الجراحية على اختلافها ، وقسم العلاج بالاشعة وقسم خاص بعزل المرضى المصابين بمحميات معدية

وتشتمل مرافق المستشفى ، من مطابخ ومغاسل على احدث الوسائل واكثرها اتقاناً . المطبخ على السطح ، وجميع أدواته كهربائية . ترفع اليه مواد الغذاء من لحم وخضار ولبن بمصعد كبير ، فيطبخ الطعام بحسب ما تطلبه الممرضة المختصة في كل دور من ادوار المستشفى ، وهو متصل بمصاعد خاصة بمطابخ صغيرة في كل دور ، وفيه غرفتان باردتان لحفظ مواد الغذاء وفي كل منها انايب خاصة للتبريد والتهوية وجميع ادواته كهربائية . وكل مطبخ من المطابخ الصغيرة يحتوي على ثلاجة لحفظ الطعام فيها ، وجهاز آخر لحفظ الطعام الساخن ، وما يحتاج اليه الممرضة من ادوات المطبخ لاعداد ما يقتضيه بعض المرضى من طعام خاص يحتاجون اليه فجأة . اما المغاسل والمناشير والمكاي ، حيث يغسل يباض المستشفى ويكوى فجامعة لآحدث الوسائل العلمية

\*\*\*

اما اجنحة العمليات الجراحية فآية من آيات العلم الحديث . وهي في ثلاثة ادوار ، كل دور منها يحتوي على حجرتين للعمليات بينهما حجرة للتعقيم مجهزة باحدث الادوات ، ومنها معقم autoclave المائي جديد يفرغ من الهواء ، ثم ينفث فيه البخار من أعلى الى أسفل في حجر منفصلة احداها عن الاخرى ومتساوية جميعاً في ضغط البخار فيها ، فلا يبقى اي احتمال لانحصار كرة من الهواء الحامل للجراثيم داخل المعقم . ثم هناك حجرة للغسل مجاورة لكل حجرة من حجر العمليات ، بينهما نافذة واسعة ، يستطيع الجراح ان يراقب المريض منها وهو يطهر يديه بعد اتمام العملية . ومصباح حجرة العملية لا ظل له واذا انطفئ لحادث مفاجئ في التيار ، والجراح يعمل العملية انار مصباح آخر -- انارة اوتوماتيكية -- يستمد تياره الكهربائي من بطارية كهربائية



خازنة تكفي لآلارة المصباح ثلاثة ساعات . وقد بنيت غرف العمليات ، حتى يستطيع عمل العمليات فيها على ضوء النهار — وهو في الغالب غير مستحسن ، لأنه يجيء من ناحية واحدة ويلقي ظلالاً على جسم المريض — او على الضوء الكهربائي . فاذا تبين ان الضوء الكهربائي هنا مفضل على ضوء النهار ، لأنه يقع وقوعاً عمودياً على جسم المريض ، اقلقت النوافذ اقلالاً محكماً بستائر سود لا تنفذها شعاعة نور . ومن آيات قسم الجراحة غرفة للعمليات فيها جهاز للأشعة السينية . ذلك ان الطبيب اذا شرع في عملية لاستخراج مادة صلبة دخلت جسم المريض ، اهتدى الى مكانها بصورة الأشعة السينية . ولكنه أحياناً قد يضل مكانه ، ويتعذر عليه نقل المريض ثانية لتصويره بالأشعة السينية وهو تحت المشرط فتستعمل الأشعة السينية مباشرة لتهدي الجراح الى ضالته . وقد قيل لنا ان في اوربا الوسطى لا توجد الاً حجرة واحدة من هذا القبيل وهي في مستشفى بهيدلبرج بجنوب المانيا . ويقابل غرف العمليات غرف التخدير وغيرها ما يحسب مكاناً لها

اما قسم العلاج بالأشعة — وقد تبرع بنفقائه البالغة ٤٠٠٠ جنيه المستر رينهارت التاجر الانكليزي بالاسكندرية — فيه أحدث الاجهزة لهذا الغرض ، وهو حجرتان رئيسيتان بينهما حجرة صغيرة تجلس فيه الممرضة المختصة بهذا العمل ، بعد ما تضع في كل منهما مريضاً ، وتعين لها قوة الأشعة التي يتعرضان لها . وفي حجرة الممرضة وسائل دقيقة تمكنها من وقاية نفسها ، لأنه اذا قويت الأشعة النافذة من بابي الحجرتين او احدهما ، الى حجرة الممرضة تعرضت للخطر ، وهذه الزيادة تستطيع ان تتبينها في الواح زجاجية خاصة بتغير لونها اذا زاد النافذ من الأشعة عن قوة معينة . وعندئذ تخفف التيار او توقفه بأزرار . وجدران حجرتي العلاج بالأشعة ، وحجرة العمليات الجراحية التي فيها جهاز الأشعة السينية مبطنة بالرصاص والباريوم منعاً لاختراق الأشعة لها

\*\*\*

جمعت جمعية المؤاساة معظم نفقات المستشفى من الاهلين عن طريق « اللورتيات والانصبه » التي نظمتها ، ومن هبات اهل الخير . ومما هو جدير بالذكر ان الاجانب كانوا كراماً أسخياء في تعضيدها فنفعها المستر رينهارت بأربعة آلاف من الجنيهات والمستر فني بألف والمسيو كوتسيكا بمصر بألف والمسيو دفسيو بألف . وقد بلغ ما تبرع به الاجانب لها نحو عشرة آلاف جنيه . وانا للأسف ان الوطنيين لم يحاروا الاجانب في ذلك حتى الآن . فان الجمعية لم تدل هبة من وطني تزيد على مائة جنيه ومجموع هباتهم قد لا تزيد على الف . ونحن نعلم ان ذلك ليس لتقصير اغنيائنا في السخاء على المشروعات الخيرية ، ولهم في ذلك آيات ، بل اننا نثق أنهم اذا علموا ان مستشفى المؤاساة ، مفخرة علمية واجتماعية لمصر وللقومية المصرية ، بادروا الى تعضيده بكل ما يستطيعون ، فيرضون بذلك شعورهم الوطني ، وزعتهم الانسانية السامية

فؤاد صرّوف



## رجوع الهارب

إذا تمرّد المحبّون على حكم الهوى، وضاق كيوبيد بصراخهم وبكائهم  
فتّح لهم باب ديره فخلصوا منه ناجين بأنفسهم، وانطلقوا هارين من  
أسره، ينشدون النسيان والسوا في حياة أصبحت تنكرهم وكأن لم يتصلوا  
بها من قبل. وهاموا في عالم يجهلهم ويجهلونه، تحوطهم الوحشة وتظلمهم  
الكآبة. هنالك يرجع الهارب نادماً مأخوذاً بسحر تلك الايام التي  
كانت تشرق عليه من خلال ذلك الدير القديم

قرّبتُ للنور المشعّ عيوني      ورفعتُ للشهب الأحمّ جبيني  
ومشيتُ في الوادى يمزقُ صخره      قدي وتدمي الشائكات عيني  
وعدوتُ نحو الماء وهو مقاربي      فنأى وردّ الى السرابِ ظنوني  
وبدّت لعيني في السماء غمامةٌ      فوقفتُ فارتدّت هنالك دوني  
وأصختُ للنسماتِ وهي هوازجٌ      فسمعتُ قصفَ العاصفِ المجنون  
يا صبح: ما للشمس غير مضيئة؟      يا ليل: ما للنجم غير مبين؟  
يا نار: ما للنّار بين جوانحي؟      يا نور: أين النورُ ملء جفوني؟  
ذهبَ النهارُ بحيرتي وكآبتي      وأتى المساءُ بأدمعي وشجوني  
حتى الطبيعةُ أعرضتْ وتصامتْ      وتنكرتْ للهارب المسكين !!

\*\*\*

إن لم يكن لي من حنانك موئلٌ      فلمن أبثُ ضراعتي وحنيني؟



آثرت لي عيش الأسير فلم أطق  
 صبراً ، وجُنَّ من الأسار جنوني  
 فأعدتني طامق الجناح وختل بي  
 للنور جنّة عاشقٍ مفتون  
 وأثرت لي نحو السماء فلم أطر  
 ورددت عين الطائر المسجون  
 نسي السماء وبات يجهل عالماً  
 ألقى الحجاب عليه أسرُ سنين  
 ولقد مضى عهد التنقل وانتهى  
 زمني اليك بصبوتي وفتوني  
 لم ألق بعدك ما يشوق نواظري  
 عند الرياض وليس ما يُصبيني  
 فهتفت أستوحى قديم ملاحني  
 فمهدّجت وتعثرت بأنيبي  
 ونزلت استذري الظلال فغفني  
 حتى الغصون غدون غير غصون  
 فرجعت للوكر القديم وبني أسي  
 يطغى عليّ وذلة تعـروني  
 لما رأيته أغرورقت عينا من  
 ألم وضج القلب بعد سكون  
 ومضت بي الذكرى فرحت مكذباً  
 عيني ، ومتهما لديه يقيني  
 وصحوت من خبيل وبني مما أرى  
 أطراق مكثب وصمت حزين  
 فافتح لي الباب الذي أغلقته  
 دوني ، وهات القيد غير ضنين  
 وامد ذراعيك الغداة وضمني  
 وأحلتني الصدر الذي يأويني  
 دعني اروي القلب من خمر الرضى  
 وأنم على حجر الخفاف عيوني  
 وأعدني إلى أسر الصبا هارباً  
 قد آب من سفر الليالي الجون  
 عاف الحياة على نواك طليقة  
 وأتاك ينشدها بعين سجين !!



## نظرات اجتماعية

في العلائق الجنسية

لدبير بفطر

قيل ان الله خلق الرجل واطمان الى ذلك ، ولم يخطر على باله أن يصنع له شريكة في الحياة ، حتى غافله الشيطان وخلق المرأة . وعلى هذا يكون الرجل من صنع الله والمرأة من صنع الشيطان غير ان هناك رواية اخرى صاغها احد علماء الاجتماع<sup>(١)</sup> في قالب من الدماغة والفكاهة ، ولكنه ضمنها حقائق ملموسة ، وختمها بدروس ومساائل غاية في خطر الشأن وهي ان الاله « توشترى » عندما وطّد العزم على صنع المرأة ، وجد ان المواد الصلبة ، والعناصر الاولية ، التي خلق منها الرجل ، قد استنفذت برمتها . وبعد صمت طويل وتفكير عميق ، خطر بباله حلُّ أخرجه من هذا المأزق ، وهو انه اتخذ من القمر استدارته ، ومن الدبابات ليونتها ، ومن النباتات المتعرّشة التصاقها ومن الحشائش الخضر اهتزازها ، ومن عيدان القصب اعتدالها واتخذ من اكمام الزهور تفتيحها ، ومن اوراق الاشجار خفتها ، ومن اشعة الشمس ضياءها ، ومن نظرات الغزلان سحرها ، ومن خلايا النحل تقاربها ، ومن قطرات العسل حلاوتها ، ومن النار توهجها واتخذ من خرطوم الفيل انحراطه ، ومن سحب السماء بكاءه ومن هبوب النسيم علته واتخذ من الريح تقلبه ، ومن الارنب جنبه ، ومن الطاووس زهوه ومن صدر الببغاء نعومته ، ومن الماس صلابته ، ومن البحر قسوته ، ومن الثلج برودته واتخذ من ابي زريق ( طائر ) ثرثرته ، ومن الحمام هديلّه ، ومن الكركي ذبذبته ، ومن الشكرواكي وفاءه ، أخذ هذه كلها ودقها دقاً ، وطحنها طحناً ، وعجنها عجناً ، وصنع منها المرأة ، وأهداها الى الرجل

وعاد الرجل بعد اسبوع يشكو للآله امره وخرّ على ركبتيه ساجداً ، وهو يقول : أي ربّي !! ان هذه المخلوقة التي اهديتها لى قلبت نعيمي بؤساً ، وجعلت حياتي شقاء . وهي لا تكف ثرثرة لحظة

(١) F. W. Bain, "A Digit of the Moon"



واحدة ، ولا تدعني دقيقة أخلو فيها بنفسي ، وتستغرق كل اوقاتي . تضايقني فوق ما استطع  
احتماله ، وتريد ان يوجه اليها كل انتباهي . تبكي من لاشيء ، وتلهو بغير انقطاع .... لهذا جئت  
بها اليك يا ربي ، لان العيش معها امر لا يطاق  
فقال الاله : حسناً !! وأخذ مخلوقته الجديدة ...

وعاد الرجل بعد اسبوع آخر ، وخرّ على ركبتيه ساجداً ، وهو يقول : ربي !! منذ ان فارقت  
المخلوقة الجديدة ، قد استحال أنسي وحشة ، وانقلب سروري حزناً ، وايناسي وحدة ، ولبس  
لعيشي بغيرها من سبيل . فكأن كانت ترقص لي وتلشد ، وتغرّد وتغني ، وترمقني من طرف عينها  
الساحرتين ! وكأن تلعب معي ، وتعلق بي ! وكانت بساتمها ربيعاً اذا ابتسمت ، وكان ضحكها  
موسيقى اذا ضحكت ! ما اجملها كانت اذا نظرت اليها ، وانعمها اذا مسستها !! اي ربي ! اردها اليّ  
فقال الاله : حسناً !! ها كها ...

ولم يغب الرجل سوى ثلاثة ايام وعاد ثانياً الى الاله وخرّ على ركبتيه ساجداً وهو يقول : اي  
ربي ! لست ادري ... لقد عدت الى رشدي ، وايقنت ان هذه المخلوقة اشدّ وبالأعلى ، منها اسعاداً  
لحياتي نفعها ....

فحق الاله واشتد غضبه على الرجل واغلظ له الكلام قائلاً : — تبّاً لك .... اليك غني !!  
ليكن هذا آخر ما اسمعه منك من الشكوى ...  
صرف امورك تصرفاً يناسب مقتضى الحال ...  
فقال الرجل : ربي ! لست أستطيع العيش معها  
فأجابه الاله : ولست تستطيعه بغيرها . . . . وأدار ظهره الى الرجل ، ومضى في عمله . . . .  
فذهب الرجل يضرب اخماساً على أسداس ، وهو يردد القول : است استطيع العيش معها ولست  
استطيعه بغيرها . . . فما العمل ؟ . . .

\*\*\*

يعزى كثير من العادات والتقاليد ، التي تقدها الشعوب والقبائل ، وتحافظ عليها بأرواح  
أبنائها ، الى وجوه الاختلاف بين الرجل والمرأة ، على ثقافتها . وقد كانت الفروق الجنسية منذ  
الخليقة الى يومنا هذا ، قوة فعالة في سن الشرائع ووضع القوانين ومراعاة العرف والتفريق بين  
مبادئ السلوك والآداب العامة واستهجان بعضها وتسميته رذائل واستحسان البعض الآخر  
وتسميته فضائل ، وكانت سبباً في وجود طائفة من الطقوس والتقاليد القومية والشعبية  
والطائفية والدينية

والمرأة لغز لم يستطع الرجل الى اليوم حلّ طلاسمه . وهي آخر ما يتسنى له فهمه في الحياة .  
والسعادة الزوجية لا تتطلب حتماً فهم الرجل عقلية زوجته ، بل تفرض توافر الحلم والتسامح عندها



ويقول علماء الاجتماع ان في تاريخ الجنسيتين يتمثل قانون من أهم القوانين الطبيعية وأعظمها شأنًا . وهو قانون التجاذب والتنافر . ألا ترى الطبيعة الانسانية قد اودعت في الجنسيتين من قوة الجاذبية ما لا يستطيع الفرار منه ، كما انها اوجدت بينهما من اسباب العزلة والتنافر ، في احوال خاصة ، ما لا يتسنى اغفاله ؟ ألا ترى في الرجل والمرأة الحب والبغضاء والتجاذب والتنافر ، القرب والبعد الاباحة والمنع ؟ ألا ترى ان الصفة الواحدة متممة للآخرى ؟

وقبل ان نبدأ في تتبع بعض العادات المعروفة وندرس كيف نشأت ، وكيف ان العلاقات الجنسية كانت من أهم العوامل التي دعت الى توطيد دعائم هذه العادات — قبل هذا ينبغي ان نسارع لننفي عقيدة شائعة بخصوص الآداب الجنسية عند الامم الهمجية والقبائل القطرية . ليس ثمة ما يستدل منه على ان الاباحية كانت تغلب على الشعوب القديمة في الازمان الغابرة . وليس ثمة ما يستدل منه على ان للاباحية اثرًا في اي بلد من بلدان العالم اليوم ، حتى بين القبائل البربرية التي لا تزال تعيش عيشة الفطرة ، البريئة من شوائب المدنية ، وصقال التهذيب الذي يضي على الناس عادة ثيابًا من الرياء والتصنع . واذا كان هناك من شيء فان الامم المتأخرة والقبائل المستوحشة والبلدان نصف المتمدنية أكثر محافظة على حرمة مبادئها الجنسية ، واشد اباءً وأعف نفساً وأكثر اعتدالاً ، في علاقاتها النسائية ، منهم بالشعوب المتمدنية المتحضرة .

ومن اسباب الامتناع والاعتدال عند الشعوب الهمجية الخوف من الضعف ، لانهم يظنون ان القنور الذي يعقب عملية الجماع ، الناشئ عن زيادة ضغط الدم ، ضعف مستديم . ولما كان خفر الشاب قوته ، فان رجالهم يحرصون على السائل المنوي كل الحرص لاعتقادهم انه ينبوع الذي يستمد منه الجسم تلك القوة . ومع جهلهم بعلم وظائف الانسان فانهم يعتقدون ان قوة الرجل في خصيتيه . ولا غرابة في ذلك فان بعض المتأخرين من فلاحي اوربا الى اليوم يصفون السائل المنوي دواء لشفاء بعض الامراض ، وتقوية الاعصاب . ولا تزال القبائل الهمجية في كثير من انحاء العالم اليوم تحافظ على عاداتها القديمة في الحروب ، فتحرم على الجنود الاقتراب من النساء قبل الحرب بمدة معلومة وفي اثنائها وبعدها بزمان معلوم . وكان بنو اسرائيل يحتمون على الجنود ان يطهروا انفسهم قبل النزول الى ميدان الحرب ، حتى بعد الاستحمام . ولا تزال القبائل الاسترالية تشرب ذكورها بول الاناث ، وتشرب اناثها بول الذكور شفاءً للامراض .

وبتضح مما سبق ان من أهم أسباب العفة والاعتدال في العلاقات الجنسية ، وابتعاد الرجال عن النساء بقدر الامكان عند الامم الهمجية ، المحافظة على القوة والرجولة بكل معانيها فيما يتعلق بالرجال ، وصون الطراوة واللين والانوثة بكل معانيها فيما يختص بالنساء .

ومن هذه الاسباب ايضاً الخرافات والاباطيل التي تحوم حول المرأة وكل ما يتعلق بالمسائل الجنسية كما تحوم الخرافات والخزعبلات حول الظواهرات الجوية والطبيعية كالرعد والبرق والنيازك



والكواكب . ولا يخفى ان الهمجي يفسر هذه الظاهرات تفسيراً يتفق وعقليته . وما يقال في هذه يقال في اعضاء التناسل والمرأة وكل ما يتعلق بها وقد ذكر كرولى ان في متحف Für Völkerkunde يوجد حفر على لوح من الخشب من بريطانيا الجديدة يمثل عصفوراً بحراً شيئاً من عضو التناسل للمرأة ، دليلاً على اعتقاد سكان تلك البلاد من ان الحيض عند المرأة ينشأ من لدغ ثعبان او نقر عصفور . وفي المتحف عينه اثر آخر من غينيا الجديدة يمثل تمساحاً يقبض بكفيه على رأس امرأة ، وتمساحاً آخر يحاول ايلاج خرطوميه في فرجها . ويفسر بعضهم الاستحلام عند الرجال بقولهم ان روحاً شريرة او « عفريتاً » انثى تضاجع المستحلم ليلاً ، كما انهم يفسرونه عند الاناث بقولهم ان عفريتاً ذكرأ يضاجع المرأة فتستحلم

ويمتد هذا الاعتقاد الى امد أبعد في حالة حمل الفتاة العذراء ، غير المتزوجة ، بكرة كانت أم ثيباً ، لانهم يزعمون في هذه الحالة ان روحاً شريرة انتقض عليها في الاجمة وقضى معها لبنته قسراً . ومتى « ثبت » ذلك نجت من طائلة العقاب

وتبلغ هذه الخرافات احياناً درجة الجنون . ففي بعض الجزر التي لا يزال اهلها على فطرة الانسان الاول لا تأكل المرأة مع زوجها ابداً باية حال من الاحوال منعاً للارواح الشريرة . ولا يبعد ان تكون هذه الارواح منشأ العادة المعروفة في بلادنا وما جاورها الى اليوم ، وهي عزل الرجال عن النساء عند تناول الطعام . وفي جزائر الكارولين لا تمنع المرأة من مجالسة الرجال اثناء تناول الطعام الا متى كانت حبلى . غير ان سكان جزائر فيجي يمنعون المرأة من خدمة زوجها على المائدة وهي حامل والاصل في عادة اطلاق الرصاص من البنادق قبيل الزفاف ارباب الارواح النجسة ، وابعاد الخطر الذي يتهدد الرجل بقدوم المرأة . ويذكر القراء ان هذه العادة لا تزال متبعة في الريف المصري . وليس هذا بالامر الغريب فان آثارها لم تعف من اوربا . ومنذ عهد ليس ببعيد كان يطلق الرصاص على رأس المرأة الانكليزية اثر خروجها من الكنيسة عقب حفلة الزفاف المقدسة ، في مقاطعتي درهام وكليفلند في شمالي انكلترا

واذا استثنينا البلدان والاسر المتمدينة فان الزواج يعقد ليلاً عادة . وفي مصر لا يعقد الزواج نهراً الا في الاوساط التي تميل الى التقاليد الاوربية ومنشأ هذه العادة السبب عينه ، وهو ما يساور الناس من المخاوف والاهام التي تحوم حول المرأة . ولا يقتصر الهمجيون الى اليوم على الزواج ليلاً ، بل يحملون — في بعض البلدان — العروس الى منزل العريس في سلة حتى لا يراها الغير . وأشار المؤرخ فلوطرخس الى ان هذه العادة كانت معروفة عند قدماء الرومان . وتخفي بعض القبائل العروس ليلة الزفاف في منزل حالك الظلام ، ويبحث العريس وراءها يتلمس طريقه في الظلماء بحثاً عنها ، ولا تتم عملية الزواج حتى تقع يدها عليها . ومن ابداع ما يقوله علماء الاجتماع تعليقاً على هذه العادة الظريفة انها تتفق والطبيعة تمام الاتفاق ، لان التوالد في النبات يقع ليلاً ويظهر للملا نهراً



ومن اسباب الاعتدال في العلائق الجنسية عند الهمجيين التفاخر على الغير والتباهي بالحياء استدلالاً على الرجولة والمقدرة على اخضاع الشهوات ، وعدم الاستسلام لها ومن عادات أهل فيجي انه لا يعد حسناً ان ينام الرجل وزوجه تحت سقف واحد . فاذا ما أراد ذلك ضرب معها موعداً rendez-vous للقاء في اعماق الغابة في مكان لا يعرفه الاّ هما . ومن الغريب ان ما يقرب من هذه العادة معروف بين فئة قليلة جداً في اميركا اليوم . حيث يتفق الزوجان ان يكون لكل منهما منزله الخاص ، ويدعو احدهما الآخر لتناول العشاء ، فيلبي الدعوة اذا كان غير مرتبط بموعد آخر ، ويقوم الزوج الآخر بدوره بدعوة الاول ، وهكذا تبلغ الحرية الزوجية هذا الحد المتطرف

ومن العيوب القبيحة عند الهنود الحمر في شمال اميركا ان يزور الرجل مضجع امرأته او ينظر الى سريرها نهراً . وفي غربي افريقيا اذا عثر احدكم على رجل وزوجه في حالة الجماع يصبح الاثنان عبيده . وهذا يفسر لنا أصل الحذر والحشمة عند الهمجيين فيما يتعلق بالمسائل الجنسية . ومن المشاهد ان الصراحة في الكلام عن هذه المسائل من ثمار المدنية الحديثة ، ففي بعض البلدان ينتحر الرجل او المرأة اذا علم احدهما ان آخر سمعهما يتلفظان باسماء اعضاء التناسل او ما يتعلق بها ، في حين ان المرأة المتمدينة لا تستحي ان تنافس رجلاً في موضوع علمي او اجتماعي وان استدعى ذلك ذكر الفاظ يستحي منها غير المتمدين

وقد حكى لي نوبي ان الكثيرين من ابناء وطنه المشتغلين في القاهرة وغيرها من مدن القطر ، يرحلون الى قراهم لزيارة زوجاتهم واولادهم ، ولكنهم لا يخاطبون زوجاتهم او يسامون عليهن قبل مرور اسبوع على وجودهم هناك ، استدلالاً على الرجولة والعفة وضبط النفس ، واتباعاً للتقاليد طبعاً . ولا يخفى على الملمين بالعادات الاوربية والاميركية ان سكان تلك البلدان اكثر اظهاراً لعواطفهم الزوجية امام الغير من سكان الشرق الادنى ، وأم الشمال في اوربا اكثر صراحة في اظهار هذه العواطف من أم الجنوب . ففي اوربا يقبل الرجل زوجته امام الغير عند عودتها من سفر ، او يضع يده على كتفها او يضمها اليه ، وهكذا يفعل الصديق مع صديقه ، في حين ان الرجل في مصر لا يظهر شيئاً من هذه العواطف أمام الآخرين ، وقد لا يهز يده بيد امرأته ولو بعد غيبة طويلة ، ألا ترى منشأ هذه العادات ؟

من هذا يتبين ان الاباحية لا تتفق وهذه العادات التي نشأ عليها الانسان غير المتمدين . وربما نستطيع ان نضيف اليها حقيقة جليلة ، وهي انه لا يبعد ان يكون الانسان قد استكشف منذ ألوف من السنين ظاهرة بيولوجية في المرأة ، وهي انها لا تتناسل اذا تركت عرضها متاعاً شائعاً لجميع الرجال ، كما هو المشاهد في المرأة البغي التي قلما تخطيء الطبيعة في امرها فترزق ولداً . غاية ما في الامر ان المرأة تستطيع ان تتصل برجلين او ثلاثة او اربعة او اكثر قليلاً ، ومع ذلك تحمل وتلد غير ان العدد اذا زاد قل احتمال حملها ، ويشاهد في تاريخ الاسرة الى يومنا هذا ان الطبيعة قد



زودت الرجل بعاطفة الغيرة ابقاءً على النسل ، ولا يستثنى من ذلك الا تعدد الأزواج عند بعض القبائل التي تنزوج فيها المرأة بأكثر من رجل — ما يسمونه باللغة الانكليزية polyandry وهو ما يقابل تعدد الزوجات للرجل الواحد او ما يسمونه polygamy غير ان كلا من العادتين آخذ في الانقراض . ففي القطر المصري يبلغ المتزوجون اكثر من امرأة واحدة اقل من ٥ ٪ من مجموع المتزوجين . أما المتزوجون من امرأتين فتبلغ النسبة فيهم ٣ و ٪ . والمتزوجون من ثلاث نسوة ٣ و ٪ . والمتزوجون من اربع نسوة ٠٠٠ ٪ . وفي بلاد الهند متوسط نسبة المتزوجين بأكثر من واحدة ٥ ٪ ، وفي بلاد الفرس ٢ ٪ . أما زواج المرأة بأربعة رجال او اكثر فلا يوجد الا في بعض الجزر ، وقد يكون مثل هذا الزواج في صورة اخرى وهي ان يتزوج خمسة رجال مثلاً خمس نساء ويكون كل رجل منهم زوجاً لكل من النساء الخمس ، وتكون كل امرأة زوجة لكل من الرجال الخمسة . ولا يخفى ان هذا لا يمكن تسميته أباحية ، لانه زواج مشروع جرى به العرف

ومهما ذكرنا من التقاليد الغريبة غير المستحبة في مسائل الزواج عند الامم والقبائل المنحطة فاننا لا نستطيع ان نحكم عليها بالاباحية . نجد مثلاً بين أهالي الكنگو والزولو والكفرة عادة غريبة يلجأون اليها عند الاحتفال بالبنات initiation متى بلغن سن المراهقة . وذلك انهم يطلقون لهن الحرية للاتصال بمن يشأن من الرجال . ويجمعون احياناً ١٥ او ٢٠ بنتاً في منزل واحد ، فيقبل المدعوون من شبان القرية للدخول عليهن . وأعيد ما قلته ، وهو ان نية هؤلاء القوم لا تنصرف في هذه العادة الى الفسق او الفجور ، بل الى عادة تكاد تكون دينية ، الغرض منها تطهير البالغات من الارواح الشريرة التي تحملهن ببلوغهن سن المراهقة ، ولو انها تقول في النهاية طبعاً الى استمتاع بين هؤلاء وأولئك

ومن هذه العادات الغريبة ان في بعض الجزر يتخذ العريس صديقاً (وهو كالشمين) او صديقين او اربعة اصدقاء قبيل عقد الزواج ، وتنحصر مهمة هؤلاء في فض بكاراة الزوجة اولاً ، والاستمتاع بها ثانياً قبل ان تقدم للزوج ، تطهيراً لها . وفي احيان اخرى يقوم احد رجال الدين بهذه الوظيفة فيقضي ليلة او اكثر مع العروس ، ويزفها بعد ذلك عروساً طاهراً . ولا يرى في هذه العادة اهل تلك الاصقاع عاراً او فضيحة . ولا يبعد ان تكون عادة «الدخلة» التي تعد وصمة في جبين مصر ( لانها لا تزال باقية بين الطبقة السفلى وبعض افراد المتوسطة ) من بقايا هذه العادة غير المعروفة في سوريا او فلسطين او العراق

غير ان في جزائر الهند الشرقية نوعاً من الاباحية ، وهي ان الصغار قبل سن البلوغ ، والشبان او الفتيات قبل الزواج يجوز لهم ان يتصل ذكورهم بأناسهم اتصالاً جنسياً الى ان يتزوجوا ، ولو كان بينهم قرابة تمنع الزواج . اي ان الزنا هنالك جائز شرعاً للاعزب ، فتى كان او فتاة ، محرماً على المتزوج



ومن انواع الاباحية ما هو شائع في بعض بلدان آسيا، وهو ان يُعيرَ رجل امرأته لصديق او ضيف، قياماً بواجب الصداقة او رداً للمعروف، او اكراماً للضيف، بشرط ألا تكون المرأة حرماً محرماً (كالأخت والعمة والخالة الخ) طبقاً لقوانين البلد ومن هذه العادات تبادل الزوجات في الولائم والافراح وان كانت المرأة حرماً محرماً بالنسبة للرجل. ومن الغريب ان مثل هذه العادة معروفة في بعض البلاد المتقدمة بين طبقات شاذة من اولئك الذين يعيشون كما كان يعيش الرومان في زمانهم، فلا يعبأون في حياتهم إلا بمعاقرة بنت الحان والرقص والاستسلام لشهواتهم في شتى الطرق والاساليب الشيطانية

\*\*\*

وقد كان للاعتقادات والاباطيل التي سادت على مدى الاجيال بخصوص المرأة السبب الاكبر في التضييق على حريتها، ومطالبتها بأكثر ما يطالب به الرجل من الحياء وصون العرض، وعدم المساواة بينها وبينه. ويعتقد بعض الهنود الى اليوم ان الطفل يرث الجسم عن امه ويرث الروح عن ابيه، والجسم عند الهنود على الاخص لا قيمة له في جانب الروح. وذكر العالم الاجتماعي وسترمك Westermarck ان المغاربة في جبال الاطلس يحتّمون على نساءهم استعمال الاعداد المغربية القديمة، ويحظرون عابهن الاعداد العربية الحديثة، لانها مميزة يختص بها الرجال دون النساء. وفي بعض البلدان الوثنية يحرم على المرأة الصلاة الى الآلهة الذكور، فتقنع بالآلهة الاناث والغرض من هذه العادة الاشارة الى علو منزلة الرجل على المرأة أولاً، وغيره الرجل على المرأة، وخشية ان تطارح الآلهة الغرام فيما اذا كانوا ذكوراً

وفي مدينة سيول بكوريا يقرع ناقوس الساعة الثامنة مساءً، فيختفي الرجال من شوارعها وأزقتها وتظهر النساء، فيمررن في المدينة الى الساعة الثالثة صباحاً حينما يقرع ناقوس آخر، فتحتجب النساء ويفسح المجال للرجال

واذا نظرنا الى الخرافات والعادات السالفة الذكر، على غرابة بعضها، وهمجية بعضها، فانا نجد انها حافظت على الاسرة ومنعت شر الاباحية والعبث بالاعراض والزنا بالاقارب والتزواج بين المحارم وساعدت على ان يكون احب ما لدى الرجل المرأة التي بلغت اقصى ما تكون من الانوثة، وأحب ما لدى المرأة الرجل الذي بلغ اقصى ما يكون من الرجولة

ولا يغيب عن اذهاننا ان تحريم الزواج بالاقارب المقربين oxogamy امر حديث العهد، وليس من طبيعة البشر ان يمتنعوا عن زواج اخواتهم او بناتهم كما يظن العامة. وما هذا الامتناع إلا عادة مكتسبة. فقد كان قدماء المصريين يتزوجون من اخواتهم، ولا تزال بعض الامم تحرم على الرجل النظر الى بنته او رؤيتها بعد سن البلوغ، ويحرم على المرأة ان تكشف وجهها امام ابنها او تنظر اليه بعد بلوغ تلك السن كما هو الحال في جزيرة سيلان. وما نسمعه احياناً من اتصال



شاب بأخته او رجل ببنته الحسنة اتصالاً جنسياً بغريب ، فان في اللغات الاوربية كلمة خاصة بهذه الحالة ويسمونها بالانكليزية incest

ومبدأ تحريم الزواج بين الاقارب الاعتقاد بأن اولئك الذين يأكلون من طعام واحد يحل بهم النجس وسوء الطالع اذا ما تزوجوا بعضهم من بعض ، ولعل هذا الاصل في تحريم الزواج بين الاخ والاخت في الرضاع . وبهذه المناسبة نقول ان عادة الصلاة القصيرة قبل تناول الطعام عند بعض المسيحيين ، او رسم علامة الصليب عند البعض الآخر او قولهم « بسم الله الرحمن الرحيم » عند المسلمين ، ترجع الى الاعتقاد القديم عند الهمجيين ، من ان هناك اقوالاً ينبغي تلاوتها قبل الاكل طرداً للارواح النجسة

ومن غريب الصدف ان يفكر الهمجيون في تحريم الزواج عند الاتحاد في الجسم communsality والدم consanguinity قبل ان تظهر النظرية البيولوجية المشهورة التي تقول ان الذرية تضعف اذا لم تتسع الدائرة التي يحدث فيها الزواج ، لان وجوه الضعف في رجل وامرأة من امرة واحدة تظهر بوضوح في ذريتهما فاذا ما تزوج ابناهما مثلاً من بنت من هذه الاسرة كانت وجوه الضعف اكثر وضوحاً . وهذا يعزز ما يقوله العلماء من ان خرافات الجهلاء والعامة قد تسبق مكتشفات العلماء غير ان الزواج من الاقارب مختلف فيه . ففي مصر والبلدان الاسلامية يحرم على الرجل زواج اخواته وبنات الاخوة والاخوات ، ويجوز له الزواج من بنات العم القريب ، في حين ان الشريعة اليهودية تميز الزوج من بنت الاخت . وفي اوربا واميركا لا يستحب مطلقاً ان يتزوج الرجل من بنت عمه القريب . ولا يجوز له ذلك الا اذا اشتد الحب بينهما . ومن الغريب ان في بعض الجزر الزواج بين اولاد الاعمام او الاخوال endogamy مقيد بهذا القيد ، وهو ان العم لا يجوز له ان يزوج ابنه من بنت اخيه ، ولا يجوز للخالة ان تزوج ابنها من بنت اختها ، ولكن يجوز ان يزوج الخال ابنه من بنت اخته ، او تزوج العمة ابنها من بنت اخيه . والحكمة في ذلك ألا يكون الزوج والزوجة متسلسلين من جدٍّ ابويٍّ واحد

يقرأ الرجل العادي عن هذه العادات والتقاليد والشرائع والقوانين والخرافات ، حسنة كانت ام قبيحة ، ولا يهمه من امرها سوى انها طرائف يتفككه بها في اوقات الفراغ ، ولا يسترعي نظره فيها سوى انها أحاج تصلح حديثاً للمائدة وتسلية لقائلها وسامعية غير ان الذين يراقبون حوادث المجتمع بمنظار هذه العادات وتاريخ نشأتها وكيفية تطورها لا يسعهم الا سعة الصدر والتسامح واحترام التقاليد بين الامم الاخرى التي تخالفنا مبادئ وعقائد وآداب عامة . ولا يسعهم الا نبذ التعصب ، وقبول الآراء الجديدة اذا ما اتضح صلاحها ، والقاء الآراء القديمة اذا ما اتضح بطلانها . ولا يسعهم الا التنازل عن مبادئ طالما كانوا يقدسونها ، وعادات طالما كانوا يعبدونها ، وتقاليدها طالما تمكنت من نفوسهم فلا يستطيعون الافلات منها ، ولا يسعهم الا التأمل والتفكير في مشاهدات العادات



# الاسلوب العلمي

لدى العرب والاسلام

للمبر مصطفى الشهابي

ما برح الانسان منذ ما وجد على هذه الارض يتلمس بعقله وحواسه وأخيلته الواسعة مظاهر هذا الكون العجيب واسرار هذه الحياة الدنيا . وما برح يتساءل الى يومنا هذا عن احاجي الكون التي لاعداد لها وعلاقتها بذلك الانسان المسكين الذي يأتي الى العالم فيجد في مهترك الحياة ويكافح ويجد ويهزل ويفرح قليلاً ويتألم كثيراً ثم يدركه الفناء فيهلك مقهوراً مدحوراً . ولكم ناجى هذه الطبيعة وتطلع الى العلة التي تسيرها وتأمل في الفضاء فلم يعثر له على حد ولا بدء ولا نهاية وخفى نفسه فاذا به يحجل ماهيته ويجهل من اين اتى والى اين يذهب . وحول فكره الى العالم فاذا به لا يستطيع ان يعرف هل هو مخير ام مسير بجزيرة لا تنزحزح وهل امامه رقي عام شامل ام هو يدور ابدية على حاله . ونظر الى الكائنات فلم يفقه ماهية حركتها العامة ولا الحكمة في تلك الحركة

ولطالما شغلت هذه الامور الفلسفية الناس منذ فجر الخليقة الى يومنا هذا . ولشدهما تناقشوا فيها بل تشاحنوا بل تقاتلوا بل تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم . لكن هذه الاحاجي ما لبثت على حالها كما ان العقل البشري ما لبث اعجز عن ان يحير لها جواباً محسوساً او معقولاً يرضي عنه العالم الحذر الذي لا يلم بغير ما يقع تحت الحس او يدرك بدلائل راهنة . وظهر في كل الامم الكبيرة قديمة كانت او حديثة فلاسفة استرسلوا في هذه الموضوعات بحثاً وتعليلاً كما شاءوا وشاءت اهاؤهم الفلسفية ومبولهم المذهبية وظهر ايضاً خيالون تجاوزوا في ابحاثهم حدود الحس والعقل فراخوا يتخبطون في اوهام لا نحسها ولا نعقلها وهم اصحاب الاخيلة الشعرية الذين لا يتقيدون بقيد ولا يقفون بصورتهم عند حد سواء اكان لتلك التصورات ظل من الحقيقة ام لا . والى جانب هذين الفريقين برز فريق ثالث رزين متواضع وهو فريق العلماء الذين رأوا اخيراً ان الانسان عاجز عن معرفة ماهية الحوادث الكونية فعليه اذن بان يقتصر ابحاثه على تجري صلة الموجودات الثابتة بعضها ببعض بصرف النظر عن صلتها بمجموع العالم او بالشخص الذي يحس ويفكر . وهذا الاسلوب في التفكير هو الذي يسمونه الاسلوب العلمي . مثاله اننا اذا رأينا جسمين يسقطان نحو الارض بسرعة مختلفة تحررنا



أسباب هذا الاختلاف في السرعة حتى اذا عثرنا عليها وضعنا قاعدة لسقوط الاجسام دون ان نهم بماهية الجاذبية واسبابها وعلاقتها بالعلة الاولى او بالانسان . واذا رأينا جسماً يتمدد بالحرارة قلنا ان الحرارة تمدد الاجسام والبرودة تقلصه فاثبتنا بذلك صلة الجسم المذكور بالحرارة والبرودة دون ان نشغل نفسنا باسباب حصول الانبساط او التقلص اي هل هنالك علة اولى او علة كامنة او ملاك او جني جعل ان الحرارة تزيد حجم الجسم والبرودة تنقصه . واذا مزجنا جسماً كيمياوياً بجسم آخر تهرينا الجسم الجديد الذي يحصل من هذا الامتزاج دون ان نعتقد قبل المزج اننا سنحصل على جسم معين كأن يكون ذهباً او فضة او اي جسم آخر ومعناه ان عملنا الكيماوي هذا يكون غالباً من كل وهم او اعتقاد سابق وبذلك نصل الى معرفة الحقيقة المجردة

واذا تهرينا التاريخ الذي أفلت فيه الانسان من الاوهام حتى صار لا يبحث عن العلوم الا بمقتضى هذا الاسلوب العلمي وحده نجده لا يتعدى عهد باكون وديكارت في الفلسفة وكبلر وغاليليو في العلوم . اما قبل ذلك فالاسلوب الذي كان يتبعه معظم المفكرين في جميع الاقوام كان يسمى الاسلوب الغيبي وهو انهم كانوا يعللون حوادث الكون بجعلها خاضعة لارادة الاصنام اولا فالالهة فالاله الاحد فالعلل الكامنة بها المنفردة عنها الى ان انصرف العقل البشري اخيراً فيما يتعلق بالعلوم عن البحث عن اصل الكائنات وغايتها ومديرها واقتصر على النظر في النواميس الطبيعية التي تسير حوادث الكون بموجبها . ومنذ ذلك الحين اخذت العلوم تتسع وتتقدم

قلت ان جميع الاقوام كانت سواسية في اتباع الاسلوب الغيبي لانستثني منهم احداً حتى اليونانيين انفسهم . غير ان بعض الباحثين ، ( ومنهم استاذ مصري كان ناقشني في هذا الموضوع على صفحات المقتطف منذ بضع سنين ) لا يريدون الاعتراف بهذه الحقيقة بل يريدون ان يجعلوا العرب وحدهم منفردين باتباع الاسلوب الغيبي في ابحاثهم العلمية وان يجعلوا الاسلوب المذكور طابعاً لهم وحدهم . وهذا ما سأتوخى دحضه بإيجاز في هذه المقالة . اقول بإيجاز لانني اذا رحت اذكر جميع الدلائل والامثلة على خلط اليونانيين وغير اليونانيين في ابحاثهم العلمية والفلسفية ملأت بذلك سفراً برأسه . فأني تجربة او اي مشاهدة او اي استقراء جعل صاحب كتاب الفلاحة اليونانية مثلاً يقول في الصفحة ١٠٦ من كتابه المذكور المطبوع في مصر . « قال قسطوس اذا نصبت رأس حمار اهلي في وسط المبقلة اسرع نباتها وكثر نزلها واذا عمد الى الرصاص الاسود وصنع منه وزحل في برج الميزان تمثال امرأة في يدها ريحانة تشمها ونصب في المباقل اسرع نباتها وكثر ريعها .... واذا نقش على رأس حمار اهلي صورة امرأة بشمع اخضر والقمر في برج السنبلة ونصب في وسط المبقلة اسرع نباتها وكثر نزلها » وفي الصفحة ١٤٤ من الكتاب نفسه « قال قسطوس : اذا كتب اسم الراغب بدمه في جبهته ارتفع عنه الراف » وهذا صاحب المنطق اي ارسطو نفسه وهو من اكبر المفكرين في العالم يخلط في كتاب الحيوان في امور عدة كقوله انه ظهرت حية لها رأسان وان ثوراً سفد والقح بعد



ان خفي وغير ذلك مما جعل الجاحظ يتحداه ويستهزيء به في كتابه المسمى بكتاب الحيوان . ومن المعلوم ان اليونانيين كانوا اغني شعوب الارض بالآلهة وبخيالاتها الشعرية التي يذو العقل السليم منها وكذا كان الرومانيون . فقد اتخذوا لكل شيء الها او اكثر . وجعلوا لهذه الآلهة كل ما يمكن ان تصوره من صفات بشرية ثم جعلوا العلوم ايضاً تابعة لارادتها الا ما لا يمكن تعليله بغير وجه علمي كرياضيات مثلاً . وهكذا كانت الحال لدى الكلدانيين والبابليين والهنديين والمصريين القدماء وغيرهم من الامم القديمة

ومن البديهي ان لا يشذ العرب عن غيرهم في اتباع الاسلوب الغيبي في كثير من اجناسهم لانهم تلامذة اليونان في العلوم والفلسفة . ولكن اما كان لدى الشعوب القديمة علماء يتبعون في اجناسهم الاساليب العلمية المبنية على التجربة والاستقراء . والجواب عن ذلك سهل وهو انه لو خلت تلك الشعوب من أناس كهؤلاء لما كنا وجدنا أسس كثير من العلوم الحديثة متصلة لدى اليونان ولدى غيرهم من الشعوب المتمدينة القديمة . فالاسلوب الغيبي وان كان طبع جميع الشعوب القديمة بطابعه في أوائل النهضة العلمية الحديثة فان تلك الشعوب لم تقدم عقولاً كبيرة كانت تتبع الاسلوب العلمي الحس في كثير من اجناسها . ولا شك ان اليونان الفضل الاكبر في اظهار بعض حقائق هذا الكون لكن العرب والاسلام قاموا ايضاً بقسطهم ايام لم يكن غير نورهم الوضاء نبراساً تستنير به البشرية في ظلام الجهل الخالك . فمن العلوم التي عكف عليها بعض علماء العرب ودرسوها درساً استقرائياً خالياً من الارهام الرياضية . ومن البديهي انه لا يمكن البحث في الرياضيات باسلوب غيبي . فائنان واثنان تساوي اربعة ولا يسلم العقل بانها تساوي اكثر او اقل سواء ارضيت بذلك الآلهة او العلل الكامنة ام لم يرض . والعرب كانوا بادىء بدء تلامذة أرخميدس واقليدس في هذه العلوم . لكنهم ما عتموا ان يذو اساتذتهم فأوجدوا او اوضحوا علماً برأسه هو الجبر . وبحوثا في المثلثات وزادوا في معادلات الهندسة مما لا يخفى على كل من تتبع هذه الشؤون . وظهر أثرهم في هذا الباب انهم نقلوا الارقام الهندية والحساب العشري عن الهند فاقتبسها الافرنج عنهم . ولا تزال اسماء الخوارزمي وابن الهيثم وشجاع ابن اسلم وابي جعفر الخازن والسرخسي وجابر بن افلح والقلصادي وغيرهم من الرياضيين الاعلام مفخرة من مفاخر الاسلام في الشرق والغرب

وعلى العكس من الرياضيات الفلسفة . فان اجناسها لا يمكن ان تكون يقينية في كل نواحيها مهما توخى بعض الفلاسفة قصرها على المدركات وعلى المعقولات . لان هناك اموراً لا يمكن ادراكها ولا بد للفلسفة من ان تتناولها وان كان العقل البشري غير قادر على تبها . فالعرب والامم التي سبقهم لم يضعوا الفلسفة المادية (يسمونها ايضاً الفلسفة الوضعية او اليقينية او الطبيعية) وواضعها هو أوغست كونت الفرنسي في القرن الماضي . وهي فلسفة علمية تركّز على الاستقراء والاستنتاج الحسي والعقلي . لكنها لا تتناول سوى النظر في مختلف العلوم لرؤية صورة الكون بها . ولا تتعدها



الى التحليل العقلي والمنطقي للامور التي لا يمكن ادراكها كالعلة الاولى والكون والمبدأ والنهاية والازل والخبرية وغيرها . وهذا الضرب من الفلسفة المتعلقة باسس الديانات خاصة هو ما برز العرب به حتى ادهشوا عدداً كبيراً من فلاسفة اوربة لفرط الدقة في تحليلاتهم العقلية والمنطقية فراح اليسوعيون انفسهم يطبعون كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي وتهافت التهافت لابن رشد لان فيها اقوى جواب للملحدين واجمل استنتاج عقلي لوجود الخالق مبدع الاكون

واشتط غلاة المتعصبين من الافرنج فجعلوا الفلسفة الاسلامية صوفية ملأى بالاهام وقاتهم ان المسامين ولا سيما المعتزلة منهم قد هضموا وتمثلوا الفلسفة اليونانية وزادوا عليها في ناحية الدين خاصة وحللوها تحليلاً ما سبقهم اليه احد . ومن ذا الذي ينكر ان نظرهم الى العلة الاولى كان اجل وأسمى من نظر اليونان الذين جعلوا لكل شيء إلهاً حتى صار مجموع الآلهة مهزلة من المهازل الكونية . ولا غضاضة على العرب اذا اضطهد بعض رجال الدولة قسماً من فلاسفتهم بتحريض غلاة الفقهاء المتعصبين فان لهذا الاضطهاد أمثلة لا تحصى في الشعوب القديمة ولدى الاوربيين قديماً وحديثاً وما عدم التناحر بين الناس في زمن من الازمان على الآراء الفلسفية والمذهبية كما ان الخبيلات والاهام ما برحت شائعة لدى جمهرة الاوربيين حتى في يومنا هذا . والعامة هي العامة سواء في الشرق أم في الغرب وليس كل رجل من سواد الشعوب الاوربية كغستاف لوبون في تفكيره او كدروين في تحليله . والملة التي فيها عقول كعقول ابن سينا والكندي والفارابي والغزالي وابن باجة وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون وابن الهيثم واخوان الصفاء وابن مسكويه وغيرهم من اعلام الفلاسفة لا يقوى احد على الادعاء بأنها لم تقم بواجبها في سبيل تقدم العقل البشري

واذا انتقلنا الى الزراعة نجد ان العرب حذقوا التجارب الزراعية واصطفوا الاصناف النباتية المفيدة فقد اوجدوا عشرات من اصناف المشمش والتين والعنب والتفاح وغيرها وربوا الخيل والانعام وخبروا اهم امراضها ومداوتها . ولهم في خلق الخيل ولا سيما في الوانها وشياتها ودواؤها ملاحظات فانت الاوربيين انفسهم حتى في ايامنا هذه . ففي كتب الزرطقة الفرنسية لا يجد القارئ اسماء لدائرة السمامة ودائرة الحيا ودائرة المعوذ مثلاً بل يجد تلك الدوائر وامثالها مسجلة باسمائها العربية دون غيرها . والعرب فضل في نقل كثير من النباتات المفيدة الى اوربة كالقطن وقصب السكر والبطيخ والمشمش ومعظم اشجار الفصيلة البرتقالية وعدد كبير من العقاقير الطبية والابازير والافاويه . وترجمت العرب عن اليونانية والنبطية كتباً كثيرة في النبات والحيوان والزراعة والمماشية وألّف ابن العوام الاشبيلي في القرن السادس من الهجرة كتاب الفلاحة الاندلسية وقد ترجم الى الفرنسية والاسبانية . ومدحه العالمان الفرنسيان رنجلمان وباسي وقالوا ان هذا الكتاب يدل على ما كان للعرب من نظرات دقيقة في الطبيعة والكيمياء وانه مجموعة لاجل الابحاث والقواعد الزراعية التي كتب فيها الانباط واليونان والرومان عدا ما كان يتبع في الاندلس . ويتضح من ذلك ان



اجدادنا كانوا حفظة العلوم الزراعية ايضاً وانهم اضافوا اليها تجاربهم وملحوظاتهم مما فيه بعض فوائد عملية وحقائق علمية تقرأها عقولنا في ايامنا هذه . ويقتضينا الانصاف ان نقول ان ابحاثهم الزراعية لم تكن كلها علمية بل كثيراً ما يجد الانسان في كتبهم بعض الآراء السخيفة بجانب أجل القواعد المعقولة . وسبب هذا جهلهم حياة النباتات الداخلية في الغالب . وقد كان من المستحيل عليهم ان يتبعوا اسلوباً يقينياً محضاً في كل التجارب الزراعية قبل ان يعرفوا اسس النبات ووظائف اعضائه وبناء التراب والهواء كيمائياً وما هي أغذية النبات وكيف يتناولها . وكل هذه الامور الدقيقة لم تعرف الاً البارحة اي في القرن الماضي ، مثال ذلك اننا نقرأ في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ١٠٤) وصفاً لجذور النبات وكيف تتغلغل بين اجزاء الصخور وفي الآجر والخزف حتى في الفلّس البصري فتتقبه . ويقول الجاحظ ان ذلك ليس لشدة غزّ الجذور وحده رأسها ولكنه يكون على قدر ملاقة الطباع . فملاقة الطباع هذه هي الجملة الغيبية التي لا يفهم كتبها وسبب ذكره لها انهم ما كانوا يعرفون في تلك الايام ان الجذور تفرز حوامض تحلل او تذيب الاجسام الصلبة المذكورة فيسهل عليها اختراقها

\*\*\*

والعرب على الطب فضل واي فضل فهم وان كانوا تلامذة ابقراط وسقراط وجالينوس فقد بذّوا ساندتهم في كثير من ابحاث العلوم الطبية ولهم في هذا الباب بحوث علمية ليس للغيب اليها سبيل . ولطالما نعى عليهم خصوصهم قلة اهتمامهم بالتشريح وامراض النساء لاسباب دينية لكنه لا يسع اشد الناس خصومة لهم الا الاعتراف بانهم هم الذين درسوا ووصفوا الجدري والحصبة وهم الذين فتقوا الحصى وقدحوا العين وأوجدوا الصيدلة وزادوا في المفردات الطبية والادوية المركبة . ولهم نظرات صادقة لم يسبقهم اليها احد في امراض الاطفال والحميات الخبيثة وامراض الجلد ومعاينة البول والفتق والورم الباسوري وغيرها وهي امراض كثيرة . ولا جرم ان كل الذين يراجعون تاريخ الطب ويقرأون مادونه الاوربيون انفسهم في هذا الباب يجدون ان من اجد الصفحات المكتوبة بماء الذهب تلك التي تبحث عن اعمال الرازي وابن سينا وعلي بن عباس وابي القاسم الزهراوي وابن زهر والفارابي دغ جابر بن حيان في الكيمياء ورشيد الدين الصوري وابن البيطار في النبات فهؤلاء علماء لم يكتفوا بنقل العلوم الطبية والنباتية عن اليونان بل مزجوها بعلوم الكلدانيين والهنديين والفرس و اضافوا الى كل ذلك تجارب جربوها وادوية اوجدوها وامراضاً كشفوها كلها معقولة محسوسة تقرأها عقولنا اليوم كما اقرتها عقولهم في تلك الايام البعيدة . ومن الغريب انني بينما اكتب هذه المقالة في الثامن من كانون اول «ديسمبر» سنة ١٩٣٣ دفع اليّ موزع الصحف عدد اليوم السادس من الشهر المذكور من جريدة «الأهرام» واذا بي اقرأ فيه خبراً عن محاضرة للدكتور مايرهوف في المجمع العلمي المصري بحث فيها «في اكتشاف الدورة الدموية على يد الطبيب العربي ابن النفيس الذي كان



في القرن الثالث عشر من الميلاد» وحسب العرب نفراً ان كتبهم الطبية لبثت بضعة قرون تدرس في اوربة وحيدة لا منافس لها

ومن العرب الذين كان لهم في الفلسفة والعلوم نظرات يقينية صادقة جماعة اخوان الصفاء المشهورين فقد دونوا في مقالاتهم شيئاً لا يبعد عما قاله لافوازييه فيما بعد وهو ان لا شيء يتكوّن من العدم ولا شيء يندعم بل كل شيء يتحوّل . وعللوا حصول المطر اصدق تعليل . وبينوا كيف يمتص النبات غذاءه من التراب بواسطة جذوره وما فيها من قوة جاذبة . وقالوا بذهب النشوء والانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء وفوز الاصلح . ومن البديهي انهم لم يستطيعوا ان يأتوا ببراهين حاسمة على صحة هذا المذهب كالبراهين العديدة التي ادلى بها داروين فجعلته مرجع المذهب المذكور بلا منازع ، لان اثبات امور كهذه اثباتاً علمياً مبنياً على الاستقرار وعلى تتبع حيوانات عدة في مختلف صفاتها الخلقية يحتاج الى تقدم العلوم البشرية في كثير من النواحي التي كانت لا تزال مجهولة في العصور التي سطعت فيها المدنية العربية . ومع هذا فقد كانت آراء اخوان الصفاء في هذا الباب صحيحة وان اعوزتها الادلة العلمية . ولهم آراء لا بأس بها في تكوّن الجبال والبراري وثبات حرارة الماء في العيون صيفاً وشتاء وحصول المدّ والجزر والبرق والصاعقة وغير ذلك من البحوث الفيزياء «علم الطبيعة» التي كانت غامضة كل الغموض في تلك الايام سواء لدى العرب او لدى الامم التي درجت قبلهم . اما ابجاثهم في الفلسفة فكانت مستمدة من فلسفة أرسطو خاصة . واما ابجاثهم في الاخلاق والعلوم النفسية فكانت طريقة تدعو الى اكبار هؤلاء العلماء الذين شغفهم العلم فأولعوا به وعملوا في سبيله وهم لا يبتغون على عملهم جزاء ولا شكورا

وعلى ذكر الفيزياء لا يجوز ان نهمل ذكر ابن الهيثم ممن عاشوا في القرن الخامس من الهجرة فلقد كان عالماً بالهندسة والفلك وسائر الرياضيات وله في البصريات ابجاث فاق بها بطامبوس اليوناني ولا سيما في انعكاس الضوء والعدسات وتثريح العين وغيرها . ولا بد لنا ايضاً من ذكر ابناء موسى اصحاب كتاب الحيل والبيروني الذي تمكن مع غيره من الوصول الى حساب الوزن النوعي لبعض الاجسام . لكن كل ذلك لا يعد تقدماً محسوساً في علم الفيزياء . والحقيقة ان دساتير هذا العلم المهمة كلها وليدة المدنية الحديثة منذ عهد غليليو ونيوتن في الميكانيكا الى ابجاث فولطا وفرنكن وفرادي في الكهرباء . ولا يزال في هذا العلم المهم غوامض لم يتمكن العلماء من كشف القناع عنها بالرغم مما لديهم من الوسائل التي تسهل عليهم البحث والتنقيب

ومن المعلوم ان اصعب جزء من اجزاء الفلسفة الوضعية واكثرها تعقيداً ذاك الذي يبحث عن علم الاجتماع وقواعده لان علاقات البشر بعضهم ببعض تابعة لعوامل كثيرة ولان سنن الاجتماع لا تسير على وتيرة واحدة في كل الاحوال بسبب تأثير هذه العوامل فيها . ولذلك اعجب الشرق والغرب معاً بذلك الفكر المتقدم الذي املى على ابن خلدون قواعده الاجتماعية والاقتصادية في مقدمة



تاريخه الشهيرة حتى عدَّ بحق واضع أسس الاجتماع واصل الاقتصاد السياسي قبل مكيفاتي ومونتسكيو وسميث وغيرهم من علماء الغرب . وقد اخذ بعض العلماء في اوربا يدرسون منذ اواخر القرن الماضي آراء مؤرخنا الفيلسوف ويحللون بها ويقارنونها بأمثالها من وضع علماء هذه الايام . وكلهم يجمعون على أن ابن خلدون هو أول من بحث عن أسس فلسفة التاريخ والاجتماع والاقتصاد وان بحثه لما كان على طريقة علمية معقولة لاعلى طريقة غيبية اي أنه كان يعلل الحوادث الاجتماعية والاقتصادية تعليلاً مبنياً على المشاهدة والاستقراء والاستنتاج العقلي لاعلى اوهام وخيالات واعتقادات مذهبية قد لا يكون لها ارتباط بالحوادث التي كان يدرسها . وهذه التعليقات المجردة هي التي جعلت لابن خلدون شيئاً كبيراً ومنزلة ممتازة في تاريخ العلوم التي تناولها بأبحاثه الطريفة

وهذا الجاحظ ادينا الاكبر الذي انقادت له اللغة واطاعه البيان حتى اتانا بالمرقص المسكر من آيات قلعه فلقد اعدت الكرة اخيراً على كتابه الشهير المسمى كتاب الحيوان فوجدت في تضاعيفه عدداً كبيراً من الآراء العلمية القويمة وتفنيداً لاقوال بعض علماء عصره الذين كانوا يخطون في الكلام في الامور العلمية . ولم يستثن احداً ممن قرأ لهم كتابات غير معقولة فتناول بقلمه اليونانيين حتى صاحب كتاب المنطق نفسه . ومما علاه تعليلاً حسناً ملوحة البحر وعذوبة الامطار والثلج واستحالة الحطب في الاحتراق والزيث في المصباح . لكنهم كانوا يرون في تلك الايام ان النار جوهر مستقل . وعلل صعود الهواء وانحدار الماء لا بالجاذبية والثقيل النوعي بل بانجذاب الاجسام بعضها الى بعض . وقال عن بعض العرب ان الجسم يكون بارداً على قدر قلة الحرارة فيه والظلام انما هو فقدان الضياء . وهذه الامور زراها اليوم بسيطة وما كانت كذلك قبل عشرة قرون . ولاحظ انطفاء النار في الآبار والخفاب وفتوق الارض واتخذ ذلك دليلاً على عدم امكان الحياة فيها لكنه لم يذكر لهذا الحادث اسباباً . وذكر مقاومة الماء وطفو الاجسام ولاسيما المراكب وعلل ذلك تعليلاً لا بأس به . ومما لاحظته تأثير البيئة في الوان الاحياء كاخضرار بعض الحشرات في المباقل واسوداد بعض الحيوانات في الحررة واغبرار بعضها في السهول . وآمن بحصول هذه التبدلات على كرايام وعلى مقتضى المؤثرات الطبيعية المختلفة فكانه قال بحصول التطور على كرا الدهور . وهناك مسألة اقضت مضجع شيخنا الكبير وهي كيف تحصل بعض الاحياء بلا بيض وبلا حمل كالحشرات التي تتولد في جمار النخل وكسوس الحبوب والارضة ودود الجيف ودود المعدة الذي يحصل من الطعام والطعام خلومنه . وباليته كان لدى شيخنا مجهر اذن لرأى به الجراثيم العديدة وبيض الحشرات الدقيق ولظل على رأيه من ان الحي لا ينشأ الا من الحي . وقد وصف الجاحظ بعض الحيوانات كالخفاش والذر وغيرها وصفاً دقيقاً يدل على شدة فراسته وقوة ملاحظته وفرط حذره ائلاً يكون في كتابه صفة تخالف حقيقة الحيوان او فكرة لا يقرها العقل ولا توصل اليها التجارب . ولو اردت بيان كل ما ورد في الكتاب المذكور من الآراء العلمية والفلسفية السديدة لكتبت في ذلك عدة صفحات



هذه صورة صغيرة وبسيطة توخيت فيها ان اظهر لكم ان العرب الاقدمين لم يعدموا ابان مدنيهم الزاهرة عقولاً أخذت بالاساليب العلمية في ابحاثها دون التأثر بأراء فلسفية سابقة . ولئن كان عدد الذين اتبعوا هذه الطريقة من البحث قليلا او كانت الاساليب الغيبية شائعة في تلك الايام البعيدة فما ذلك الا لأن العقل البشري لا يتكامل واسرار الطبيعة لا تكشف في سنة او سنتين او قرن او قرنين . وليس من الانصاف ان نطعن برجال عاشوا في القرون الوسطى تكنتهم اسرار الطبيعة وأحاجيها التي لا تحصى اذا هم لم يجدوا لسكل باب مغلق مفتاحه . واذا عدلنا في حكمنا عذرناهم كما نعذر فطاحل علماء القرن التاسع عشر كداروين وهكل وبستور وامثالهم اذا هم جهلوا بعض دساتير الكهرباء ومخترعاته مما يقرأه الاولاد في المدارس في ايامنا هذه . ونحن الذين نفخر بسعة معلوماتنا ومخترعاتنا ربما لا يمر قرن او اثنان حتى يرى ابناء تلك الايام اننا كنا نجمل علومنا هي عندهم من بسائط العلوم . وربما رثوا لحالنا لانهم يتمتعون في الحياة بوسائل لا عهد لنا بها اليوم وذلك كما يتمتع اليوم سواد الشعب حتى من العامة بالضوء الكهربائي والسيارة والقطار والسيما والتدفئة ببخار الماء وغيرها مما لم يحظ به الفراعنة والقيصرية والاكاسرة والخلفاء في ابهة الملك وعز السلطان . فحسب العرب فخراً انهم جدوا في سبيل العلم وانفقوا عن سعة وتلقوا علوم الاقدمين واحتفظوا بها وتدارسوها وهضموها وزادوا عليها ثم وقفوا مضطرين لا مخيرين على اثر غزوات المغول والتتر في الشرق والاسبانيين في الغرب . والمنصف لا يلوم أمة نامت عن طلاب العلم وهو يرى رجالها قد قتلوا وبلادها قد خربت وكتبها قد حرقت او القيت في الانهار الكبيرة ويراها كلما جمعت شملها ووقفت تريد العمل منيت بفاتح جديد من سفكة الدماء ومدمري العمران . وأكبر دليل على وجود القابلية التامة في هذه الامة للاخذ بالاساليب العلمية الحديثة انه ما كادت مصر والشام تحتكان بعلماء الغرب منذ بضع عشرات من السنين وما كادت مصر تفلت من حكم الاتراك والمماليك وتنعم بحكم الاسرة العلوية الرشيدة وعلى رأسها محمد علي اكبر حاكم مفكر انجبه الشرق في القرون الاخيرة ، حتى رأينا المدارس العلمية تفتح لتلقين العلوم على انواعها ورأينا المعامل والمصانع تؤسس على احداث الطرائق المعروفة

والنهضة الحديثة للاقطار العربية شيء محسوس لا سبيل الى نكرانه . لكن الاديب المصري الذي المعت اليه سابقاً لم يهتد الى حادث او عامل او نقطة ارتكاز كما يقول يصح تسميتها بالمحور الذي اجتمع حوله الاسلوب العلمي الحديث . وهو يرى في مقال نشره في المجلد الثامن والستين من المقتطف ان لا عهد نابليون في مصر ولا عهد محمد علي ولا تعاليم جمال الدين الافغاني ولا ثورة عرابي ولا ثورة ١٩١٩ تصح ان تعد مبدءاً انقلاب الافكار في مصر ذلك الانقلاب الذي جعل جمهوراً كبيراً من الشعب يطرحون الاسلوب الغيبي ويتخذون الاسلوب العلمي في تفكيرهم . ومع هذا فهو لا ينكر وجود الانقلاب في التفكير او وجود النهضة نفسها . والحقيقة ان نهضتنا



الآخرة لا ترتكز على عامل واحد بل على عوامل عدة توالى منذ أيام نابليون الى اليوم . واذا كان كل واحد من هذه العوامل لا يعد في ذاته المؤثر الاكبر الذي ادى الى انقلاب الاسلوب في تفكيرنا فمن خطأ الرأي ان ننكر كونه حلقة من سلسلة المؤثرات التي نهضت بنا في هذا الصدد .

ففي أيام حملة نابليون بدأ الناس يشعرون برجحان العلوم الحديثة وبالقدرة المادية المنبعثة عنها وأخذ مفكرهم يتطلعون الى معرفة هذه العلوم . ثم أتى محمد علي الكبير فأدرك بفرط ذكائه وشدة عزيمته ان لا سبيل الى اتقاء استعمار الغرب الاّ بنهوض الامة وان نهوضها يتوقف على تلقيها العلوم الحديثة بالاساليب التي اتخذها الاوربيون انفسهم فكان ما كان من فتح المدارس وتأسيس المعلم وارسال التلامذة الى اوربا وقيام المترجمين يترجمون زبدة العلوم الغربية حتى اشبهت أيام محمد علي في القاهرة أيام المأمون في بغداد . ومن البديهي ان الافكار اخذت تتبدل منذ ذلك الحين متأثرة بهذه المؤثرات حتى جاء جمال الدين الافغاني فحمد عبده وتلامذته فأخذوا يقنعون الجمهور بأن الدين لا ينافي العلم وانه لا ضرر من تعلم العلوم الحديثة على انواعها سواء في المدارس الدينية ام في غيرها . وعندئذ صار النباه ينظرون الى العلوم غير نظرتهم الاولى وصاروا يرون الله سبحانه وتعالى فوق النواميس الطبيعية وفوق اعمال البشر الرفيعة منها والوضيعة . ولذلك لا يمكن ان يكون تعلم العلوم الحديثة الحاداً . ثم اتت الصحافة ولا سيما المجلات العلمية فكان لها في هذا الموضوع تأثير كبير . أما اليوم فقد رسخ التفكير على الاسلوب العلمي في رؤوس جبهة كبيرة من الشعب . وصار لدينا في انحاء البلاد العربية جامعات ومختبرات لا تسير في اعمالها الا بمقتضى هذا الاسلوب . وقد تعدت مناهج الجامعات الدينية نفسها وازيف الى دروسها جملة صالحة من العلوم المادية . وأرى انه لن ينقضي زمن طويل حتى نرى بين شيوخنا المتعممين الاجلاء اختصاصيين بمختلف العلوم المادية . فكما ان النصرانية لا تحول دون تعلم الرهبان دقائق العلوم الحديثة كذلك الشريعة الاسلامية السمحة لا تحول دون ذلك بل تحث عليه . وكما اننا نرى قساوسة صاروا اطباء وعلماء اختصاصيين بالنبات والجيولوجية والهندسة واضرابها كذلك سنرى عما قريب متعممين قد اتقنوا تلك العلوم وصاروا اقدر على بث كلمة الله العليا . واعرف في دمشق دكتوراً في الطب متمعماً ما ترك عمامته اثناء الدرس ولا بعده وهو من اسرة فقهاء ذوي منزلة في الدين رفيعة . ولعله يعد نموذجاً لمن جمعوا بين علوم الدين وعلوم الدنيا فكانوا اصلح من غيرهم لبث فضائل الدين والحث على العمل في هذه الحياة الدنيا

ومما يتخذ دليلاً على رسوخ الاسلوب العلمي في تفكيرنا ان الانكليز عندما تركوا المصريين امر المدارس في مصر منذ بضع سنين على اثر تبدل سلوكهم السياسي لم تتأخر شؤون التعليم بل تقدمت ففي مدرسة الجيزة الزراعية مثلاً اتسعت موضوعات الدروس التي تلقى وكثرت التجارب وازدادت أدوات المخبر . ثم انشئت الجامعة المصرية وزيد في عدد مدارس الاحداث زيادة لا يستهان بها . ومما



لاريب فيه ان جلالة الملك فؤاد يداً بيضاء فيما نحن بصددده. لكنه مما لاريب فيه ايضاً ان صاحب التاج وحكوماته قد وجدوا في نفوس الشعب استعداد لتلقن العلوم الحديثة. وهذا الاستعداد ليس ابن يومه بل هو نتيجة تأثير العوامل التي سررتها والتي ما برحت تعمل عملها منذ أيام محمد علي على الاقل. وهذا العراق القطر العربي الشقيق فهو ما كاد ينفصل عن الترك حتى رأينا شعبه يتجه نحو العلوم الحديثة اتجاهاً النزيف الى الماء البارد فاسس دور المعلمين ومدارس التجهيز ومئات من المدارس الابتدائية ومدرسة للزراعة واخرى للطب وثلاثة للحقوق وبعث مئات التلاميذ الى جامعات الشام ومصر واوروبا حتى قطع في عشر سنين ما لم يقطعه خلال قرون من العهد السابق. وهنا ايضاً يجب ان نذكر سيدي فيصل طيب الله ثراه ونذكر زعماء العراق بالحمد والثناء لكنه يجب ان لا يغرب عن البال ان بوادر انقلاب التفكير كانت كامنة في الشعب العراقي ايضاً لانه ما برح متصلاً بحركة مصر والشام الفكرية واتجاها الاقطار العربية نحو الاسلوب العلمي جعلنا نسيخ العلوم الحديثة ونهضمها لكننا لا نزال الى اليوم تلامذة نتلقن تلك العلوم دون ان يكون لنا اشتراك يذكر في تقدمها. ومن الامثلة على ذلك ان عدد الاطباء الاختصاصيين لدينا كبير لكن عدد الذين كشفوا عن شيء من الامراض والجرائم وطرائق المداواة قليل. ولدينا في الزراعة مختبرات وحقول للتجارب ندرس فيها امراض الزروع وحشراتهما وتتوخى ايجاد اصناف زراعية مفيدة لكن معظم هذه الاعمال يتوفر لها اساتذة أجنب في الغالب. وهكذا حالنا في سائر العلوم على انواعها. ونحن مقصرون حتى في تعرف بلادنا واستقصاء امورها. وقد سابقنا الغربيون في هذا المضمار فسبقونا. مثال ذلك ان الشام مدين الى بلانكنهورن ولارته وزموفن في الكشف عن طبقات أرضه والى فرسكال وشوينفرت وبوست في درس نباتاته والى رو في بيان معادنه علمياً واقتصادياً والى غريفيل الفرنسي في درس حيواناته المائية ومصايد انهاره وبحاره والى بضعة علماء في وصف مصانع وآثاره. وهكذا الحال في مصر والعراق والمغرب والاقطار العربية السائرة. ويجب ان لا يستنتج من ذلك اننا جمدنا على حالة رضينا بها دون ان نطمع الى تحطيمها. فنحن اليوم وان كنا نغتذي بزااد الغرب من العلوم فليس ببعيد ان يأتي يوم نساهم فيه بايجاد ذلك الزاد ونجويده كما فعل اجدادنا بزااد علوم الاقدمين من قبل. وبحال العمل في سبيل تقدم العلوم والفنون واسع جداً. ولئن كان تناول بعض العلوم المهمة لا يتيسر الا للام الكبيرة الغنية بالمال والمختبرات فأمامنا ما هو دونها من الابحاث العلمية وهو في متناول كل فرد منا اذا صححت عزيمته على العمل وكان متحلياً بصفات العلماء

والخلاصة ان مما يثاج الصدر ويبشر بحسن المصير كون الشعوب الناطقة بالضاد قد اخذت تطرح في تفكيرها الاساليب الغيبية القديمة وصارت تنهج نهج الاسلوب العلمي القويم. وليس بمستنكر على امة خطت بالعقل من دياجير الشرك وعبادة الاوثان الى التوحيد العالي وحفظت علوم الاقدمين وانتمها ان تهب اليوم الى العمل مع الشعوب المتمدينة في صلاح الانسانية وتقدم العقل البشري



## الزهرة السوداء

الزهرة السوداء واقفة في الروض بين فروعها الخضر  
 نظرت بعين لا بياض بها مطموسة في السميت والشمر  
 ترنو ولكن لا ترى احداً فتحار بين بقية الزهر  
 فكأنها بعض النجوم خبا واشتط بين الانجم الزهر  
 او منية للنفس خائبة لبست حداد الذل والقهر  
 مبهوتة لم تبتسم ابداً عن سافر طلق وعن ثغر  
 مشغولة في نفسها فلها لا فرق بين الروض والقفر  
 فيها الوداعة والليان وما خُصَّت به الزهرات من طهر  
 وبها الارجح ومثلها لبست نسجاً من الاضواء والقطر  
 لكنما تجري الحياة لها حزناً وتُغذى الليل في الفجر

\*\*\*

يا حبة القلب التي نبتت في الروض رمز اليأس والصبر  
 اني شقيقك في الحياة ولي ماء الحياة مرارة يحجري  
 وأروح مبهوت الفؤاد بلا امل وأغدو حار الامر  
 ويسيل لي هذا الضياء دجى وازل في يأس من العمر  
 وأرى ولكن لا ارى احداً يدري ومثل سواي لا ادري



# النيل في العهد الفرعوني

ترعه ، مدنه ، سفنه ، خزّان الفيوم

للكنوز حسن كمال

اما طريقة تصريف مياه النيل على الاراضي فكانت بواسطة الترع وتقسيم الاراضي الى حياض بواسطة جسور . واعلم ان هذه الجسور كان يعهد في حراستها الى خفراء اكفاء لمنع قطعها في أي بقعة حتى لا يتسبب عن ذلك تلف الزراعة وغرق البهائم والقرى . وقد اهتم القوم كثيراً بهذه الحراسة حتى عهدوا في ادائها الى قوة كبيرة من الفرسان والمشاة واسسوا المكاتب العديدة للاشراف عليها وزودوها بالاعتمادات المالية الكبيرة للمحافظة عليها وجعلها دائماً في حالة جيدة . وفي العصر الروماني كان يعاقب كل من يتلف جسراً بالاشغال الشاقة في الاعمال العمومية او المناجم او يومس ثم ينفي الى الواحات . قال استرابون ان مشاريع الترع والجسور كانت غاية في النظام والترتيب حتى تمكن القوم بذلك من ري الاراضي التي كان يتعذر ريها لو تركت لطبيعتها وهكذا اصبحت الاراضي البعيدة تروى بالترع كالاراضي التي يغمرها فيضان النيل مباشرة

وبديهي ان فيضان النيل اذا زاد عن الحد المعتاد هدد القطر بالغرق لان القرى مشادة بالبن وهذا الاخير اذا تشبّع بالمياه تحول الى كتل طينية . ثم ان غمر القرى بالمياه يحول دون انقاذ اهلها وحيواناتها . قال بلنيوس ان الفيضان اذا زاد على ستة عشر ذراعاً حلّ القحط بالقطر كما يحلّ لو بلغ اثني عشر ذراعاً او اقل . ( راجع ولكنسون )

وكانت عناية القوم بالترع لا تقلّ عن عنايتهم بالجسور . فكانوا يعهدون الى مديريهم في المحافظة على ترعهم التي كانت مركبة عليها المصارف اللازمة والفتحات التي تمكن من ري الاراضي بانتظام بحسب الحاجة . وري الاراضي في تلك العصور كان مترتباً على ارتفاع سطحها ونوع النباتات المزروعة فيها . فاذا ماتم الحصاد وانتهت الزراعة اطلقت فيها المياه من اقرب الفتحات اليها . واذا هبط منسوب النيل وبدأ الفيضان في الزوال تقفل فتحات الري وتمنع المياه من الانصراف في النهر او الترع حتى تأخذ الارض ما يلزمها من المياه وتكتسب اكثر ما يمكن من الغرين . وبمجرد ما يتم ذلك تفتح الفتحات فتتسرب المياه في النهر . وجفاف الجو وحرارة الشمس في القطر سرعان ما يجففان





أحد ملوك الأسر الأولى يشق الأرض احتفالاً بحفر قناة  
جديدة (مأخوذة عن المستر كويل)



الارض . لذلك حالما تتسرب المياه ووقما تكون الارض رطبة يبدأ الفلاح في تهيئتها للزراع بالطرق المباشرة التي تتطلبها طبيعة الارض وجغرافيتها ونوع النبات المراد زراعته فيها ولا ادل على اهتمام الفراعنة بحفر الترع اللازمة لري الاراضي من الاحتفالات الرسمية التي كانت تمام لذلك ويشترك فيها الملك بنفسه . فيأخذ بيده الفأس ويشق الارض لأول مرة مسجلاً بذلك مسوره بهذا العمل الجليل . ويحمد القاريء في الشكل رقم ١ ( المأخوذ عن الاستاذ برستد في كتابه تاريخ مصر القديم ) احد ملوك الاسرة الاولى يشق الارض بفأس احتفالاً بحفر قناة جديدة لابساً رداءً منبتاً فوق الكتف ومنتهياً من الخلف بذيل أسد

وكانت للنيل عدة مدن يحتمل انها كانت موقوفة له منها ( حات حمي ) ، ( نويت حمي ) ، ( نيلوبوليس )

اما سفن النيل فكانت على انواع متعددة . بعضها مصنوع للسياحة الخصوصية او للزهة والبعض الآخر للشحن . وهذه السفن في مجموعها تختلف شكلاً عن سفن البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر وايضاً عن السفن الحربية النيلية التي كانت تستعمل للحراسة ولفتوحات السودان . اما النوتية فبعضهم كان معيناً من قبل الحكومة كالذين يعهد اليهم في نقل الاحجار الى المعابد . والبعض الآخر اقل درجة من هؤلاء يقومون بشحن البضائع الصغيرة وهم اشبه بالبحارة الحاليين في سفن النيل والملاحظ دائماً ان عمل النوتي المكلف ادارة الدفة كانت محل اعتبار وامتيار . ومثل هذا الشخص في السفن الحربية كان اعلى درجة من سائر النوتية . اما الشخص المكلف ملاحظة ( الهلب ) فكان يأتي بعد القبطان في المرتبة

وكثيراً ما تشاهد السفن النيلية منقوشة على المقابر المصرية القديمة . فقبرة ( باحري ) مثلاً التي في جهة الكاب والتي يرجع تاريخها الى الاسرة الثامنة عشرة ( ١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م ) تحوي رصين لسفينتين نيليتين احدهما مشدودة الشراع متجهة جنوباً ( اي ضد التيار ) . والثانية مطوية الشراع وسائرة شمالاً بواسطة التيار والمجاذيف . وكلتا السفينتين تشبه احدهما الاخرى تماماً . وفي كل منهما حجرة صغيرة ذات نافذتين وبسطة بمقدم السفينة واخرى بمؤخرها . وتشاهد عربة على سطح الحجرة وخيل خلف النوتي . ويستنتج من كل هذا ومن الالوان الزاهية المزينة بها هاتان السفينتان انهما كانتا تستعملان لزهة هذا الامير . وفي مقدم السفينة السائرة جنوباً يلاحظ نوتي قابض على مدراة يسبر بها غور البحر ليجتنب الاصطدام بقاءه . وفوق هذا النوتي كتبت كتابة هذه ترجمتها : —

« دعنا نعطي الاشارة لنذهب ونتجه الى بيت المال تلك البلدة الجميلة الزاهية ! فيرد عليه القبطان لا تتكلم سدى ايها الشخص الواقف على مقدم السفينة » .

وبهذه الطريقة وامثالها يمد الباحث الكثير من السفن مرسومة على المقابر والمعابد . ومن هذه



الرسوم يتضح للإنسان أن السفن كانت أهم واسطة للانتقال بين البلدان البعيدة ولشحن المحاصيل والحيوانات وللقيام بالغزوات والرقابة والنزهة والصيد وغير ذلك وليس هذا مقام الإفاضة فيها لذلك سنكتفي الآن بما أوردناه

وقبل الفراغ من هذا البحث يجدر بنا أن نذكر شيئاً عن طرق الري التي أنشأها الفراعنة بأقليم الفيوم وما جناه القطر من هذه المشروعات العظيمة ومقدار ما أمكن توفيره من مياه الفيضان السنوي لينتفع به الوجه البحري بعد زواله

معلوم أن إقليم الفيوم يقع في صحراء لوبيا على ارتفاع ٣٠٠ او ٤٠٠ قدم فوق سطح البحر. أما اسم الفيوم فأصله بالمصرية القديمة (بايوم) أي اليم أو البحر. وهذا الإقليم هو في الحقيقة أقرب واحة لوادي النيل. وهو خصب التربة جيد المناخ يضاوي المساحة تحيط به التلال. وقد استمرت شهرة هذا الإقليم عالية حتى العهد البطالسي والروماني. فقد قال عنه استرابون «أن مديرية الفيوم أغرب المديرية بالنسبة إلى مناظرها الفتانة وخصبها وزراعتها. فهي الوحيدة التي تكثر فيها زراعة الزيتون بنجاح. ومعلوم أن كلما حسن الزيتون طاب زيتة. وكلما أهملت زراعته ساءت رائحة زيتة. ولا يوجد بالقطر المصري إقليم آخر يزرع فيه الزيتون كالفيوم إلا حدائق الاسكندرية. لكن في هذه الأخيرة يجد الإنسان الزيتون دون الزيت. أما العنب والقمح والحبوب الأخرى وغيرها فتكثر في هذا الإقليم (أي الفيوم)

والبحر يوسف يرجع الفضل الأكبر في خصب الفيوم. وهذا البحر يتفرع من رعة الإبراهيمية بالقرب من ديروط. ثم ينقطع عند اللاهون ويحترق سلسلة جبال لوبيا. ثم يتفرع هناك إلى عدة أفرع تتوزع بواسطة المياه إلى سائر جهات الإقليم. وبعد ما يدخل بحر يوسف مديرية الفيوم يأخذ سطح الأرض هناك في الانخفاض تدريجاً نحو الغرب حتى الشاطئ الشرقي لبركة قارون (راجع نموذج مديرية الفيوم المحسم بمتحف الجيولوجيا بالقاهرة)

وكانت مديرية الفيوم تعرف قديماً باسم (تي شي) ومعناها (أرض البحيرة) نسبة إلى البحيرة الكبرى الوارد ذكرها كثيراً في كتب المؤرخين والجغرافيين اليونانيين تحت اسم «بحيرة موريس» (وأصله بالمصرية مو — ار ومعناه البحيرة الكبيرة). ولم يبق منها الآن إلا بركة قارون. وفي أقدم العصور كانت البحيرة تشمل كل الإقليم لكنها جفت تدريجاً في الأزمنة التاريخية إلى أن أصبحت محصورة بين قصر الصاغة شمالاً وبياهمو وانشواي والعجميين جنوباً ويبلغ طول ساحلها ١٤٠ ميلاً ومساحتها حوالي ٧٧٠ ميلاً مربعاً. أما مسطح مياهها فكان أعلى من مسطح مياه البحر الأبيض المتوسط بحوالي ٧٣ قدماً. وهو الآن أقل منه بحوالي ١٤٤ قدماً. وهكذا لما جفت بحيرة موريس القديمة خلفت جنوبها إقليماً خصباً تأسست عليه مدينة (شدت) المعروفة باسم كركوديلو بوليس والتي كانت محاطة بالجسور لحفظها من الفيضان النيل. وكثير من حكام الأسرة الثانية عشرة



استوطنوا الساحل الشرقي لهذا الاقليم وعلى الاخص امنمحت الثالث (١٨٢٠ قبل الميلاد) واختارت الملكة (ني) زوجة امنوفيس الثالث (١٤١١ - ١٣٧٥ ق. م) اللاهون مسكناً لها . وفي العهد اليوناني وعلى الاخص في عهد بطلميوس الثاني المعروف باسم فيلادلفاس صغرت البحيرة بواسطة الجسور الى ما يقرب من حجمها الحالي فاكسبت بذلك عدة اراضي للزراعة كانت سبباً في عمار هذا الاقليم كما يستدل عليه من المدن الياضعة والقرى الغنية التي كانت مشادة عليها . وفي عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ ميلادية اكتشفت مشروعات الري الكبرى التي أسسها فيلادلفاس المذكور وقد وصف استرابون هذه البحيرة قائلاً : —

ان هذه البحيرة بالنسبة الى حجمها وعمقها كانت تخزن مياه النيل بسهولة بدون اغراق الاهالي والحبوب . فاذا ما انخفض النيل وزالت زيادة مياه البحيرة عن طريق القناة (بحر يوسف) اصبح مقدار المياه الذي فيها كافياً لري ذلك الاقليم . وهناك اهوسة عند طرفي القناة يشرف عليها مهندسون لمراقبة مقدار المياه الداخلة فيها والخارجة منها . ولا تزال بالقرب من اللاهون بقايا هويس قائمة حتى الآن

اما قول هيرودوتس ان هذه البحيرة اصطناعية فخطأً فضلاً عن مناقضته لرواية استرابون وشمال مدينة الفيوم توجد تلال قدرة تعرف باسم كيمان فارس مساحتها ٥٦٠ فداناً هي في الحقيقة بقايا كركوديلو بوليس او ارسينو . وهذه التلال هي اكبر آثار مصرية باقية لمدينة قديمة وقد استعمل كثير من اتربتها للسباح وصنع الطوب . وهذه المدينة كانت تعرف قديماً باسم (شدت) كما المعنا سابقاً . وكانت مركز عبادة التمساح المعروف قديماً باسم (سبك) والى هذا الاخير كان يعهد في محافظة الاقليم . وهذا هو السبب في ان اليونان سمو البلدة كركوديلو بوليس اي مدينة التمساح . لكن هذه المدينة لم يكن لها شأن كبير في السياسة مدة وجودها . وفي عهد بطلميوس الثاني اصططعت بالصيغة اليونانية وشيدت فيها احياء يونانية وكذا معابد يونانية ومدارس وغير ذلك . ولما رقيت بعد ذلك الملكة ( ارسينو ) الى درجة التقديس هناك سميت المدينة باسم مدينة ارسينو . وقد بلغ مقدار سكان هذه المدينة في ريعانها المائة الف نسمة

وفي مديرية الفيوم ترك امنمحت الثالث اهم آثاره . لكن اول من تداخل في طبيعة هذا الاقليم هو امنمحت الاول . ولا يزال تمثله عند مدينة الفيوم ثبت ما اكتسب هذا الملك من مساحة عظيمة من البحيرة الاصلية لاستغلالها للزراعة . ولا يبعد ان يكون الجسر العظيم القريب من المعبد القديم هناك جزءاً من اول خزان شيد لكسب بعض الاقليم من البحيرة . وهذا الخزان لابد ان يكون ممتداً حتى إيجيج التي تبعد حوالي ثلاثة اميال او اربعة عن المعبد وذلك في عهد اوسرتسن الاول الذي لا تزال مسلته منصوبة هناك للآن

فلما حكم امنمحت الثالث قامت حكومته بعمل مشروعات الري الكبرى في الفيوم فانشأت



خزاناً كبيراً ( هو في الحقيقة جسر عظيم ) طوله حوالي العشرين ميلاً في البحيرة مكتسباً بذلك ما مساحته عشرين ألفاً من الافدنة . وهذه الاراضي المكتسبة هي اخصب الاراضي هناك وفي الطرف الشمالي لهذا الخزان ( وهو المعروف الآن باسم بياهمو ) شيد رصيفان كبيران بالأحجار ونصب عليها تمثالان شاهقان لهذا الملك كل منهما مصنوع من قطعة حجرية واحدة ارتفاعها حوالي ١٣ متراً . وفي المتحف الاثمولي باكسفورد بقايا هذين التمثالين . ولم يكن المقصود من اقامة هذا الخزان اكتساب اراض خصبة للزراعة فقط بل كان الغرض منه ايضاً التحكم في تصريف مياه النيل من البحيرة واليهما . وقد استمرت هذه الرقابة حتى زمن هيرودوتوس . وبقيت هذه البحيرة آلاف السنين تستعمل خزاناً لمياه الفيضان للانتفاع به بعد زواله . وهكذا يرجع الى قدماء المصريين الفضل في انشاء الخزانات منذ اقدم العصور ( راجع خريطة الفيوم )

ثم اهل هذا المشروع لسبيين اولهما رسوب غرين النيل بنسبة اكبر في الارض القريبة من النهر عنها في الارض البعيدة . فنجم عن ذلك ارتفاع منسوب الاراضي القريبة من شاطئ النيل وارتفاع منسوب قاع النهر نفسه عما كان عليه سابقاً فتعذر بذلك صرف المياه المخزونة في النيل ثانية . ثانيهما ان البطالسة كانوا مهتمين باكتساب اراض واسعة باقليم الفيوم لانشاء مستعمرات للجنود المقدونيين ( وخصوصاً في عهد بطليموس سوتر ) . لذلك اقتصر على ارسال مياه النيل في البحيرة بمقادير تكفي فقط لري الفيوم . وهكذا تركت البحيرة تجف تدريجاً . وهكذا تمكن الجنود المقدونيون من الاستيطان هناك هم وعائلاتهم فنشأت المدن وشيدت المعابد

واهتم امنمحمت الثالث بتجميل المعبد الذي اقامه اجداده بمدينة التمساح ( كركوديلوبوليس ارسينوا ) تلك المدينة التي كانت تعرف وقتئذ باسم ( شيد ) اي المدينة المنقذة او المكتسبة اشارة الى المجهودات العظيمة التي بذلها الفراعنة في انقاذ اراضي البحيرة الخصبه واكتسابها لاستعمالها في الفلاحة

وقدر المهندسون حديثاً مقدار المياه التي كانت تحجز في بحيرة الفيوم وقت الاسرة الثانية عشرة بضعف حجم مياه النيل اسفل اقليم الفيوم لمدة مائة يوم ابتداء من اول ابريل من كل عام وحكم امنمحمت الثالث مصر مدة خمسين سنة حل فيها النعيم والامن والسكينة في البلاد حتى ترنم القوم بحلالته قائلين ما تعريبه :

هو ( اي الملك ) يكسو القطرين حلة خضراء اكثر من النيل العظيم  
لقد زاد القطرين قوة ..... ( كيف لا ) وهو نفس الحياة المرطب للانوف .....  
هو الذي يوزع الخيرات على تابعيه . هو المغذي لخلقائه  
هو الغذاء وفيه الخير ( راجع تاريخ مصر القديم تأليف برستد وترجمة حسن كمال )



# مزلق التفكير

كتبت بعد تصفح كتاب « اميل » لجان جاك روسو

لنا هيار

من البديهيات ان محاربة المرض لا تستلزم اعدام المريض . بل على الضد من ذلك ، ان الحرص على حياة المريض وسلامته هو الداعي الاول لمحاربة المرض والسعي في استئصال شأفته . وقد اخطأ كثيرون من المفكرين هذا الخطأ الفاضح . ومنهم جان جاك روسو ، احد اساطين الادب في القرن الثامن عشر ، وكان ندّاً لفولتير وديدرو ولافري وهلفتيوس . وزاد عليهم تفكيره الخاص ، الذي يلخص في العبارة الشهيرة (عودوا الى الطبيعة)

هذا هو نداء روسو الذي هزَّ به العالم هزّاً عنيفاً . رمى به الى محاربة المدنية والهيئة الاجتماعية والعلم والفن . زاعماً ان اضرار العلم تربى على فوائده . فهو يؤثر الجهل على العلم ، والفطرة على العقل ، والهمجية على الحضارة ، والحيوانية على الانسانية . على انه فات روسو ، ومن هنا نحو روسو ، ان الحضارة والعلم والفن والارتقاء هي من الطبيعة التي يدعوننا اليها قائلاً (عودوا الى الطبيعة) زاعماً ان تلك الاشياء منافية للطبيعة فالحضارة والارتقاء والهيئة الاجتماعية والعلوم والفنون والسياسة والصحف والجمعيات والاندية وما شاكل ذلك ، هي فروع شجرة الطبيعة . كانت فيها ، اولاً ، بالقوة ، فصارت بعد ذلك بالفعل . فهي في الطبيعة كالنطق والتوليد في الطفل او في الجنين . فان الجنين ، بل والوليد ايضاً ، لا يرى ، ولا يسمع ، ولا ينطق ، ولا يمشي ، ولا يلد . ولكن هذه القوى ، وغيرها من الاوضاع البيولوجية والانسانية ، هي فيه بالقوة ، متى كان جنيناً في ظلمات الارحام . فتبدو فيه بالفعل بعد ولادته ، متى حان زمانها ولآئمها الاحوال . فليست صفة النطق مثلاً ، منافية للطبيعة ، بداعي ان الوليد لم يكن ينطق ثم نطق . ولا يجوز لنا ان نقول للناطقين (عودوا الى الطبيعة) بمعنى (اوصدوا افواهكم ، وكفوا عن الكلام) لان النطق طبيعي في الانسان وان تأخر ظهوره . كذلك النسل طبيعي ، والامر بالتبطل مخالف للطبيعة . كذلك العلم والفن والابداع والحضارة والارتقاء ، وأمثال هذه المعاني ، هي طبيعية فينا ، اولاً بالقوة ثم بالفعل . فكانت اولاً



كامنة في الانسانية كمن الحرارة في اوراق النبات واخشابه . فبرزت الى حيز الوجود لما تسنت لها الاحوال الملائمة المعروفة في العلم والصناعة  
 فهل يجوز لنا ان نقول للاخشاب عودي اوراقاً خضراء ، وللرجال عودوا اطفالاً واجنة ؟  
 كلاً . ومحارب الطبيعة مغلوب . فلاثمرة تعود زهرة ، ولا شجرة تعود بذرة ، ولا حيوان يعود جنيناً ، ولا نهر يرجع الى مصدره ، ولا ابن الخمسين يرجع الى سن العشرين او ما دون العشرين .  
 تلك امور ضد الطبيعة

\*\*\*

الفرد الانساني وليد ، لا يحسن النطق ولا الغناء ولا الرقص ولا الشعر ولا المقايسة ولا الادارة  
 ولكن لانكير بان النطق والفن والمنطق والهندسة والسياسة والحب والابداع هي مكونات صدره  
 وكامنة في نفسه طبعاً . فلا يمكن انتزاعها منه الا باعدام حياته . وذلك ضد الطبع في خط مستقيم  
 فالرجوع من العلم الى الجهل ، ومن الحضارة الى الهمجية ، ومن الفن والابداع الى الحيوانية والجود ،  
 ليست عوداً الى الطبيعة ، بل شذوذ عن الطبع . فلا امة راقية ترتد بحكم الطبع همجية او متوحشة  
 لان التوحش والهمجية والبداءة في الامم اطوار ، كالطفولة والصبوة والشباب والكهولة في الافراد  
 فهل يحرم الطفل اذا صار شاباً ؟ كلاً . فلماذا تجرم الامة ؟  
 اذا ارتقت من طور البداءة الى طور الحضارة والارتقاء ؟ فنداء روسو « بالعود الى الطبيعة »  
 هو من قبيل تهافت الفلاسفة

اذا كان العلم والمدنية والارتقاء قد اضررت فهي ايضاً قد نفعت . ولا يجوز القول بالغائها  
 بداعي اضرارها . فان النار تحرق وتدمر ، ولكنها ايضاً نافعة في الطهي والخبز والصناعة ، فلا  
 يقول احد بانخذ النيران . كذلك القطارات الحديدية والسيارات وغيرها من وسائل النقل الحديث  
 قد تضر . ولكن ما قال احد باستئصالها بداعي الاضرار الا تولستوي الروسي ، فانه اقتفى اثر  
 روسو فقال بان هذه الاشياء قسوة وتوحش ، فيلزم العدول عنها الى الحال الفطرية  
 ولكن قول تولستوي كقول روسو ، هو من قبيل تهافت الفلاسفة . ولا يلزم عن اضرار  
 الآلات الحادة كالسيوف والسكين ونحوها من مبضع ومشط ، الغاءها بداعي اضرارها . كذلك  
 لا يجوز العدول عن المدنية والعلم والفن والابداع بداعي انها تضر احياناً  
 على ان الارتقاء يسير في خط لولاي . والخط اللولاي معروف . فيظهر كأنه التف رجاء الى  
 حيث كان . على انه لم يعد في سطح واحد ، بل في سطح اعلى . ومن ظن خلاف ذلك كان واهماً  
 كذلك النهر يجري على سطح الارض في خط كثير التعارج . وقد يتحول في عكس مجراه الاجمالي  
 كنهر الكنج مثلاً . فانه يصدر من قلب جماليا فيجري شمالاً ، ثم يعطف شرقاً ، فغرباً فجنوباً .  
 على انه في كل من تلك الاقسام يتعرج كثيراً . وليس ثمة نهر يسير في خط هندسي مستقيم . افليس هذا



شأن الإنسانية في مجراها كثيرة التعاريج ولكنها تسير الى الامام اجمالاً . واذا اعترض مجرى الماء حائل ، كالهضبة مثلاً ، فإنه لا يرتد الى الوراء ، بل يحاول الالتفاف بها ، واستئناف مجراه الاصلي . وكذلك الإنسانية فانها تسير وجهة الحضارة والارتقاء ، فاذا اعترضتها ازمة او عرقل سيرها حائل ، حاولت الالتفاف واستئناف سيرها بما فيها من مرونة . هي سنة الطبع ، ولن تجد لسنة الطبع تبديلاً . وما لاح لك انه عود الى الطبيعة في مجرى الإنسانية فهو من قبيل الخط اللولي . خذ مثلاً لذلك المذاهب الشيوعية ، ومذاهب العراة ، في هذه الايام . فانها لا تعني العودة الى الطبيعة ، انما هي محاولة الطبيعة التغلب على العقبات الكأداء التي تعترض سيرها الاجمالي . ومن هذا القبيل تحديد النسل ، وحل النظام العائلي ، والفوضوية والغاء النظم الادارية والجنائية . فهذه المذاهب او النزعات هي احد اربن ، اما انها امراض تفتاب الهیئة الاجتماعية ، او انها محاولات ترمي بها الطبيعة الى تطبيق احوالها على العوامل الجغرافية والتاريخية والاقتصادية . والتخلص من الازمات والعقبات . فالمطلوب من ورائها سلامة الحياة ، وادراك السعادة التي يحلم بها الانسان مذ كان في المهد طفلاً . فلا يعني البشر باعتناق هذه المذاهب الرجوع الى ماضيه ، كلاً . بل التقدم والارتقاء . فهي ذرائع يتذرع بها البلوغ فإياه ومراميه ، التي بحق نحسبها طبيعية

فان الطبيعة في الانسان ، وفي الحيوان ، وفي النبات ، وفي الجماد ، نزاعة الى الامام ، والى التطور . وليس فيها رجوع . فان الماضي ، بحسب فلسفة برغنسن ، يستمر في الحاضر ويغزو المستقبل لكنه لا ينقلب راجعاً . فالشكل في التيار ، بحسب تفكير هيرقليطس ، والتيار الى الامام . هذا هو مجرى الطبيعة . اما الانقلاب رجوعاً فتحدد الطبيعة ومنافاة لنواميسها

فالتوليد طبيعي كالتقليد . يراد بالتقليد الاحتفاظ بالطبيعة ، وبالتوليد التقدم بحسب نزوع الطبيعة . فالتقليد هجوم كالنوم والاجازة . والتوليد سعي كالشغل والنمو . واجتماع التوليد والتقاييد بلوغ الغرض الطبيعي . رحم الله هيغل المفكر الالماني الشهير . فقد رأى ان النقائص تؤلف اليقينية . فاليقينية ، او الذاتية ، عنده هي التقاء النقيضين . كالتقاء المادة والحياة . والذكر والانثى ، والليل والنهار ، والسلب والايجاب في المجرى الكهربائي والمغناطيسي . فكما ان السكون طبيعي كذلك الحركة طبيعية . وكلاهما ضروري لاستكمال اغراض الحياة . وكما ان النوم طبيعي كذلك اليقظة طبيعية . وكما انموت الخريف طبيعي كذلك احياء الربيع . فالفصل بين النقيضين ، واجازة احدهما مع انكار الآخر ، كاجازة النوم دون اليقظة ، والجسد دون الحياة ، والقطب الايجابي دون السلبي ، فهو هدم للطبيعة وفتئات على ربها وعلى نواميسها

فمن التزم الجمود هلك هلاك من قبع على ذروة شاهق يغمرها الثلج والجليد . ومن التزم الاندفاع بكل تيار دون احتفاظ هلك هلاك من تدهور عن ذروة شاهق الى هوة عميقة فتحطم على الصخور . فنقطة اجتماع النقيضين هو مجلى حكمة الطبيعة واصابة من يفهمها



# ما هو الموت

الحيوانات والنباتات الخالدة — الشيخوخة واسبابها — غريزة الموت

لنصف المنقارى المحامى

يظن معظم الناس ان الموت نتيجة طبيعية لازمة للحياة وان كل كائن حي لا بد ان يموت. ولا شك في ان الظواهر تؤيد هذه العقيدة ولكن من ينعم النظر ويحقق البحث على ضوء الحقائق العلمية الحديثة يتضح له انها عقيدة وهمية تخالف الواقع ولا تستند الى اى سند علمي سنبين فيما يلي ما هو الموت وكيف ان الشيخوخة ما هي الأمراض كسائر الأمراض ناتج من تسمم الجسم تسمما تدريجياً بطيئاً من تخمر فضلات الطعام في الامعاء او في الاعضاء التي تقوم مقامها في الحيوانات السفلى ومن احتراق المواد الغذائية ولا سيما الزلالية مثل اللحم في داخل الانسجة الحية ونكتفي اليوم بان نقدم الدليل القاطع الذي يهدم تلك العقيدة الوهمية من اساسها ونعني به الحيوانات والنباتات الخالدة التي لا تعرف الشيخوخة ولا الموت وهي لا تهلك الا اذا طرأ عليها حادث يقضي عليها قضاءً وقدراً كما يقال في لغة المحاكم

## ١ — الحيوانات والنباتات الخالدة

كل من يفحص بالميكروسكوب قطعة نسيج من نسيج اي نبات او حيوان (وفي جملته الانسان) يتضح له انها مؤلفة من خلايا صغيرة متلاصقة لا ترى بالعين المجردة. وتتركب الخلية من مادة زلالية مخلوطة بمواد دهنية وسكرية او نشوية. وفي وسطها نواة من مواد زلالية من نوع آخر. ولعظمها غلاف او غشاء يحيط بها من مادة زلالية اخرى في الحيوانات ومن مادة جامدة قريبة كياويها من السكر والنشاء وتسمى بالسلوكوس (مادة القطن) في النباتات

واصل كل فرد من النباتات والحيوانات (ومنها الانسان) خلية واحدة تسمى «بالبيضة» تنتج من تلقيح بويضة من الانثى بخلية خاصة منشقة من الذكر. وتأخذ البيضة بعد التلقيح في النمو بطريق الانقسام فتتقسم الى قسمين متساويين ابتداء من النواة الى المادة الزلالية والغلاف، يبقيان متلاصقين. وتنقسم كل واحدة منهما الى اثنتين اثنتين وهكذا وعلى هذا النحو تتكاثر الخلايا وتتكون الدُّسج وينمو الجنين ثم الفرد الكامل

غير انه توجد كائنات حية مكونة من خلية واحدة وهي النباتات الاولى مثل الميكروبات



والنبات الطحلي المسمى « دياتومبه » وغيره ، والحيوانات الاولى مثل الاميبا التي يسبب نوع منها مرض الديسنتاريا ومثل جرثومة الملاريا وغيرها . وكيفية توالد هذه الكائنات وتكاثرها هي ان تنقسم الواحدة منها الى قسمين في بعض الانواع والى اقسام متعددة متساوية في انواع اخرى ابتداء من النواة ثم المادة الزلائية والغلاف او الغشاء كما يحدث لخلايا الحيوانات والنباتات الاخرى السفلى والعليا . الا ان كل قسم وكل خلية او بالحري كل خلية جديدة تعيش هنا حياة مستقلة عن الاصل الذي نشقت منه وتنمو ثم تنقسم من جهتها الى قسمين جديدين منفصلين ومستقلين وهلم جرا بحيث لا يموت ولا يتلاشى شئ من هذه الافراد

ولكن يحدث انه بعد عدة انقسامات تصبح الافراد الاخيرة غير قابلة للانقسام كأنها شاخت أو هزمت وهذه هي اول صور الشيخوخة في عالم الاحياء ولا شك في ان هذا ناتج مما يتراكم داخل المادة الحية من بعض المواد الافرازية السامة التي لا تفرز باكملها لتقص في تكوين الخلايا والكائنات الحية . ولو بقي الحال على ذلك لاشرفت تلك الافراد على الموت لا محالة . غير انه يكفي لاسترداد صباها ونشاطها الانقسامي ان يلتصق كل فردين من هؤلاء الافراد احدهما بالآخر ويتبادلان نصف نواتهما ثم ينفصلان فاذا بها شباب ناهض قابل للانقسام من جديد . وهذه هي اول صورة من صور التلقيح في عالم الاحياء . وليس في التلقيح سر من وراء الطبيعة بل انه يرجع الى تفاعلات كيمائية بين مواد كل خلية من الخليتين فهو ظاهرة طبيعية مثل باقي ظواهر الطبيعة . وهو ليس ضروريا لتوالد الاحياء فقد استعاض عنه العلماء ببعض مؤثرات طبيعية وكيمائية يسלטونها على الخلية الواحدة التي هزمت وأصبحت غير قابلة للانقسام كأن يضيفوا الى الماء الموجودة فيه قليلا من بعض الاحماض او القلويات الخفيفة او يوصلون اليه تيارا كهربائيا ضعيفا فتأخذ هذه الخلية في الانقسام من تلقاء نفسها من جديد كما يحدث عقب اتصالها بخلية اخرى مماثلة لها وتلقيحها منها على الوجه المتقدم . وقد تمكن العلماء من تسليط هذه المؤثرات على بويضات اناث بعض الحيوانات السفلى وبعض الحيوانات العليا مثل الضفادع وهي ( اي البويضات ) موضوعة في سائل مغذ فكانت النتيجة ان اخذت هذه البويضات التي لم يلقحها ذكر في النمو بطريق الانقسام كما يحدث عادة على اثر التلقيح الى ان كوّنت جنينا ثم فردا كاملا لا يختلف عن افراد نوعه التي تولد بالتلقيح سوى انها اصغر جسما . وقد رأيت بعيني في جامعة السوربون بباريس ضفادع صغيرة من هذا القبيل

نعود الى الاحياء الاولى ذات الخلية الواحدة التي نحن بصدها فنلاحظ ان هذه الكائنات التي تتوالد في الاصل بطريق الانقسام الاجنسي ( اي بلا تلقيح ) تلجأ الى التلقيح متى هزمت لكي تتقي الموت فتعود فعلا الى صباها فكانها تدافع عن نفسها ضد الفناء بالنزوع الى التلقيح . الامر الذي لاستطيعه بطبيعة الحال خلايا الحيوانات والنباتات الاخرى نظرا لحياتها مجتمعة مع غيرها لانها من جهة ثابتة في مكانها ملتصقة بغيرها . ولانها من جهة اخرى قد تنوعت بحسب النسيج التي تشترك



فيها فمن ذلك الخلايا العصبية وخلايا العضلات وخلايا الجلد وخلايا الغدد وغير ذلك طبقاً للوظائف التي تقوم بها هذه الأنسجة . فهي لا تستطيع ان تتصرف في الحياة كما تتصرف الاحياء ذات الخلية الواحدة الطليقة الحرة التي يمكنها أن تؤدي جميع الوظائف الحيوية معاً دون ان تكون مختصة بعمل واحد . هذا هو السر في ان الحيوانات والنباتات المتعددة الخلايا تموت بالشيخوخة . ذلك لانه لا وسيلة لها للتخلص من هذه الشيخوخة والرجوع الى صباها كما تفعل الاحياء ذات الخلية الواحدة بالنزوع الى التلقيح . والمقصود هنا تلقيح الخلية ، اي كل خلية ، وليس تلقيح مجموع فرد الحيوان او النبات

وخلاصة القول ان الحيوانات والنباتات الاولى ذات الخلية الواحدة هي كائنات حية خالدة لا تموت . متى وصل الفرد منها الى تمام نموه ينقسم الى قسمين أو أكثر يصبح كل واحد منها فرداً جديداً ينمو ثم ينقسم وهلم جرا دون ان يموت أو يتلاشى شيء منها . فأفراد هذه الاحياء السعيدة لا تهلك الا اذا حدث لها حادث عارض من شأنه ان يقتلها كان يحجب الماء الذي تعيش فيه او يفسد وليكنها لا تقدر هذه النعمة التي خصتها بها الطبيعة لانه ليس لها جهاز عصبي فلا تدرك ولا تشعر وان كانت تتأثر فقط بالمؤثرات الخارجية شأن المادة الحية على العموم وشأن كثير من المواد المعدنية المحض كالمواد المفرقة ومواد التصوير الشمسي وكثير من المواد الكيميائية

### ٢ - الشيخوخة وأسبابها

رأينا فيما تقدم اول مظهر من مظاهر الشيخوخة في الحيوانات والنباتات الاولى ذات الخلية الواحدة وهو عجزها عن الانقسام الى ان تتلاقح فتعود الى صباها . وبينما ان هذا ناتج من تراكم بعض المواد الافرازية في المادة الحية اثر التغذية مما لا يُفرز با كمله لنقص في تكوين الكائنات الحية او تركيبها وما يحدث للخلايا المنفردة ( اي الحيوانات والنباتات الاولى ذات الخلية الواحدة ) يحدث للخلايا المجتمعة في الحيوانات والنباتات الاخرى السفلى والعليا ذات الخلايا المتعددة . فان الدم في الحيوانات والسوائل المغذية في النباتات تنقل الى جميع خلاياها المواد الغذائية ، وهذه تحترق او تتأكسد داخل الخلايا لتولد القوة اصلياً والحرارة ثانوياً وهما اللازمتان لاجمال الحياة . ونقول اجمالاً ان تراكم بقايا المواد المحترقة او المتأكسدة وهي البقايا المسماة بالافرازات هو الذي يسمم الجسم تدريجياً فيسبب الشيخوخة فالموت . ويضاف الى هذا العامل عامل آخر وهو التسمم الناتج من فحur فضلات الطعام في الامعاء

وتفصيلاً لهذا الاجمال نقول ان المواد الغذائية مهما تنوعت مظاهرها تنقسم الى ثلاثة اقسام المواد السكرية والمواد الدهنية والمواد الزلالية . ومعلوم ان المواد السكرية والدهنية كجميع المواد العضوية الثلاثية اي المكونة من الكربون والهيدروجين والاكسجين تتحول بعد الاحتراق او التأكسد الى ماء وهو لا يضر الجسم في شيء والى الحامض الكربونيك وهو غاز تفرزه الرئتان



بأكمله بعد ان ينقله اليها الدم . فيغلب على الظن ان هاتان الطائفتان من المواد الغذائية ( السكر والمواد الدهنية ) لا تعودان باحتراقهما في الجسم بضرر ما عليه وانه لا دخل لهما بالنتائج التي نتكلم عنها . غير انه يجدر بنا هنا ان لا نقول هذا الا مع شيء من التحفظ . ذلك لانه اذا كانت المواد السكرية والدهنية تحترق وتتحوّل في النهاية الى ماء وحامض كربونيك فاننا لا نعرف ان كانت تحترق وتتحوّل رأساً الى هذين الجسمين ام انها تمر اثناء احتراقها او تأكسدها في صور متوسطة قبل ان تصل الى مرحلتها الاخيرة . فالسكر يتحوّل مثلاً بفعل التخمر الكحولي الى الحامض الكربونيك والى الكحول والكحول يتحوّل بفعل التخمر الخلي الى الحامض الخلي . والحامض الخلي يتحوّل الى مواد اخرى اقل تركيباً وفي النهاية الى الحامض الكربونيك والى الماء . كما ان السكر نفسه يتحوّل في ظروف اخرى بفعل التخمر اللبني الى الحامض اللبني . وهذا يتحوّل الى مواد اخرى وفي النهاية ايضاً الى الحامض الكربونيك والى الماء . وما يقال عن السكر يقال على المواد الدهنية . فهل تحترق هذه المواد دفعة واحدة احتراقاً كاملاً فتنقل رأساً من حالتها الاولى وهي المواد السكرية والدهنية الى حالتها الاخيرة وهي الماء والحامض الكربونيك ام انها تتحوّل من مواد الى مواد الى ان تصل الى النتيجة النهائية كأن يتحوّل السكر مثلاً الى الكحول والحامض الكربونيك ثم الى الحامض الخلي او الى مواد اخرى مجهولة الى ان يتحوّل الى الماء والحامض الكربونيك اللذين نجهدهما في النهاية ؟ هذا ما يجمله العلم الآن

نقول انه يحتمل ان تتحوّل المواد السكرية والدهنية اثناء احتراقها البطيء او تأكسدها داخل خلايا الكائنات الحية الى اجسام كيمياوية متوسطة يجملها العلم الآن وقد يكون بعضها ضاراً بالحيوان والنبات فيترك أثرها السيء فيها قبل ان يحترق من جهته فيضاف الى عوامل التسمم التدريجي الذي يسبب الشيخوخة موضوع كلامنا الآن

وخلاصة القول ان المواد السكرية والدهنية لا تلحق في الظاهر ضرراً بالجسم ولكن قد تتولد منها وهي تحترق مواد كيمياوية تشترك في تسميم الجسم بالتدرج في الفترة القصيرة التي تمكث فيه قبل ان تتأكسدها ايضاً

اما المواد الزلالية فانها الفاعل الاصلي حقاً — بحسب التعبير القضائي — في ذلك التسمم التدريجي الذي يسبب الشيخوخة . فهي اهم غذاء وفي الوقت نفسه اكبر عدو لنا ذلك لانها مواد رباعية يدخلها الازوت علاوة على الكربون والهيدروجين والاكسجين . ومن المعروف في علم الكيمياء العضوية ان المواد الرباعية المشتعلة على الازوت يتخلف عنها عند احتراقها او تأكسدها مواد اخرى لا تحترق ولا تتأكسد تشمل الازوت . فضلاً عن الماء وغاز الحامض الكربونيك . وهذا ما يبحث للمواد الزلالية عند احتراقها او تأكسدها في اجسام الكائنات الحية فانه يتخلف عنها بعض مواد افرازية مثل المادة البولوية ومثل الصفراء ومثل — وعلى الاخص — الحامض البوليك وهي



جميعها مواد ضارة بالجسم لا تفرز باكملها لنقص في تكوين اعضاء الافراز وبعضها مثل الحامض البوليكي يولد املاحاً لا تفرز بالمرّة فتتراكم داخل الخلايا وفي الانسجة وعلى جدران الشرايين فتصلبها وتقلل من حيويتها. وتؤثر تأثيراً سيئاً في الجهاز العصبي وفي جميع الاعضاء الاخرى وتضعفها فتتخط شيئاً فشيئاً ولا تقوى على القيام بوظائفها وهذه هي الشيخوخة بعينها

يضاف الى هذا السبب في تسميم الجسم سبب آخر وهو تخمر فضلات الطعام في الامعاء لانه تعيش في الامعاء على الدوام الملايين من جراثيم التخمر. ونتيجة هذا التخمر هو تولد اجسام عفنة سامة يمتصها الجسم مع المواد الغذائية النافعة خصوصاً وان الامعاء هي عضو ملائم للامتصاص اكثر من غيره من اعضاء الجسم وأنسجته

وبالجملة فان الشيخوخة هي مرض كسائر الامراض عبارة عن تسمم تدريجي بطيء ناتج (اولاً) من احتراق المواد الغذائية داخل أنسجة الجسم (ثانياً) من تخمر فضلات الطعام في الامعاء والشيخوخة باعتبارها مرض قابلة للشفاء وقد اخذ العلماء يحاولون معالجتها ولكنهم ما زالوا مع شديد الاسف في دور النظريات. واهم من طرق هذا الموضوع العلامة متشكوف الذي كان في حياته وكيل معهد باستور في باريس. ولكن متشكوف اغفل العامل الاول - وعندي انه العامل الرئيسي - وتناول العامل الثاني وبحث في ما عساه يطهر الامعاء اولاً بأول. ومما تراءى له في هذا السبيل هو ان يكثر الانسان من تناول اللبن المختمر المسمى « بالابن الرائب - الزبادي » بحجة ان حموضته تطهر الى حد ما الامعاء غير ان هذا الرأي نظري اكثر مما هو عملي منتج

والذي يراه العلماء انه اذا توصل الطب في المستقبل الى تطهير النسيج والشرايين من جهة والامعاء من جهة اخرى من تلك المواد السامة تطهيراً تاماً اولاً بأول فانه يتغلب على الشيخوخة فتطول حياة الانسان، وقد يقهرون الشيخوخة نهائياً فيمتنع الموت (الابحاث مهلك) ويخلد الناس على الارض الامر الذي لا يراه العلماء مستحيلاً من الوجهة النظرية بدليل الحيوانات والنباتات الاولى الخالدة التي تقدم لنا الكلام عليها. وقد رأينا فيما تقدم كيف ان العلماء قد تغلبوا على الشيخوخة التي تطرأ عليها بعد عدة انقسامات وتجعلها غير قابلة للانقسام بأن عاجلها بتسليط بعض مؤثرات كيمياوية وطبيعية اعادت اليها شبابها إعادة اصطناعية كما يحدث لها عقب نلقحها ببعضها

### ٣ - غريزة الموت (؟)

لا يفزع الانسان شيء اكثر من الموت، وهو في هذا اسوأ حالاً من الحيوانات لان الحيوانات لا تعرف انها تموت اما الانسان فان جميع لذاته وكل حياته تسمها فكرة الموت الذي سينتزعها يوماً من الايام من بين اهله ومصالحه وكل ما يربطه بهذه الدنيا كما قال الشاعر العربي: « هو العيش الا انه فاني ». وسبب هذا الخوف من الموت هو غريزة الحياة او حب البقاء التي تجعل الانسان يفزع منه ولولا هذه الغريزة لما تعلق بالحياة ولا استطاع ان يطيق متاعها وأمراضها وآلامها وهومها وشقاءها



وليست هذه الغريزة هي الوحيدة بل ان جميع احوال الحياة وأعمالها — حياة الفرد وحياة النوع — تديرها غرائز أخرى هي التي تدعو الانسان او الحيوان اليها فيقوم بها مسروراً مغتبطاً كغريزة الاكل وغريزة الشرب وغريزة التناسل وغريزة حب النسل . وقد وجدت في النوع الانساني كما توجد في الانواع الاجتماعية الاخرى مثل النمل والنحل وبعض انواع الطيور الرحالة والقرود العليا ، غرائز اجتماعية وأخلاقية تحمل الافراد على حب الفضيلة ومقت الرذيلة والعمل على مساعدة الغير وخدمة المجموع ، وترى الفرد كلما قام بعمل من هذا القبيل يشعر بلذة داخلية هي راحة الضمير .

الا الموت فان الانسان يموت وهو يعلم بذلك دون ان تكون لديه غريزة تسهل عليه استقباله وتمنع الخوف منه

غير ان بعض العلماء مثل متشكوف يتوقع انه متى تغلب العلم على الشيخوخة وباقي الامراض وعاش الانسان حياة طويلة لا تقل عن المائتي سنة او الثلاثماية عيشة سليمة من كل علة او ضعف فانه حينما يصل الى آخر هذا العمر الطويل وهو قوي الجسم ومعافى من الامراض يشعر بحاجة الى الراحة النهائية ويستقبل الموت بهدوء وارتياح كما يشعر المرء في آخر النهار بحاجة الى النوم ويرتاح اليه . وهذا ما يسمونه بغريزة الموت . وليست هذه الغريزة التي يتنبأ بها بعض العلماء بدعة في عالم الحيوان فانه يوجد شيء من هذا القبيل لدى ذكور النحل الذين لا وظيفة لهم في الحياة ولا عمل لهم في مجموعة النحل سوى تلقيح الانثى فانه بمجرد ان يؤدوا عملهم هذا ويتم التلقيح تراهم لا يباليون بالموت ولا يخافون منه ولا يحاولون الهروب اذا اقترب منهم احد ، ولا شك في ان غريزة الموت تكون قد قامت فيهم حينئذ

وحينما تنشأ هذه الغريزة في البشر يكون العلم قد قهر آخر عدو للانسان وهو الموت حيث تكون قد حلت من قبل المعضلة الاجتماعية الكبرى الخاصة بتحديد النسل وتوزيع العمل والثروة بين الناس توزيعاً عادلاً ، وتسكون الغريزة الاجتماعية والغريزة الاخلاقية قد تأصلتا في الناس بمرور الزمن فتقل الجرائم وقد تمتنع وترتقي الاخلاق وتسود روح التضامن الى حد ان زول الحكومات او ما يقرب من ذلك على ما يتنبأ هربت سببسر كما هو حال النمل وغيره من الحيوانات الاجتماعية . فنبش البشر في سلام ولعيم دائمين

ولكن هل في قيام تلك الغريزة حل نهائي ناجح لمسألة الموت ؟ لا شك في انها متى وجدت فسوف تسهل على الشيخ ترك الحياة غير وجل ولا أسف ولكن — على ما يعترض استاذي المأسوف عليه دستر — هل هذا يمنع ألم الفراق وتمزيق القلب حزناً لدى اقارب المتوفي ومحبيه ؟ وبما ان غريزة الموت لن توجد الا قبيل حضوره في اواخر الحياة فهل تمنع هذه الغريزة الشاب والرجل القوي وهما متمتعان بكامل صحتهم ويعلمان بلهما سيموتان لاحالة ولم توجد فيهما بعد غريزة الموت من ان يتألما ويحزنا على مصيرهما



## في مرقص

الشاعر والغاوية

رنا اليها فحيتة فحادثها  
توشجت مثل خطف البرق بينهما  
في مرقص عجب بالطيش مضطرب  
عابت عليه عبوسا غير منسجم  
فيم العبوس؟ وهذا الحقل مبهج  
فيم العبوس؟ ألم تفتنك فاتنة  
انظر الى الرقص واسمع ما تخلله  
الرقص متسق بالعزف متصل  
والغيد رافلة تزهى وعارية  
والكأس دائرة بالهم عابسة  
واقض غبار الاسى وامرح وغنّ فما  
فأشرقت عينه بالدمع وارتسمت  
فقابلت دمه بالضحك ترسله  
ظننت احاديثه لهواً وثرثرة  
وارحمته لها مما تعانيه  
تكاثر المعجبون الطامحون الى  
لا تطمئن الى قلب تشاطره  
كم ضحكة ضحكت قسراً وكمرحت  
وكم دميم تعامت عن دماغته  
ورب شيخ بغض في تصاييه  
تعلمت كيف تجزي المولعين بها  
لو تستطيع لصاحت في وجوههم  
وعلمتهم بأن الحب أبعد ما  
بالضحك تغرق ما تطويه من شجن  
ولو بدا لك ما تخفي جوانحها  
يا لهف نفسي لا ماض يؤانسها  
لم تلق والحسن يكسوها اخا ثقة  
يؤودها حاضر مخز ويزعجها  
لكل نفس رجاء تستعين به  
يا ويح من عاش في الدنيا بلا امل

ودارت الكأس يسقيها وتسقيها  
اواصر الود تدنينا وتدنيه  
يكاد من طرب يمشي بمن فيه  
مع السرور الذي رقت حواسيه  
انساه حاضره اوصاب ماضيه  
من هؤلاء فتنسى ما تعانيه  
من الاغاني التي تنحو منحاه  
والعزف للرقص مثل النار يذكيه  
والحسن مستوره يغري وعاريه  
فاشرب بلا حرج حتى تداويه  
يدري القى في غد ماذا يؤاتيه  
خاوف وشجون في ماقيه  
مجلجلا معلناً عن شكها فيه  
من ماجن يتلهى في لياليه  
في عالم الغدر والتضليل والتميه  
ما يشيع الجسم ساعات ويريويه  
وجدأ بريئاً وحباً غير مشبوه  
كرهاً لترضى خلا جد مكروه  
تبنت ليلتها نعسى تناجيه  
ظلت تصانعه طوراً وتطريه  
ميناً بين وتموها بتمويه  
صبيحات مقت وتحقير وتسفيه  
يكون عن ماجن بالمال يشريه  
وبالضحيج تواري ما تواريه  
ذهلت من ألم طاغ تداريه  
بالذكريات ولا آت ترجيه  
فهل اذا عريت منه تلاقيه  
ما يضممر الغيب من قبح وتشويه  
على الزمان اذا جارت عواديه  
مشرداً مشمئزاً من امانيه



# دير في العراق

وآخر في الشام

تصحيح خطأ لم يقنعه له أحد من الناس منذ ألف سنة الى يومنا هذا  
لحمّد عبد الجواد الاصمعي بدار الكتب المصرية

— ١ —

كان خلفاء الإسلام وأمرأؤه ووزرائه وأدباؤه وشعراؤه يقصدون الديارات ، انتجاعاً للصحة وطلباً للراحة ، بالبعد عن ضوضاء المدينة ، ومتاعب الحياة في بعض الاحيان ، لما كان بها وحولها من البساتين والمنتزهات . وكانوا يتمتعون بسماع الاغاني وأنواع الملاهي في البساتين والمنازه المحدقة بالأصغار والمدائن . وبلغ من عناية المسلمين بالثقافة العامة في جميع مظاهرها ومناظرها أن جماعة منهم أفردوا كتباً خاصة بتاريخ الديارات وأوصافها وسائر ضروب المعيشة فيها

— ٢ —

كان الخالديان وهما الاخوان المشهوران في الشعر والأدب ونسبتهما ( الى الخالدية قرب الموصل ) أول من أفرد هذا الموضوع بتصنيف خاص . وبعدهما ألف أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الاغاني كتاباً آخر في الديارات ، وقد ضاع هذان الاثران في جملة ما أباده الزمان ، ولم يبق لنا منهما الاّ ما نقله المؤلفون عنهما او ما سطره أبو الفرج نفسه في كتابه الاغاني ( وذلك شيء قليل ) . ثم جاء الشاشي فألف كتاباً في الديارات . وتوجد منه نسخة مخطوطة بقلم الاستاذ الشيخ عبد الرحمن زغول نقلها على نفقة دار الكتب المصرية من النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة بالمكتبة الملكية ببرلين وهي ناقصة من أولها بمقدار الثلث ( ومحفوطة بالدار تحت رقم ١٧٥٦ تاريخ )

وهناك رجل رابع قصر بحثه على بقعة واحدة أعني به أبو صالح الارمني ، وكتابه مطبوع بالعربي في اكسفورد سنة ١٨٩٤ ومعه مقدمة وترجمة باللغة الانكليزية ، وهو كتاب في تاريخ الارمن بالقاهرة وغيرها من بلاد القطر المصري من وقت استيلاء الغز الاكراد على اقليم مصر سنة ٥٦٤ هـ وتاريخ كنائسهم ومعابدهم وقساوستهم . وفي ذكر من وفد الى كنائسهم واقام بها او رحل عنها ، وذكر الإقطاعات المصرية في ذلك العهد للبيع والكنائس ، فهو ديني تاريخي . أما الكتب الثلاثة السابقة فتضيف الى ذلك شيئاً كثيراً من الادب نظماً ونثراً مع الطرف التاريخية والملح الادبية



والنوادير والحكايات . ومن تكلم على ديارات القاهرة أيضاً العلامة المقرئ في خطه (ج ٢ ص ٥٠١-٥١٠ طبع بولاق) وابن دقاق في كتابه الانتصار (راجع الجزء الرابع والخامس المطبوعين بالمطبعة الاميرية ببولاق)

### — ٣ —

ولقد عني أرباب التاريخ والجغرافيا بتدوين شيء عن هذه الديارات في مصنفاتهم نقلوه عن هذه الكتب الثلاثة ، نذكر منهم أبا عبيد البكري الاندلسي المتوفي سنة ٤٨٧ هـ في كتابه «معجم ما استعجم» ومؤلف كتاب التنبيه على اوهام ابي علي في أماليه المطبوع مع أمالي القاضي في طبعته الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ . وقد عينا بتحقيقه وتصحيحه وعمل فهارس وافئلة طبعته معه . ثم ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» . وآخرهم ابن فضل الله العمري المتوفي سنة ٧٤٩ هـ في الجزء الاول من كتابه «مسالك الابصار» الذي طبع بالمطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٩٢٤ م بعناية وتحقيق العلامة المحقق استاذنا الجليل احمد زكي باشا

### — ٤ —

إن الناظر الى هذه التأليف القيمة او ما بقي منها او ما وصل اليها عنها ، ليعجب أشد العجب لعناية العرب بهذا الموضوع الذي وفوه حقه من الدقة والعناية ، ففيها مباحث طريفة وروايات دقيقة ومشاهدات جميلة عن شؤون هذه الديارات وعن احوال رجالاتها ، الى غير ذلك من المعلومات التي يهتم بها الاديب والشاعر والباحث والمؤرخ ، ولولا تداول هذه الكتب في ايدي الادباء لاخرنا شيئاً منها لما اشتملت عليه من الطرائف التاريخية والملح الادبية والنوادير الفاتكة والاشعار الرائقة لذلك تقتصر على أمر واحد لم يتنبه له أحد من الناس منذ ألف سنة الى يومنا هذا

### — ٥ —

ان تشابه الحروف العربية وإهمال نقط الاعجام في بعض الاحيان قد يكون من ورأهما خلط غريب ، وغلط ليس له مثيل ، فنحن نعذر الذين يقعون في هذه الهفوات مع ما لهم من الشهرة الذائعة بالنقد والتحقيق ، ولذلك كان من واجب العلم ان نتقدم بتصحيح ما وقفنا عليه وتنبيهنا اليه في كلام اولئك العلماء عن دير مُرَّان ودير مَرَّيان<sup>(١)</sup> ، أولهما بالشام والآخر بالعراق

### — ٦ —

من العجيب أن أول من وقع في هذه الاحبولة هو أبو الفرج الأصبهاني نفسه ، فقد ذكر في كتاب الاغاني أثناء ترجمته للحسين بن الضحاک هذا الخبر (ج ٦ ص ١٩٥ من طبعة بولاق، ص ١٨٨

(١) ورد هذا الاسم في كتاب الديارات للشابشي ومعجم البلدان لياقوت ومسالك الابصار لابن فضل الله العمري «مديان» بالميم والدال وهو غير صحيح ، لأن الديارات تسمى باسماء القديسين ولا يعرف قديس بالميم «مديان» بالميم والدال ، وأما المشهور «مريان» بفتح الميم وسكون الراء «Marianus» ولذا صححناه هكذا في جميع المواضع التي ذكر فيها في هذا البحث نقلاً عن هذه الكتب فتنبه



من طبعة الساسي) ونصه: روى بالسند عن عمرو بن بانه. قال: خرجنا مع المعتصم الى الشام لما غزا، فزلنا في طريقنا بدير مران، وهو دير على قلعة (كذا) مشرفة عالية، تحتها بروج (كذا) ومياه حسنة، فزل فيه المعتصم فأكل ونشط للشرب ودعا بنا. فلما شرب اقداحاً قال للحسين بن الضحاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد! فقال: لا أين يا أمير المؤمنين! والله لبعض الغياض والآجام هناك أحسن من هنا! قال: صدقت والله! وعلى ذلك فقل أبياتاً يغنّ فيها عمرو، فقال: اما أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية ببحر فلا أحسب لساني ينطق به، ولكني أقول متشوقاً الى بغداد! فضحك وقال: قل ما شئت. فأنشد:

يدير مران (كذا) لا عريت من سقم (كذا) هيجت لي سقماً يا دير مرانا (كذا)  
 هل عند قسك من علم فيخبرنا أم كيف يسعف وجه الصبر من بانا  
 حث المدام فان الكأس مترعة مما يهيج دواعي الشوق أحياناً  
 سقيا ورعياء الكرخانا (كذا) وساكنها وللخينة (كذا) بالروحاء من كانا  
 فاستحسنها المعتصم وأمرني ومخارقاً فغنينا فيها وشرب على ذلك حتى سكر وأمر للجماعة بجوائز هـ

— ٧ —

هذا الخبر ورد هكذا بحروفه وكلماته في طبعتي بولاق والساسى، وقد قام بتصحيحه في ذلك العهد خيرة المصححين بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هـ، وقام بتصحيح طبعة الساسى العالم الجليل المرحوم الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي سنة ١٣٢٣ هـ ومع هذا لم ينتبهوا الى ما وقع في هذا الخبر من اخطاء

فكلمة «قلعة» صوابها «تلة» بالتاء المشناة في اوله. والتلة: الربوة المرتفعة من الارض. و«بروج» صوابها «مروج» بالميم في اوله و«دير مران» صوابها «دير مريان» و«سقم» صوابها «سكن» و«لكرخانا» صوابها «لكرخايا» و«وللخينة» صوابها «وللجنينة» هذا في الكلمات أما في سياق الخبر فان الخليفة المعتصم طلب من ابن الضحاك نديمه وشاعره أن يقول شيئاً في الجهة التي نزلوا بها في الشام وهي «دير مران» فأجابه بقوله:

«اما أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية فلا أحسب لساني ينطق به ولكني أقول متشوقاً الى بغداد!!... الخ» فضحك الخليفة وأجابه بقوله: «قل ما شئت» فيتضح من هذا ان الشعر الذي أنشده ابن الضحاك أمام الخليفة لم يكن في دير مران كما ورد في هذا الخبر وتناقله الرواة وكتبه النساخ هكذا في كثير من نسخ الاغاني المخطوطة الى أن طبع، وانما كان في دير مريان بالعراق وهو الذي يعرفه الشاعر ويهواه

— ٨ —

كتاب الاغاني من أمهات المصادر العربية التي يرجع اليها أهل البحث والتحقيق، وأصبح في



أيدي الفضلاء الباحثين من عرب وعجم وافرنج ، ومع هذا لم يتنبه واحد منهم الى ما وقع في هذا الخبر من خا ط ، ولا ندري أكان هذا من المؤلف نفسه كما قلنا ، أو من تحريف النساخ

— ٩ —

فقد نقل ابو عبيد البكري الاندلسي في كتابه معجم ما استعجم (ص ٣٦٢ طبع اوربا) عبارة أبي الفرج الاصبهاني بتصرف في كلامه على دير مران بدون اسناد اليه ، وأغفل الكلام على دير مريان . ويتبين من هذا انه جعل الديرين ديراً واحداً . وجاء بعده ابن فضل الله العمري فنقل أيضاً في الجزء الاول من كتابه مسالك الابصار (ص ٣٣٥ طبع بولاق) عبارة أبي الفرج باسناده اليه في كلامه على « دير مران » . ولا ندري ان كان نقلهما عن كتاب الاغانى نفسه أم عن كتاب الديارات لأبي الفرج

— ١٠ —

قال البكري وابن فضل الله : « إن الحسين بن الضحاك كان مع الرشيد حين نزوله بدير مران » وهذا خطأ ايضاً لان ابن الضحاك نفسه ينفي اتصاله بالرشيد ، فقد قال عن نشأته واتصاله بالخلفاء كما ورد في الاغانى (ج ٦ ص ١٧٩ طبع بولاق) ما نصه :

« كنت انا وأبو نواس ترين نشأنا في مكان واحد ، وتأدبنا بالبصرة ، وكنا نحضر مجالس الادباء متصاحبين ، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدة ، واتصل بي ما آل اليه امره ، وبلغني ايثار السلطان به وخاصته له ، فخرجت عن البصرة الى بغداد ، ولقيت الناس ومدحتهم وأخذت جوائزهم ، وعددت في الشعراء . وهذا كله في أيام الرشيد الا اني لم أصل اليه واتصلت بابنه صالح فكنت في خدمته » اهـ

ويؤيد هذا ما ذكره ابو الفرج في اول ترجمة ابن الضحاك (ج ٦ ص ١٧٠ طبع بولاق) انه « احد ندماء الخلفاء من بني هاشم ، ويقال انه اول من جالس منهم محمد الامين »

— ١١ —

اما مرور الخليفة المعتصم بالشام في بعض غزواته فقد كان في سنة ٢٢٣ هـ كما قال المسعودي في مروج الذهب (ج ٢ ص ١٧٦ طبع بولاق) . ولا ندري اذا كان ابن الضحاك كان مع الخليفة في هذه الغزوة ، او كان بصحبته في غزوة اخرى

— ١٢ —

وأول من ذكر شعر ابن الضحاك في دير مريان هو الشابشتي في كتابه الديارات ، ونقله عنه ياقوت في معجمه وقال : « وروى غير الشابشتي هذا الشعر في دير مران وانشده كذا والصواب ما كتب لتقارب هذه الامكنة المذكورة بعضها من بعض »



## — ١٣ —

أما دير مريان فقد عرفه الشابشتي بقوله : « هذا الدير على نهر كرخايا ببغداد . وكرخايا نهر يشق من المحول الكبير ، ويمر على العباسية ، ويشق الكرخ ، ويصب في دجلة . وكان قديماً عامراً والماء فيه جارياً ، ثم انظم وانقطعت جريته بالبنوق ( القنوات ) التي انفتحت في الفرات . وهو دير حسن زه ، حوله بسايتين وعمارة ، ويقصد للتنزه والشرب ، ولا يتخلو من قاصد وطارق . وهو من البقاع الحسنة الزهية والحسين بن الضحاك فيه :

حُثَّ المدام فإن الكأس مُتَرَعَّةٌ      مما يهيج دواعي الشوق أحياناً  
اني طربت لرهيان مجابرةً      بالقدس بعد هدوء الليل رهباناً  
فاستنفرت شجناً مني ذكرت به      كرخ العراق وإخواناً واشجاناً  
فقلت والدمع في عيني مطرد      والشوق يقدح في الاحشاء نيراناً  
يا دير مريان لا عريت من سكن      ما هجت من سقم ! يا دير مريانا !  
هل عند قسك من علم فيخبرني ؟      أم كيف يسعد وجه الصبر من بانا ؟  
سقياً ورعياً لكرخايا وساكنه      بين الجينة والروحاء من كانا !

وكان أبو علي بن الرشيد يلزم هذا الدير ويشرب فيه ، وكان له قيان يحملهم اليه ويقم به الالام ، لا تفتقر عزفاً وقصفاً ، وكان شديد التهلك ، وكان من يجاور الموضع يشكون ما يلقونه منه ، فاقبى الخبر الى اسحاق بن ابراهيم الطاهري ، وهو خليفة السلطان ببغداد ، فوجه اليه يقبج له فعله ، وينباه عن المعاودة لمثله ، فقال : وأني يدري لاسحاق علي ! واي امر له في ! أترأه يمنعني من سماع جوارري والشرب بحيث انتهى ! ! فلما أتاه هذا القول منه احفظه وأهل ، حتى اذا كان الليل ركب الى الموضع وأحاط به من جميع جهاته ، وأمر أن يفتح باب الدير وينزل به على الحال التي هو عليها ، فأُنزل به ، وهو سكران ، في ثياب مصبغة وقد تضمخ بالخلوق ، فقال : سوءة لك ! رجل من ولد الخلافة على مثل هذه الحال . ثم امر ففرش بساط على باب الدير وبطح عليه وضربه عشرين درة وقال : ان أمير المؤمنين لم يولني خلافتي حتى أضيع في الامور وأهلها ، ولا حتى أدعك وغريك من أهله تعرفونه وتفضحونه ، وتخرجون الى ما خرجت اليه من التبذل والشهرة ، وهتك الحرمه ، وإخراجهم الى الديارات والحانات . وفي تأديبك صيانة للخلافة ، وردع لك ولغيرك عن هذه الفضيحة . ثم امر بعماريات كانت معه فأركب فيها مع حرمه ، وردده الى داره . فبلغ ذلك المعتصم فكتب اليه يصوب رأيه وفعله ، ويأمره ألا يرخس لاحد من أهل بيته في مثله اه

## — ١٤ —

والشابشتي هو ابو الحسن علي بن محمد الشابشتي الكاتب . قال ابن خلكان في تاريخه ( ج ١ ص ٤٨١ طبع بولاق ) : « كان اديباً فاضلاً ، تعلق بخدمة العزيز بن المعز العبدي صاحب مصر ، فولاه



امر خزانة كتبه ، وجعله دفتر خوان يقرأ له الكتب ويحاسبه ويناديه ، وكان حلو المحاوره لطيف المعاشرة . وله مصنفات حسنة ، منها كتاب الديارات ذكر فيه كل دير بالعراق والموصل والشام والجزيرة والديار المصرية ، وجميع الاشعار المقولة في كل دير . وما جرى فيه ، وهو على اسلوب الديارات للخالدين وابي الفرج الاصبهاني .... الخ » اه وكانت وفاته بمصر سنة ٣٩٠ هـ

— ١٥ —

اما دير مران فقد قال ياقوت في معجمه ( ج ٢ ص ٦٩٦ طبع اوربا ) نقلاً عن الخالدي ما نصه : « قال الخالدي : هذا الدير بالقرب من دمشق ، على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة . وبنائوه بالحصى ، واكثر فرشته بالبلاط الملوّن ، وهو دير كبير ، وفيه رهبان كثيرة ، وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني ، والاشجار محيطة به . . . الخ » ثم ذكر اقوال الشعراء في وصفه ومدحه . وقد تكلم عليه ايضاً ابن فضل الله العمري في الجزء الاول من كتابه مسالك الابصار

— ١٦ —

والغريب المدهش ان ابن فضل الله تكلم على كل من الديرين وذكر شعر ابن الضحاك فيما بوجهين ، ففي الجزء الاول من كتابه مسالك الابصار ( ص ٢٧٧ — ٢٧٨ ) ذكر دير مريان ونقل ما قاله الشابشتي عنه وأورد الشعر « يا دير مريان » . وفي كلامه على دير مران صحيفة ( ٣٥٥ ) نقل ما قاله ابو الفرج الاصبهاني عنه وساق الشعر بنفس الرواية التي ذكرها ابو الفرج « يا دير مران » بدون تنبيه او اشارة الى الرواية الصحيحة

ومما يلاحظ ان هذا الجزء طبع كما ذكرنا بعناية وتحقيق استاذنا الجليل احمد زكي باشا ، ولا يكاد القارئ يمر بصفحة منه الاً ويجد تحقيق استاذنا الجليل وتمحيصه بهامشها ، بما يشف عن دقة بحث وسعة اطلاع ، وغزارة علم ، وصبر وجلد ، وكيف لا وهو الذي — ادام الله حياته — علمنا كيف ندقق ونحقق وننبه عن كل صغيرة وكبيرة . ومع انه اشار في صفحة ( ٢٧٧ ) الى مراجعته لياقوت ( ج ٢ ص ٦٩٥ ) والشابشتي ( ورقة ١٢ ) راه في صفحة ( ٣٥٥ ) اثناء كلام ابن فضل الله على « دير مران » وذكره لشعر ابن الضحاك مكرراً أغفل الاشارة الى ما قاله ياقوت عن هذه الابيات ، وانها قيلت في « دير مريان » لا « دير مران » كما انه لم يذكر ان هذه الابيات مرت في صفحة ( ٢٧٨ ) على الأقل ولعل لاستاذنا الجليل العذر في هذا لان اتصالنا به ، وتشرفنا بالاشتغال معه سنين طويلة ، حتى بث فينا روح الجد والعمل والنشاط ، جعلنا نعتقد ان هذا ناشئ من طول الزمن بمضي الشهور بين طبع كل ملزمة واخرى . وانما الذي لا نلتمس له عذراً قوله في مناسباته التي وضعها لفهرس هذا الجزء ، فقد قال عن « دير مريان » صفحة ( ر ) ما نصه : « دير مريان ( وشعر الحسين بن الضحاك ) ٢٧٧ » وذكر عن دير مران صفحة ( ذ ) ما نصه : « زيارة هارون الرشيد وما صنعه الضحاك فيه من الشعر الذي غناه له عمرو بن بانه بلحن حين ٣٥٦ »



— ١٧ —

والذين لا نلتبس لهم عذراً ايضاً اولئك الذين قرأوا كتاب الاغاني بفهم ليفهرسوه كالعلامة المستشرق جويدي الطلياني ومن معه من افاضل المستشرقين . والاستاذ العلامة محمد مسعود بك والاستاذ العلامة عبد اللطيف آل ثنيان البغدادي . وغيرهم ممن صححوا كتاب الاغاني ، او نقلوا عنه وروا على هذا الخبر ولم يدركوا ما فيه من خلط وغلط

— ١٨ —

اما العلامة المستشرق جويدي ومن معه فقاموا بعمل فهرس هجائية وافية لكتاب الاغاني باللغة الفرنسية والعربية ورتبوه على اربعة فهرس وقالوا بفهرس الاماكن ما نصه : « دير مران ١٩٥ : ٦ » ولم يتنبه لهذا الخطأ الاستاذ العلامة محمد مسعود بك عند ترجمته لهذه الفهارس لطبعة الساسي ، فقد ورد في الفهرس الرابع الخاص باسماء الامكنة والجبال والمياه وغيرها ( ص ١٦ ) ما نصه : « دير مران ج ١٨٨ : ٦ » ، ويلاحظ ان فهرس الاعلام في طبعتي ليدن ومصر ذكرت فيه المناسبات الخاصة بالاعلام ، ومع هذا نجد ان المناسبات الخاصة باسم المعتصم وابن الضحاك بدخول الخليفة المعتصم الى الشام غازياً ونزوله بدير مران وطلبه من ابن الضحاك ان يقول شعراً في هذه الناحية فلم يجبه وقال شعراً متشوقاً الى بغداد لم ترد بالمرّة واغفلت نهائياً مع ورود اسم « دير مران » فيهما بفهرس الاماكن كما ذكرنا . ولا يخفى ما في هذا من اهمال وعدم الدقة والعناية بالمناسبات الخاصة بالاعلام

— ١٩ —

ولم يتنبه لهذا الخلط ايضاً العلامة الجليل الاستاذ عبد اللطيف آل ثنيان من علماء بغداد في مناسباته التي وضعها للاعلام بفهرس الاغاني الذي قام بتأليفه باشارة من شيخه العلامة الجليل السيد محمود شكري الآلوسي وهو في مجلد مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية وكان اهداه اليها بمناسبة إعادة طبعها لكتاب الاغاني للاستفادة منه عند القيام بوضع فهرسه . ويشتمل هذا المجلد على فهرس لاسماء الشعراء وآخر لاسماء الامكنة والجبال والمياه ونحوها وثالث لايام العرب ورابع للاعلام مع المناسبات الخاصة بها . وقد ابتدأ عمله فيه سنة ١٣٢١ هـ وانتهى من تبليضه سنة ١٣٣١ هـ ويقع في ٦٠٦ صفحة في حجم الربع

وقد اورد في المناسبات التي ذكرها للحسين بن الضحاك في هذا الموضع ما نصه : « مدح دير مران بالشام لما غزاه المعتصم ١٩٥ : ٦ » وذكر في المناسبات الخاصة بالخليفة المعتصم ما نصه : « كان في دير مران فأمر الحسين ان يقول فيه شعراً يغني به عمرو بن بانه ١٩٥ : ٦ » مع أن الخبر الذي اوردّه ابو الفرج لا يدع مجالاً للشك بأن ابن الضحاك لم يجب أمر الخليفة المعتصم بان يقول شيئاً في الجهة التي نزلوا بها وهي دير مران وانما قال متشوقاً الى بغداد ذاكرآ دير مريان . واذا كان هذا



شأنه في المناسبات الظاهرة فكيف حاله في المناسبات التي لا تكتب إلا بعد إتمام النظر وكثرة التأمل وإجهاد الفكر . لعله يكتب « ذكر عرضاً » كما لاحظناه مراراً في هذا الفهرس يكررها

— ٢٠ —

ولم يتنبه لهذا الخلط أيضاً الامام اللغوي المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي في تصحيحاته التي دوّنها بنسخته الخاصة من طبعة بولاق وهي التي جردناها ورتبناها وطبعناها على حدة في رسالة خاصة سنة ١٩١٦ م وتقع في ( ٧٠ صفحة ) من حجم الاغاني مع انه رحمه الله تعالى صحح في الجزء السادس الذي ورد فيه هذا الخبر نحو السبعين غلطة من الغلطات الغامضة التي لا تكاد تدرجها الأفهام ، ولا يعلمها إلا الراسخون في العلم ، وقليل ما هم

— ٢١ —

ولم يتنبه لهذا الخلط أيضاً الاستاذ العلامة المحقق حبيب الزيات في كلمته عن الديارات الواردة في الجزء الاول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري وقد نشرها في مجلة لغة العرب في الجزء الخامس من السنة السادسة ص ٣٢٢ — ٣٤٢

— ٢٢ —

ولم يتنبه لهذا الخلط أيضاً الاستاذ الجليل والكاتب المجيد الدكتور طه حسين حين جمع أخبار أبي الفرج عن حسين بن الضحاك لميلي ترجمته التي نشرها بالسياسة بتاريخ ٢٣ ابريل سنة ١٩٢٤ م والتي ضمها في كتاب ( حديث الاربعاء ) ج ١ ص ٢١٣ — ٢٣١ ويقول فيها ( ص ٢٢١ ) ما نصه : « وله ( ابن الضحاك ) مع هؤلاء الخلفاء ( المعتصم والواثق والمتوكل ) جميعاً أخبار حلوة تبسط في روايتها أبو الفرج » ومع اننا نعتز ان الاستاذ الجليل الدكتور طه حسين في دقة فهمه ونقده لا يضارع ، ومقدرته ونبوغه في تحليله للشخصيات لا ينازعه فيها احد نرى ان هذا الخبر مرّ عليه بدون تعليق او اشارة

٢٣

اما من كتبوا عن الحسين بن الضحاك من مؤلفي هذا العصر المعروفين ، ونقلوا اخباره وشعره من كتاب الاغاني وغيره ليضموها الى مؤلفاتهم في الادب العربي ، ولم يتنبهوا الى ما وقع فيه صاحب الاغاني من خلط ، فكثير ما هم

وفي ختام هذا البحث نذكر اننا اطلعنا استاذنا الجليل العلامة المحقق احمد زكي باشا على ما ورد في الجزء الاول من كتاب مسالك الابصار والكتب الاخرى التي ذكرناها آنفاً ، فهأننا على هذا التوفيق ، وشكرنا على هذه الدقة في البحث والتحقيق ، وسمح لنا بنشر هذه الحقيقة تعمياً للنفع واتماماً لفائدة ، فليتنا طلبة . و ( الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله )



# آيَاتُ رَبِّي فِي خَلْقِهِ

## غرائب الصفات الجنسية

### الاولية والثانوية

اذا خشي الحمل صغيراً كبر اجمّ اي لم ينبت قرناه . ويقول اصحاب القطعان ان الحملان المخصية تنبت قرونها ولكنها لا تنمو بل تبقى صغيرة مع ان النعاج جُمٌّ . ويقال في تعليل ذلك ان القرون سلاح الحيوان . والحيوانات التي من جنس الغنم والمعزى والظباء والايائل تستعمل قرونها وقت المزاوجة فيقتاتل ذكورها بها والغالب منها يستبد بالاناث فقويت العلاقة بين القرون والتناسل ، ولذلك تسقط قرون الايائل بعد فصل المزاوجة ، ولذلك ايضاً صارت اناث بعض انواع الغنم جُمّاً لا قرون لها وعليه لا يعتمد ان يتوقف نمو القرون في ذكور الغنم اذا خصيت صغيرة

يراد بالصفات الجنسية الصفات التي تكون في الذكور خاصة او في الاناث خاصة فيمتاز بها الذكر عن الانثى . وهي كثيرة كما لا يخفى بعضها اولي او جوهرى يتعلق باخلاف النسل كالخصيتين في الذكر والمبيض في الانثى . وبعضها ثانوي او عرضي كطول الشعر في وجه الرجل وتزوّق ريش الديك وكبر ثدي المرأة واغبرار لون الدجاجة وهلم جرا

اما الصفات الاولية فما يختص منها بالذكور لا يظهر الا فيهم . وما يختص بالاناث لا يظهر الا فيهن . وقد تجتمع هذه الصفات في شخص واحد فيكون ذكراً وانثى معاً وهو الخنثى . وذلك نادر جداً في البشر والحيوانات العليا لكنه كثير في بعض انواع الحيوانات الدنيا كالبراق ويكاد يكون عامّاً في انواع النبات لا يستثنى منه الا ما كان مثل النخل والصنوبر اذ تكون ازهار الذكر في شجرة وازهار الانثى في اخرى . اما الصفات الثانوية فغير مرتبطة باخلاف النسل ارتباطاً جوهرياً اي هي خارجة عن اعضاء التوليد ، ومع ذلك تظهر وتنمو حينما يصير الحيوان قادراً على التوليد ، فتُرى جلية في البالغ منه ، ولو لم تُر جلية في صغاره كما ترى في الفرق الظاهر بين الرجل والمرأة ، والديك والدجاجة ، والنور والبقرة ، والسكبش والنعجة ، والتيس والعنزة ، ولو لم تظهر في صغار هذه الحيوانات . وتظهر ايضاً في لوان الطيور واشكال الاسماك فيراها مربو الطيور ، وصائدو السمك ، ولو لم ينتبه لها غيرهم



وليس لهذه الصفات الثانوية علاقة جوهرية بالتوليد ولكن لها علاقة ثانوية . فبعضها من الجوانب التي تقرب بين الذكر والانثى ، لاختلاف النسل كالوان الطيور واصواتها . وبعضها من الاسلحة التي تمكن الذكور من الحصول على الاناث كقرون الكباش والايائل وبينها وبين الصفات الاولية صفات اخرى بين بين ، اي انها ليست ضرورية ، لاختلاف النسل حتى لا تقوم الولادة من دونها ، ولكنها متعلقة به كإدراج اللبن من اناث الحيوانات اللبونة او الثديية ، لتغذية اطفالها . ومنها وجود مثقب لاناث بعض الحشرات تنقب به الثمرة او نحوها لتضع بيضها في المثقب ، حتى اذا ظهرت صغارها وجدت لها طعاماً كافياً ، ووجود اكياس للذكور بعض الاسماك والضفادع يحمل به بيض انثى الى ان تولد صغارها منه واذا انعمت النظر وجدت ان الصفات الجنسية كثيرة جداً مختلفة الدرجات مما هو لازم لزوماً لا بد منه لتوليد النسل ، كالمبيض في الانثى والخصيتين في الذكر الى ما هو عرضي تماماً كصياح الديك ونقيق الدجاجة ومع ذلك لا تنكر علاقة هذه الصفات الثانوية بالتوليد ولو كانت علاقة غير جوهرية من الامور المشاهدة ان الصفات الثانوية يتوقف ظهورها ونموها غالباً على وجود الصفات الاولية ونموها فلا تظهر واضحة الا متى بلغ الحيوان اشدّه ذكراً كان او انثى ، اي متى نمت الصفات الاولية فيه وبلغت غايتها والحيوانات التي تنزاج وتتوالد ، في فصل معلوم من السنة يظهر فيها بعض الصفات الثانوية ، في ذلك الفصل فقط ، كأنها وجدت لاجل التزاوج والتوالد واختلاف النسل لا غير ومن هذا القبيل نمو قرون الايائل ، في فصل المزاوجة وسقوطها بعده . ومنه علاقة القرون بالخصي فاذا خصيت الحيوانات ذوات القرون وهي صغيرة قبلما تنبت قرونها بطل نمو قرونها او نمت صغيرة فاذا خصي الايل صغيراً لم ينبت قرناه بعد ذلك . واذا خصي بعد ان كبر قرناه ثم وقعا في ميعاد وقوعهما لم ينبتا بعد ذلك او نبتا صغيرين في الفصل التالي . ومن الغنم صنف ذكوره قرن واناثة جهم فاذا خصيت حملانه صغيرة قبلما تنبت قرونها لم تنبت بعد ذلك او نبتت صغيرة واذا خصيت بعد ان تنبت قرونها بقيت على حالها ولم تكبر ، ومنه صنف ذكوره واناثة قرن ولكن قرون الذكور اكبر من قرون الاناث فاذا خصيت الذكور صغيرة نبتت لها قرون صغيرة كقرون الاناث اي صارت الذكور كالاناث في الحالين اذا خصيت صغيرة

يؤخذ مما تقدم ان هذه الصفة الثانوية ، في ذكور الغنم تابعة للصفة الاولية فيها ، التي تميز الذكور عن الاناث وهي وجود الخصيتين . ومن هذا القبيل كثير من الصفات الثانوية ، فلها لا تظهر اذا نزع الخصيتان قبلما تظهر او تظهر ضعيفة . ولكن اذا نزع الخصيتان بعد ما تظهر فان نموها يقل او يقف عن الحد الذي بلغته ، وذلك واضح في خصيان البشر ، وأشهر الظواهر شعر العارضين والصوت . واذا نزع المبيض من الانثى (وهو بمثابة الخصيتين في الذكر من حيث صلته بالتوليد) فان نزعها يؤثر في صفات الانثى الثانوية ولكن تأثيره يكون اقل من تأثير نزع الخصيتين من الذكر ، فتصير الانثى ميالة الى الزهو والمرح كالذكر ولكنها لا تعدم بعض المزايا الظاهرة المميزة لها



تقدم ان هذه الصفات مرتبطة كلها باخلاف النسل ، وقد توالى ظهورها وثبتت بالانتخاب الطبيعي والجنسي . فقرنا الكبش نباتا وبلغا الحد الذي تراهما فيه الآن لكثرة ما ناطح اقرانه لاحراز الاناث في فصل المزاوجة . فهما مرتبطان بخصيتيه ، فاذا زعنا بطل الباعث على نمو قرنيه . ولا ينتظر ان يكون بين الخصيتين والقرنين علاقة عقلية فيقول القرنان لم يبق داع لمونا بعد سلت الخصيتين ، فلا نتعب نفوسنا بالنمو ولكن لا بد من علاقة ما طبيعية وفسولوجية ، اي لا بد من وجود شيء في الخصيتين يؤثر في نمو القرنين او في البدن كله فيربط نموها بوجود الخصيتين وقد عللوا ذلك بأنه يفرز من الخصيتين والمبيض مفرزات داخلية ( هرمونات ) تدور مع الدم وتؤثر في البدن وقد ابان الاستاذ شتيناخ الجراح النسوي المشهور ذلك ، بأنه نزع المبيض والخصيتين من الجرذان وخنازير الهند ، وطعم بعض الذكور بخصي ذكور اخرى او بمبيض الاناث ، والاناث بمبيض اناث اخرى او بخصي الذكور . فالحيوانات التي اكتفى بنزع خصاها او مبيضاتها تمت مثل غيرها ولكن لم تظهر فيها الصفات الجنسية الثانوية او ظهرت ضعيفة . والذكور التي ابقى خصاها وطعمها بخصي ذكور اخرى قويت فيها الصفات الثانوية المميزة للذكور فكبر جسمها وزادت اقتحاما وطلباً للاناث . والذكور التي طعمت بمبيض الاناث صارت كالاناث في طباعها وشكلها وكبر ثديها وصارت تفرز لبنا كثدي الاناث وترضع اجراء غيرها كأنها اناث . والاناث التي طعمها بخصي الذكور ظهرت صفات الذكور فيها . فانها كبرت وقويت وشرست وصارت كالذكور في طلبها للاناث . والديوك التي تخصى صغيرة لا يكبر عرفها ولكن ريشها لا يختلف عن ريش غيرها من الديوك . فاذا نزع المبيض من دجاجة بدت عليها صفات الديوك فيكبر عرفها كعرف الديك ويطول بعض ريشها ويتلون . ويحدث مثل ذلك في البط . اي ان نزع الخصيتين اقل تأثيراً في هذه الطيور من نزع المبيض . ومعلوم ان اناث الطيور اذا جاوزت السن الذي تبويض فيه شابهت الذكور فاتصافها بصفات الذكر اقرب وقوعاً

ويمكن تعليل ذلك كله بأنه يفرز من الخصيتين والمبيض مفرزات داخلية تؤثر في الحيوان الذي تكون فيه ، مفرزات الخصيتين تولد في جسم الحيوان صفات الذكور الثانوية ومفرزات المبيض تولد فيه صفات الاناث الثانوية سواء كان الحيوان ذكر او انثى في الحالين . ولكن يعترض على ذلك بوجود الخصيتين والمبيض في حيوان واحد وتظهر الصفات الواحدة في احد شقيه والاخرى في الآخر . فان بعضهم وجد عصفوراً من العصافير التي صدور ذكورها حمراء ، وكان الجانب الايمن من صدره احمر كصدر الذكر والجانب الايسر اصهب ، اي ان احد جانبي صدره ذكر والاخر انثى فقال بعضهم ان هذا ينبغي كون سبب الصفات الجنسية الثانوية مفرزات داخلية من المبيض والخصيتين لانه لو صح ذلك لابطلت مفرزات الواحدة فعل الاخرى . ولكن ذلك قد لا ينبغي فعل المفرزات الداخلية ، اذ يحتمل ان يكون فعلها في الجانب الذي هي فيه اشد من فعلها في الجانب البعيد عنها



# الطاقة

من نيوتن الى اينشتاين

لمحمد عاطف البرقوقي<sup>(١)</sup>

لعل أهم الأبحاث التي شغلت عقول العلماء في العهد القديم والعهد الحديث هو موضوع الطاقة فمن علم الميكانيكا الذي وضع اساسه العالم الانكليزي نيوتن نعلم ان الجسم المتحرك له طاقة تسمى طاقة الحركة فإلستم اذ يترك القوس يتحرك بسرعة وتصبح له طاقة يظهر أثرها اذا صدم جسم غزال فان السهم يلهب جسمه ويجرحه وكذلك الجسم المقذوف الى اعلى تحت تأثير الجاذبية تقل سرعته وبذلك تقل طاقة حركته ولكن هل تقل الطاقة هكذا دون ان يظهر لها أثر آخر؟ بل لا بد من تعويض الطاقة المفقودة بطاقة اخرى تسمى طاقة الوضع في هذه الحالة لان هذا الجسم المقذوف الى اعلى تقل سرعته الى ان تتلاشى وعندئذ تنعدم طاقة حركته وتتحول جميعها الى طاقة وضع بحيث اذا لم يمنع الجسم عائق فانه يتحرك الى اسفل ثانية من تلقاء نفسه

وليست الطاقة مقصورة على هذين النوعين فقط بل هناك مثلاً الطاقة الكيميائية والطاقة الكهربائية والطاقة الحرارية . ويمكن للطاقة ان تتحول من صورة الى اخرى فالطاقة الكيميائية تتحول الى طاقة حرارية كما لو وضعت بعض المواد في بعض الحوامض فانها تحترق وكذلك الطاقة الكيميائية تتحول الى طاقة كهربائية كما في البطاريات اذ البطارية ما هي الا لوحان من معدنين مختلفين بينهما مواد كيميائية فمن التفاعل الكيميائي يشحن كل لوح بجهد مختلف ومن فرق الجهد بين اللوحين يسري التيار اذا وصل اللوحان بسلك وكذلك الطاقة الكهربائية تتحول الى طاقة حرارية كما لو مر التيار في المدفأة الكهربائية فيسخنها وتشم الحرارة في الغرفة

العلاقة بين الطاقة الميكانيكية والطاقة الحرارية : كان العلماء يعتقدون منذ قرن ان ارتفاع درجة حرارة الجسم ناشئ من وجود سائل خفيف الوزن في الجسم وكلما زاد مقدار هذا السائل في الجسم ارتفعت درجة حرارته فاذا وصل بجسم آخر اقل منه في درجة الحرارة سرى هذا السائل من الجسم الساخن الى الآخر وتعرف هذه النظرية بنظرية « السيل الحراري » ولكن هذه النظرية بعد ان مكثت مدة تفسر بعض الظواهر ارتطمت امام التجارب الاخرى اذ ادي الاخذ بها الى نتائج لا تتحققها التجارب . وكان اول معول بدأ في هدم هذه النظرية معول « كونت رمفورد » فيما كان

(١) حائز درجة شرف في العلوم من جامعة برستول واستاذ الطبيعة في المدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة



يقوم بملاحظة تقوير الانابيب لعمل المدافع عام ١٧٩٨ كانت برادة الحديد المتناثرة والناجمة من التقوير ساخنة جداً كما لو حككت قطعتي حجر احدهما بالآخرى فان حرارتهما ترتفع وتوقد الفتيل. وقد تبع هذا هادم آخر هو «السر همفري دافي» اذ تمكن من صهر قطعتي جليد دون تسخين بل بالاحتكاك وهما متلاصقتان. فهل كان هناك «سيال حراري» في احدى القطعتين دون الاخرى وهما دون الصفر. فلا بد ان يكون هناك علة اخرى وهي العلاقة المتينة بين الطاقة الميكانيكية او الشغل الميكانيكي وتوليد الحرارة وهذا ما اثبتته العالم الانكليزي «چول» اذ اجرى عدة تجارب اثبت فيها ان مقدار الحرارة الناتجة من الشغل الميكانيكي تتناسب مع هذا الشغل وبذلك بطلت نظرية السيل الحراري نهائياً

﴿طاقة موجات الضوء والحرارة﴾ : كما ان للحرارة طاقة فكذلك لموجات الضوء طاقة فوجات الحرارة وموجات الضوء كلاهما موجات مستعرضة الا ان طول الموجات الحرارية اكبر من طول الاخرى بل هي لكبرها لا تثير حاسة الابصار ويمكن ان تدرك ذلك بالرجوع الى حالة الصوت فنحن نعلم ان كل صوت لا بد ان يحدث من اهتزاز الجسم فالناقوس اذ يدق يهتز والسكان اذ تعطي اي نغمة فان وترها لا بد ان يهتز ويقوي النغمة عمودها الهوائي وهكذا. ولكن هل كل جسم يهتز لا بد ان يصدر صوتاً؟ لا. وذلك لان الجسم المهتز والذي لا يصدر صوتاً يسبب موجة لا تثير حاسة السمع. رأيت ان اذكر هذا المثل للمقارنة بحالة يسهل ادراكها بسرعة لاتنا نشاهدها يومياً في الحياة. ولكن هذه الحقيقة — الضوء والحرارة موجات من نوع واحد — يمكن اثباتها بتجارب كثيرة منها انك اذا أمررت اشعة الشمس من منشور فان الضوء الابيض يتحلل الى ألوان الطيف بحيث يبدأ الطيف باللون الاحمر وينتهي الى البنفسجي فاذا أمررت جهازاً حساساً لادراك الطاقة الحرارية الصغيرة — كالتي نحن بصدها — فان تأثر هذا الجهاز في حالة وجوده عند الجزء الاحمر اقوى منه عند الجزء البنفسجي فاذا حركت الجهاز الى ان يقع في الجزء الذي قبل الاحمر فانه يتأثر أيضاً ولو انه في الجزء الذي لا يثير حاسة الابصار. وقد وجد ان لكل لون — او لكل موجة — طاقة خاصة وقد حاول كثير من العلماء تفسير هذه العلاقة فلم يفلحوا حتى جاءهم بلانك Planck واخرج نظريته المسماة «نظرية الكم» Quantum theory التي يقول فيها ان طاقة الاشعاع او طاقة موجات الضوء والحرارة ليست متصلة بل متقطعة — وكل جزء من الطاقة — ويسمى «كمًا» — يساوي مقدار ثابت  $\times$  تردد الموجة. ويسمى هذا المقدار الثابت بثابت بلانك لأهميته الرياضية وقد أمكن تفسير ظواهر كثيرة بهذه النظرية وخصوصاً تلك الظواهر الخاصة بالالكترتون واشعة اكس

﴿الطاقة والمادة﴾ : والطاقة هنا يقصد بها طاقة موجات الضوء والحرارة. كان نيوتن يعتبر ان الشعاع الضوئي يتركب من دقائق تسير في خطوط مستقيمة في الوسط المتجانس وتمكن بنظريته هذه المسماة «نظرية الدقائق» Corpuscular Theory — اقول قد تمكن ان يفسر ظواهر كثيرة



مثل حدوث الظل والانعكاس ولكنه عند ما حاول تفسير الانكسار وصل الى نتائج خطأ اذ وجب ان تكون سرعة الضوء في الماء اكبر من سرعته في الهواء وهذا ما لم تثبته التجارب بل اثبتت عكسه لان سرعة الضوء في الماء اقل من سرعته في الهواء فبطلت هذه النظرية وتبعها النظرية الموجية Wave Theory وهي تفرض ان الضوء لا يتكون من دقائق كما يقول نيوتن بل من موجات مستعرضة تنتشر في الاثير كما تنتشر موجات الماء على سطح البحر ولكن بسرعة هي اكبر سرعة معروفة للآن . وامكن بهذه النظرية تفسير الانكسار تفسيراً يتفق مع التجارب وكذلك تفسير التداخل Interference وتحليل الضوء والريغ Diffraction وقد عاشت هذه النظرية الموجية الى الآن ولكن في السنين الاخيرة جدت تجارب وظواهر لا يمكن تفسيرها الا اذا افترضنا ان الموجات بها دقائق اي لها بعض صفات المادة وكذلك المادة لها صفات الموجات وبالفعل حاول العلماء تحقيق هذه الفكرة فأطلقوا تياراً من الالكترونات — Stream of electrons — حتى تسقط عمودية على لوح رقيق من المعدن فبدلاً من ان تنفذ مع هبوط في سرعتها او هبوط في شدتها — بدلاً من ذلك نفذت وكوّنت حلقات كما تفعل الموجات تماماً اي ان الالكترونات وهي مادة عملت عمل الموجات — كموجات اشعة اكس مثلاً — وعلى ذلك لم تكن هناك مندوحة من فرض ان الطاقة والمادة اسمان لمسمى واحد يمكن لاحدهما ان ينتج أثر الآخر

✽ اينشتين ✽ ذلك العالم الذائع الصيت وصاحب النظريات التي حيرت عقول اكبر اساتذة الطبيعة في الجامعات الاوربية ومع ذلك فالعالم مضطر لقبولها لانها تفسر عدداً غير قليل من المشاهدات الفلكية والتجارب العملية ولعل ادهش وأظهر مافي نظريته النسبية Theory of Relativity افتراض ان كتلة الجسم تزداد بازدياد سرعته تبعاً للعلاقة المشهورة التي استنتجها اينشتين وهي :

$$\text{كتلة الجسم اثناء حركته} = \frac{\text{كتلة الجسم وهو ساكن}}{\sqrt{1 - \frac{\text{مربع سرعة الجسم}}{\text{مربع سرعة الضوء}}}}$$

$$\text{أما بالرموز} \quad K = \frac{K_0}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}}$$

بحيث يدل كل رمز على ما يمثله في القانون السابق وباختصار هذه المعادلة نجد ان

$$K = K_0 \left( 1 - \frac{v^2}{c^2} \right)^{-\frac{1}{2}}$$

$$= K_0 \left( 1 + \frac{v^2}{c^2} + \dots \right)$$



$$= ك. + \frac{1}{25} \times \frac{1}{3} ك. ع^2 + ٠.٠٠٠$$

اي ان كتلة الجسم وهو متحرك = كتلة الجسم وهو ساكن +  $\frac{\text{طاقة الحركة للجسم}}{\text{مربع سرعة الضوء}}$

ومن هذه المعادلة نرى ان الجسم اذا تحرك زادت كتلته . وهي نتيجة يدهش لها القارىء المفكر — على ما اعتقد — لانه ربما يسأل وهل القطار المتحرك تزداد كتلته او الطائرة المتحركة تزداد كتلتها . والجواب عن مثل هذا السؤال هو بالاجاب بناء على نظرية اينشتين . ولكن لاتدهش ايها القارىء الكريم فسوف يقل عجبك اذا علمت ان الزيادة لا تكاد تذكر في حالة اسرع قطار او اسرع طائرة ولكن الزيادة كبيرة جداً اذا كانت سرعة الجسم تقرب من سرعة الضوء التي هي اكبر سرعة معلومة للآن كما ذكرت سابقاً . وسأثبت ذلك بمثال :

اكبر سرعة لطائرة في عالم الطيران هي حول ٤٨٠ ميل في الساعة اي حوالي ٢١١٢٠ سنتمتر في الثانية تقريباً . ولنفرض انه كان يمكن ان نصل الى سرعة ٣٠٠٠٠ سنتمتر في الثانية فتكون نسبة سرعة الجسم الى سرعة الضوء تساوي  $\frac{1}{10}$  وهي نسبة صغيرة فما بالها بمربعها

$$\text{مربع سرعة الطائرة} = \frac{1}{10} = \frac{1}{100} = \frac{1}{10000000000}$$

وتكون الزيادة في كتلة الطائرة =  $\frac{1}{10} \times \frac{1}{100} \times \text{كتلة الطائرة وهي ساكنة}$

فاذا كانت كتلة الطائرة وهي ساكنة تساوي ٥٠٠٠٠ كيلو جرام اي حول ٥٠ طنًا فتكون هذه الزيادة في كتلة الطائرة =  $\frac{1}{10} \times \frac{1}{100} \times ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ = ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠$  جرام

فالظر الى هذه الزيادة الطفيفة جداً بل المهمة في كثير من عملياتنا الدقيقة مع هذه السرعة الزائدة في حياتنا العملية

ولعل القارىء الكريم يقول وما لنا اذن ولهذه النظرية التي لا تجري ولا تؤثر — حقاً انها لاتؤثر في كتلة مثل هذه الاجسام وفي مثل هذه السرعة ولكن احسب لنفسك الزيادة في كتلة جسم يسير بسرعة تساوي عشر سرعة الضوء — وليس جزء من مليون — تجد ان الزيادة في الكتلة لا تبلغ جزءاً من الكتلة الاصلية بل اكثر من ضعفين — بل ٢٣ مرة من كتلتها وهي ساكنة وهذا ما يحصل في حالة دقائق بيتا B التي تقذف من الراديوم

ولهذه الزيادة قيمتها في عالم التجارب الدقيقة التي تعمل على الالكترين المتحرك بهذه السرعة الكبيرة وبهذه النظرية حققت كثير من التجارب وثبتت نهائياً قيمة الشحنة التي على الالكترين



# عودة الروح

تأليف توفيق الحكيم

نقد وتحليل بقلم محمد علي حماد

— ١ —

## أشخاص القصة

« عودة الروح » : هي ثاني الاعمال الادبية التي ظهرت للاستاذ توفيق الحكيم بعد « أهل الكهف » روايته البكر التي احدث ظهورها ضجة لا في مصر وحدها بل في العالم العربي بأسره ورفعته درجات في سماء الشهرة والمجد وتكاثرت عليه اكاليل المدح والثناء حتى ازدهت بها صفحات الجرائد والمجلات وتبارى في تقريرها كبار الكتّاب والادباء . و « عودة الروح » هي القصة المصرية الاولى Novel التي يؤرخ ظهورها عهداً جديداً وفتحاً مبيناً في تاريخ الادب المصري . وهي مصرية بمؤلفها وناسج برديتها هذا النسيج المحكم الدقيق ، مصرية بأبطالها ، مصرية بوقائعها ، مصرية بدمها الذي يجري في شرايينها دماً مصرياً خالصاً ، مصرية بهذا الوصف الذي يعرض لأشخاص واماكن وعواطف وميول كلها مصري صادق اصيل ، مصرية بهذه الصفحات الكريمة التي مجد فيها المؤلف الفلاح المصري والثورة المصرية ، وهي اخيراً مصرية بلغتها التي أتحدث بها انا وانت وغيرنا من الاربعة عشر مليوناً من المصريين ، هذه اللغة المحببة التي هي حديثنا في المنزل وفي الطريق ، في الجمع الحاشد وفي الصفوة المختارة من الاصدقاء ، حيثما كنا واياك اجتمعنا ، هذه اللغة المصرية التي نجد لها في النفس والقلب وقعاً خاصاً ورنيناً خاصاً لانجدها في غيرها من اللغات حتى ولا في هذه اللغة العربية التي نتكلمها تكلفاً بين آونة واخرى لغرض معين او في ظرف معين ، فاذا ما انتهينا من هذا الغرض وقضينا منه وطراً ، واذا ما خرجنا من هذا الظرف الطارئ ، عدنا الى لغتنا نعب فيها ما نعب في سهولة وسير ، وفي طبيعة غير متكلفة ولا ملولة ، ورجعنا بذلك الى احضان البيئة الاصيلة التي نحيا فيها حياتنا اليومية ، وخلعنا عنا رداءً مستعاراً نبدو من بعده في لباسنا الحق ، فاذا نحن مصريون قبل كل شيء ، روحاً وجسداً ولغة

أبطال هذه القصة قلائل ، او قل ان من يعيننا من اشخاصها قليل ، وعندنا محسن وعبد وسليم وهبروك وزنوبة وهم الذين جمعهم المؤلف تحت كلمة « الشعب » ثم مصطفى وسنية . وغير هؤلاء ثمة شخصيات تمر بها سريعاً ، وأخرى تترى عندها برهة ثم تمضي . ولكن ما من شخصية من



كل هذه الشخصيات التي تطالعك في ثنايا القصة إلا ولها شأنها ولها خطرها ، ولها مكانها في سياق الحديث والقول . وان المؤلف ليتأنق في عرض أبطاله وفي تصويرهم وبرايمهم تأنق الغاية الفاتنة لاتهم صغيراً من أمر زينتها إلا وتعنى به اكبر العناية ، لان من هذا المجموع تتكوّن في عينك الصورة التي تحبها والجمال الذي تعشقه ، ولو وجدت ثمة خدشاً او نقصاً هنا او هناك لنقص جمال الصورة بقدر هذا بل اضعافه لان الاحساس بالنقص يستوي عنده القليل والكثير ، ورب ذرة من ملح أفسدت على المرء طعامه وشرابه . والمؤلف جدّ حريص على ان تستوي في ناظريك الصورة في انافه لا تشوبها شائبة ، وفي اطار حلو بارع كل البراعة ، دقيق كل الدقة ، لا تجد فيه خدشاً ، ولا تحس فيه نقصاً

بروعك من هذه القصة لاول وهلة دقة تصوير شخصياتها على اختلاف كبير بين هؤلاء الابطال في النشأة والعلم والاستعداد الشخصي ، وانك لو اجدت في كل منهم شخصية تخالف الاخرى وتفترق عنها في الكثير والقليل ، تجمعهم احياناً وحدة الحادثة ولكن ما أشد تباينهم تجاهها في الشعور والحس والادراك الصحيح . وما أبلغ هذا التباين في الاندماج في الحياة والانفعال بمختلف ما تأتي به من خير او شر ، من رجاء او خيبة ، من أمل او يأس ، وتكاد تحس فيهم جميعاً طيبة القلب وسداجة الفطرة ، والتبسط في الحياة ، وتقبل ما تأتي به صروفها من ألم او أمل ، في رضى واستسلام او في غضب هو بالرضى أشبه ، ولكن كلاً نسيج وحده ، وكلاً بعد ذلك له خلقه البارز وطبعه الغابر وشخصيته الفذة التي ترسمها ولا تكاد تخفى على ناظريك طوال القصة ، في معالمها الكبرى وأسطرها الواضحة وحداثتها الجلّى ، بل في تفاصيلها الدقيقة وما بين هذه الاسطر والكلمات ، وما بين تضاعيف القصة من حوادث وصروف وتقلبات

وأظن ان من الخير ان نلم المامة عاجلة بهذه الشخصيات المحببة التي سرعان ما تألفها وتحبها حتى نشعر وكأنهم أحياء يتحدثون ويتحركون امام ناظريك ، لا أبطال قصة من صنع الخيال من رؤاهم المؤلف يحركهم كالدمى الخشبية ويفتعل لهم المواقف والحديث والحركة

﴿ محسن ﴾ وهذا « محسن » بطلنا الناشئ ، الطالب في مستهل دراسته الثانوية ، الشاب في غرارة الصبا واول خطى العمر الغض ، ما اجدره بالحب واخلاق بقلبه الفتى ايفتح مصراعيه لاول طارق وان يصيبه السهم الاول فيدميه ويمجرحه جرح الابد . وذلك هو الجرح الذي لا يفتأ على الايام يؤلم ويديم . و « محسن » يحب ولكن على استحياء وخجل ، وفي صمت وكتمان . فاذا ملح بادرة امل راح والدنيا لا تتسع لنشوته ، واذا داخله اليأس افعم قلبه وروحوه وضقت الدنيا في عينيه بما رحبت . لا يعرف مداخل الرجل الى قلب المرأة ، ولا يدري كيف يغزو الغزاة هذا الحصن المنيع ويحسنون الطرق على أبوابه حتى تنفتح لهم عن جنات ورياض زاهرة من الامل الباسم الحلو ، والسعادة العذبة التي تطفئ على القلب والنفود وتفعمها حياة وقوة وأملاً زاهراً



ويتعمد المؤلف ان يقدم لنا بطله في صورة الشاب الصغير السن ، القليل التجربة ، ولا يفناً يذكرنا بهذه الصورة في مناسبات عدة وفي ظروف متباعدة ليبنى عليها ما يشاء منه القصصي البارع الدقيق من ملائسات وأخيلة وتصرفات تناسب هذه الصورة وتلائمها كل الملاءمة ، وما تكاد تمضي في القصة صفحات حتى يحدد لك المؤلف عمر «محسن» تحديداً دقيقاً لا يترك مجالاً للبس والابهام فهو في الخامسة عشرة من عمره . ثم يتحدث عنه أحياناً قائلاً « الفتى الصغير » او « الغلام » وهذه «سنية» عند ما تستدرج أمها لمقابلته تصفه بأنه طفل ... وتقول مخاطبة أمها — ياستي دا مش راجل ...

وهذه النظرة من سنية لمحسن لها شأنها الكبير في سياق الرواية ، بل لعل سنية لو تبدلت نظرتها هذه لمحسن لتبدلت القصة كلها . وسيجيء تفصيل هذا في سياق القول ولا يقف المؤلف عند هذا . وها هو محسن نفسه يشعر في اعماق قلبه ويحس احساساً قوياً أنه صغير ... لا يصلح لمنافسة الرجال في المرأة وفي محاولة الاستيلاء عليها . ويصف المؤلف هذا الاحساس في نفس «محسن» وصفاً صادقاً دقيقاً ، ويحلله تحليلاً نفسانياً بارعاً ، مرتين ، الاولى عند زيارة «عبد» منزل «سنية» لاصلاح سلك الكهرباء ، والثانية عند انتهاء «سليم» فرصة تلف ينانو «سنية» ودخوله منزلها مدعياً أنه له خبرة بمثل هذه الشؤون

ففي الاولى اوحى بعض تصرفات «سنية» لبطلنا الشاب هذا الوحي المرعب « ان النساء قبل كل شيء يهنن بالرجل القوي الممتلئ طولاً وعرضاً ذي الصوت الخشن مدفوعات بدوافع خارجة عن ارادتهن . لعلها الغريزة الجنسية . ولعله هو بالنسبة لعبده مازال طفلاً او غلاماً لا يوحى الى المرأة تلك العاطفة »

ويحس «محسن» من افعال «عبد» لشأنه وعدم اعتداده به كمنافس خطر يزاحمه على «سنية» يحس الشاب «انه صغير لا يصلح حتى ان يعد غريماً ومزاحماً»

وضرب المؤلف على هذه النعمة في المرة الثانية عقب ان رجع «سليم» من بيت الجيران - اعني بيت سنية كما يعبر عنه المؤلف أحياناً - وراح يتحدث بحساسن الفتاة الجمانية ، ويفصل القول في تقاطيع جسمها تفصيلاً تشمئز منه نفس «محسن» فيضمر لسليم شيئاً لا يدرك كنهه ، ثم « أحس ذلك الاحساس المبهم مرة اخرى بصورة اوضح . احساس القصور والضعف المذل بالنسبة لسليم . وتصور سليم ذلك الرجل الذكر الذي يتغلب بسهولة على المرأة ولا قبل لها بمقاومته ... او ان سليم رجل يعرف اشياء لا يعرفها هو ... او ان ... او ان لا يدري الصغير محسن ... انها مجرد احساسات غامضة لا يستطيع تحليلها ، ولا يفهم منها الا أنه بات يكره سليم ويخشاه ويشعر نحوه بشبه اذلال نفسي »

وهنا كان احساس «محسن» بقصوره في «صورة اوضح» ولم يصف في دخيلة نفسه «سليم»



بلفظة « الرجل » فقط كما وصف « عبده » بل تخيله « الرجل الذكر » وذلك لان « سليم » تحدث عن « سنية » تحدث الرجل الذي يتنبه للمرأة بدافع الغريزة الجنسية ومن حيث هي — اي المرأة — جسد يشتهي ويشير في الرجل شهوة بهيمية

فالمؤلف كما ترى لم يترك لك خياراً في الصورة التي تتخيلها عن « محسن » . فقد بدأ وقدمه لك في عبارات صريحة تشعرك بصغره ، سنا وعاطفة ، ثم جعل « سنية » تتحدث عنه لامها بما رأيت من انه طفل ، ثم ابى اخيراً الا ان يدفع بهذا الاحساس في قلب « محسن » نفسه وبغوص وراءه ليقدمه لك في صورة صريحة لا لبس فيها ولا غموض . وكأن كل هذا لم يرض المؤلف في رسم الصورة التي يريد لها لبطله فجعل « محسن » يأتي من الاعمال ويتصور من الاخيلة والاحلام ما لا يليق الا بعقل طفل ، او شاب حدث لما تكتمل له بعد قوى الرجولة والاعتزاز بالنفس من هذه الناحية . وقصة المنديل تنهض هنا دليلاً ناطقاً بصدق هذه الصورة التي رسمها المؤلف « لمحسن » . الرجل لا يسرق المنديل ولكن يسرق المرأة نفسها ويختطفها اختطافاً . والرجل لا ينتظر هذا الخطاب الذي انتظره « محسن » اياماً كاملة ، فاذا ما وصل اليه لا يبني عليه كل هذه القصور والآمال ، ولا يستوحى اسطره وكلماته الجوفاء كل هذه الاحلام العريضة التي استنزلها « محسن » من رأسه الصغير وقلبه الصغير مدفوعاً بغرارة الصبا ، هذا القلب وتلك الرأس الخليقان بشاعر يعيش في دنيا من الوهم والخيال . والرجل لا يقلب الامور رأساً على عقب فيجعل الحقيقة دون الخيال ويأبى الا ان يصر على احلامه التي تخيلها ساعة او بعض ساعة بعد ان ينكشف له الحق الصراح في جلاء ووضوح . وهذا « محسن » يعرف ان الخطاب الذي وصله في القرية لم نكتبه « سنية » ولكن كتبه عرض الحجابي بامضاء « زنوبه » ومع ذلك يلذ له ان يكذب فيما بينه وبين نفسه هذا الذي اتصل به ويمضي مغمضاً في خياله واوهامه ، محتفظاً بهذا الخطاب يستروح في كلماته من حين لآخر املاً عذبا ورجاء منشوداً

على ان المؤلف لا يعين هذا الامعان كله في تحديد صورة بطله الشاب عبثاً ودون غاية معلومة او خطة مرسومة . ولا يلج هذا الاحاح كله في دقة التصوير وفي الوضوح فيه لغير شيء ، بل له من وراء هذا كله اغراض وغايات . ودعك من انه يقيم العذر لسنية في تجاهلها « محسن » وفي انها لم تحس حياله بانحس المرأة حيال الرجل ، ودعك من ان المؤلف يهيء من هذا اللون الطريف لبطله طعاماً دعماً يقدمه لقرائه في شتى مواقف القصة ، دعك من هذا ومن غيره مما اليه بسبيل من هذه الغايات التي يتطلبها الفن القصصي ويستلزمها سياق القول والحديث وقل ان المؤلف عرض بين يدينا صورة رائعة كاملة في معالمها الكبرى وتفصيلها الدقيقة عن هذا الحب الافلاطوني ، او هذا الهوى العذري بلغة الشعراء ، هذا الغرام الذي يفيض على النفس جمالاً قدسياً هو من السماء وليس من هذه الارض ، هو من ملاً اعلى حيث تسمو الروح فوق غرائز الجسد ، وتنمحي هذه



المادة من اللحم والدم ولا يبقى إلا معنى من الملائكية يشع نوراً وطهراً ، ويصبح هذا الحب شبه ما يكون بالعبادة ، ويكون بين الحبيب وحبيته ما بين العبد والله . ويكون حديث الحب بينهما خليقاً بحراب او صومعة . ومن هنا احس « محسن » عند حديث « سليم » عن « سنية » وعن تقاطيع جسمها وتفصيله القول في هذا المعنى ، شعر « محسن » « بما يشعر به عابد ورع متنسك وقد رأى احداً يهين معبوده »

ولقد وفق المؤلف في ابراز المعنى الذي اراده في شخصية محسن توفيقاً عجيباً لا تخطئه النظرة العجلى بله النظرة الفاحصة الممعنة التي تزن وتتأمل وتقدر

ثم لنتمهل قليلاً قبل ان نجاوز « محسن » الى غيره من ابطال القصة ولنسأل المؤلف الكريم هل كانت محض مصادفة ان وضع بين يدي بطله رواية « مجدولين » ام لحكمة فعل ذلك ولمعنى خاص لم يرد ان يشير اليه بأكثر من هذا الرمز العارض ؟ ولعل « مجدولين » اقرب القصص الى قلب « محسن » لان فيها هي الاخرى صورة من هذا الحب الافلاطوني الذي غمر قلب بطلنا ومن يدري . . . لعل المؤلف اراد ان يسخر من « محسن » ومن « مجدولين » ومن هذا الشباب الذي يقبل على مطالعة مثل هذه القصص اقبالاً كبيراً فتعطيه عن الحياة صوراً هي بالاحلام اشبه ، وتجعله يتعلق بأوهام وخيالات تنسيه حقائق الوجود بعد ان تخفيها عنه في هذه الاطر الزاهية البراقة الالوان من صور المثل العليا التي تفسد علينا في مستهل حياتنا كثيراً من نعيم الدنيا وتزيّف امام ناظرينا الحقيقة وتدفعنا الى التعلق بآمال كذاب ، وان كنا نعيش بهذه الاحلام زمناً رغداً ، ولكنها حياة حلم النائم ، والحلم جميل على أية حال ولكنه ليس اكثر من حلم ، والحقيقة مرّة ولكنها الحقيقة لا مفر منها ولا محيص عنها . ومع هذا فما اظلم حياة المرء خلت دنياه من هذه الآمال الكاذبة ومن هذا الخيال العذب والامل الخلو

ولكن اين توفيق الحكيم وأين « عودة الروح » ؟ كاد المؤلف ان يضع في تضاعيف فلسفة الناقد « سليم » لعلنا نعلمنا الحديث عن شخصية « سليم » بعد « محسن » لباس القارئ معنا بعد ما بين الشخصيتين من التفاوت والتباين في الشكل والجزء ، في المجموع وفي التفاصيل . وقد يغضب عليك احياناً مشهد من مشاهد القصة ، او حادثة من حوادثها ، وقد ترمي المؤلف بين الفينة والفينة بالغموض والابهام ، ولكن المؤلف على ما يلوح لي لا يغفر للقارئ ان يتخيل لاحدى شخصياته صورة غير التي يريد لها او خلقها على مثالها ، ومن هنا كانت شخصيات « عودة الروح » صريحة كل الصراحة ، جليلة واضحة كل الجلاء والوضوح

هذه الشخصية يغلب فيها جانب الفكاهة جانب الجد ، فهي ليست فكاهة خالصة ، وليست جدّاً خالصاً ، ثم هي ترسم الى مدى بعيد طائفة من الناس تزهو على الناس وتحاول ان ترفع من قدرها فوق اقدار الناس درجات . لست اسمي لك هذه الطائفة ولكنك في غنى عن هذا فانت تعرفها حق



المعرفة، وانت بها جد عليم، ولرب قد اختلطت ببعض افرادها ورأيت من بينهم من يذكر «سليم»، وحيث تكفي الإشارة اللامحة من الخير ان نكفي أنفسنا مؤونة التصريح المثلث الممض في غير داع ولا حاجة ملحة. وقد تكون هذه الطائفة من الناس خيراً مما نتوهمه عنها ولكن لا نزاع في ان لي ولك ولنا جميعاً فكرة — لست ادري كيف وجدت هذا المدى البعيد — ثابتة عن هذه الفئة ولست اتعرض لاثباتها ولا لنفيها الا لأقول ان «سليم» هو صدى هذه الفكرة في نفوسنا جميعاً لا تنتهي من الصفحات الاولى للقصة حتى تعلم ان «سليم» ضابط من البوليس اوقف عن عمله لتهوره الذي دفعه اليه ميله الغريزي لمعاكسة النساء ومحاوله الاتصال بهن دون ان يتخير الطريقة المثلث المأمونة العاقبة. وله في ذلك سبيل أعوج شائك عثر فيه مرة ولكن ما يزال يرتجله كل مرة عفو الخاطر كأنه طبيعة في دمه او كأنه البديهة التي نلهمها ولا ندري من اين هبطت علينا فنساق بها مرغمين. وهو ينظر الى المرأة من ناحية الجسد والمتعة ويسعى وراءها ليشبع غريزة الجنس في الرجل. واذ يرى «سنية» لا يلمح الا تقاطيع هذا الجسد المعتلى فما يذكر حتى لون «الفسنان» الذي كانت ترتديه. وهذا الصنف من الرجال جريء في قحة مبتذلة

دخل «سليم» بيت «سنية» بحجة اصلاح البيانو فزال بالفتاة يستدرجها حتى عزفت له قطعة موسيقية، وقدم بين يديها من عبارات المدح والثناء ما أدخل الزهو على نفسها وجعلها تبادله بعض الفاظ الشكر وظفر منها بما لم يظفر به «عبده» وما لم يكن ليظفر به «محسن» لولا ظرفه الخاص. وهو لا يتورع ان يجري خلف امرأة في عرض الطريق ينثر حولها تلك الكلمات البذيئة التي لا يحسنها الا لفيف من الرجال قد خلعوا عذار الحياء والحجل، وقد فعلها «سليم» فأعطانا من خلقه وطنيته ما يغنيننا عن اطالة الشرح والتفصيل

قلت لك ان هذا الصنف من الرجال جريء، وقد كان «سليم» من بين افراد «الشعب» الوحيد الذي خطرت له فكرة ارسال خطاب الى «سنية» يتحدث اليها فيه حديث الحب والغرام وما امرع ما نفذ فكرته، وان يكن قد استعان في كتابته بفقرات من «مجدولين» فذلك لان نفسه لا تتمثل هذا الحب الذي يعينه على كتابة خطاب مثل هذا الخطاب

مر بنا ان «سليم» يمثل صدى فكرتنا عن طائفة من الناس كأن لزيهم اخص سحراً وطلسماً وكان ميزاته الامر والنهي والتفرد بالسلطان والقوة. والى ناحية الرجل في «سليم» تجده هذه الناحية الاخرى بارزة واضحة. وهذا البطل لا ينسى حتى في جاسته في قهوة «المعلم شحاته» البلدي ان يصرخ ويصيح كأنه امام الطابور ياتي او امره على الانقار!

ولا ينسى «سليم» اذ يذهب لمنزل «سنية» بحجة البيانو ان يخرج بذلته الرسمية ليرتديها وان يعهد «بالضباير» الى مبروك يجلوها ويلعبها... ولا ينسى ان يدهن شاربه بالكوزماتيك ويمشط شعره ويرسل في الهواء ضربات لاخات من كرابجه الجلد الضباطي... حتى ليقول له



« حنفي » هذه الكلمة التي تصف لك هذه الصورة المضحكة الفكاهة ابلغ الوصف وأجزه — دهمه ! انت لبست بدلة التشريفة ؟

﴿ سنية ﴾ بطله قصتنا ومعبودة الشعب على حد تعبير المؤلف ، و « الهة الشرفه » عند مصطفى . وهي المحور الذي تدور حوله القصة من البداية للنهاية ، وكما تجدها في كل قلب تجدها في كل مشهد بل وفي كل جملة ، فهي تسيطر على القصة كلها ، كما تسيطر على أبطالها جميعاً . يحبها الجميع حتى « مبروك » الخادم او من هو في حكم الخادم ، وانه ليتأنق في لباسه اذ تؤاتيه الظروف لزيارة منزلها ، ويبتاع له نظارة يلبسها حتى يطابق الصورة التي تخيلتها فيه . ولتجدن لها في نفس « سليم » — وما ادراك ما « سليم » — هذا التأثير البعيد الذي يجعله يحس للمرة الاولى في حياته « عاطفة جديدة لم يكن يعرفها من قبل . عاطفة الاعجاب النبيل »

وهكذا بلغ من تأثيرها في نفس « سليم » ان احيت في قلبه ناحية كانت قد اندثرت أو كادت وبعثت منه شخصاً آخر وهو من عرفت خلقه وطبيعته !

فتاة في مقتبل العمر ونضارة الصبا لم تنفتح مغاليق قلبها بعد ، ساذجة بفطرتها وبحكم البيئة الطيبة التي وجدت فيها ، وهذه التربة التي درجت عليها ، فيها هذا الخفر الطبيعي الذي تلمسه في الفتيات من سنهما وبيئتهما ، وفيها جنوح الى هذا العيش البريء الذي هو اشبه بمداعبات الاطفال . لم تحب « محسن » وان كانت قد احست نحوه بعاطفة ماثراها هذا الاختلاط اليومي ، وهذا التعاق المشترك بالموسيقى والغناء ، لمحت تأثره الشديد يوم جاء يودعها قبيل سفره بالاجازة الى اهله ، « وأدركت بعض ما به وارتاحت له » ، وكأنما لدها هذا الظرف الطارئ فاعتصرت ما فيه من هناة عارضة واستبقت « محسن » الى جانبها قليلاً ، وطمخ عليها التأثير فبككت ، ثم قبلته وأبت ان تسترد منه منديلها الضائع بعد ان اعترف لها انه كان عنده ، وإذ تفيض الكلمات على لسان الفتى بالأم والعتاب ، تمسك بيده المرتجفة وتقول له — ما لكش حق يا محسن ... ! برده كده ؟ اخص عليك ! لو كنت مش مهم عندي ما كنتش أعلمك بيانو ...

ومقياس مكانة « محسن » عندها انها تعلمه البيانو ! ! وهذه العبارة في سذاجتها تدل على ان فكرة الحب كانت ابعد ما تكون عن ذهن « سنية » ولكنها احست حياله في هذا المشهد عاطفة وقتية زادها التأثير شيئاً من الحدة والقوة ، ولكنها بعد كل شيء عاطفة لم تدم اكثر من الهبة التي استغرقتها ، ولو ان الفتاة في مثل هذه اللحظة كانت اكثر ما تكون استعداداً لتلبية نداء الحب لو طرق سمعها هذا النداء . ولكن « محسن » ما يدريه بهذه الشؤون وهو الطفل الصغير ! على ان « سنية » ما كادت تلمح الرجل في « مصطفى » . . حتى علقت به وحتى اصبح لها شغلا شاعلاً . والفصل الذي يقص علينا فيه المؤلف تدرج علاقة الاثنين وبدء تعارفهما من اروع فصول القصة ومن ادقها . وفيه هذا التحليل الدقيق لعواطف الفتاة التي يختلج في قلبها شعور متباين



فامض، بعضه من الرضا وبعضه من الغضب، والبعض منه مزيج من الاثنين معاً، واول ما يلتفت  
 لنظر «سنية» في «مصطفى» أنه على النقيض من «سليم» لا ينظر الى شرفتها على طول مكثه بالقهوة  
 المقابلة!! كأن النظر الى الشرفة فرض محتوم وواجب لا بد من أدائه!! ولماذا بالله ينظر اليها وليس  
 سليم ممن يتصيدون النساء من النوافذ او في عرض الطريق؟ ولكن هذا الامر عند «سنية»  
 خطير مهول فاهتمت له كل الاهتمام. ولكأنني بها وقد غاظها اهل «مصطفى» لشرفتها أرادت ان  
 تحيره على الاهتمام بها قسراً وعنوة «جعلت تلبس أبهر اثوابها الواناً وتذهب الى البيانو فتضرب  
 عليه بعد ان تكون قد فتحت كل نوافذ الغرفة عسى ان يبلغ الصوت الطريق. فاذا ما انتهت وقفت  
 بالنافذة وهي تتظاهر بمعالجة فتحها او غلقها في قوة وجلبة. بل بلغ بها الامر ان بات لا يحلو لها أن  
 تنادي جارتها بصوت عال، او الحديث او الضحك المرتفع الا قرب النافذة». وكانت هذه الاعمال  
 من الصراحة والوضوح بحيث تنبئت لها «زنوبة» فحدث بين الاثنين ذلك العراك الذي انتهى  
 بالقطعة بينهما، بل بين اهل المنزلين المتجاورين. او على الاصح بين «الشعب» ومعبوده!!  
 وبلغ صوت الشجار الى مسامع «مصطفى» فرفع رأسه الى الغرفة والتقت العينان «تحقق قلب  
 سنية بشيء من السرور الخفي». لقد نجحت اخيراً: وانظر اليها الآن وقد اصبح قلبها موطن عواطف  
 مختلفة متباينة تمر على صفحته في سرعة وعجلة كأنها ومضات البرق الخاطف. وهذا احساس من  
 الانبعاث يغمرها... ثم يمضي فيخلف اثرأ من الخجل وراه... وها هي تتصنع الحدة والغضب  
 وتساءل: لماذا ينظر هذا الرجل الى الشرفة، وبأي حق؟ كأنها لم تسع الى هذه الغاية جاهدة. ثم  
 تنجس الى الشرفة «لأشياء سوى ان تعلم اذا كان هذا الشاب الجسور مازال ينظر اليها او الى  
 الشرفة؟» وتقترب من النافذة بعد ان تصلح من شعرها امام المرأة.. ولكن يا خيبة الامل.. لقد انصرف  
 الشاب!! وأحست الفتاة بالالام والغيظ «وذلت كبرياء الانثى فيها فشعرت كأن الدموع ستندحر من مآقيها»  
 هذا الوصف لهذا التضارب فيما تحسه «سنية» في الموقف الذي اجملته لك من ابداع ما في القصة  
 كلها من الصدق في التحليل والدقة في ابراز عواطف أبطال الرواية واضحة مجلوة في اجل صورها على  
 ما في هذه العواطف العارضة من التعقيد والتباين. وأحب لك ان تقرأ هذا الفصل كاملاً في مكانه من القصة.  
 وتلتقي النظرتان مرة اخرى وتري «سنية» بسمة عذبة تحيها على شفقي «مصطفى» فتتعمق بها  
 ليلها، وما تكاد تشرق عليها الشمس حتى تشرق على فتاة اخرى فتفتحت امام عينيها مغاليق السعادة  
 والهناء، وانها لتحلم احلاماً هنية عذبة، وتحس انها محبة محبوبة، ويدخلها هذا الزهو الذي  
 بداخل قلب «حواء» اذ تشعر ان ثمة من رجل يترقبها ويهتم بها فتختال عجباً وتبها على بنات  
 جنسها، والمرأة الاولى ترى نفسها أجمل مما كانت

وتقف امام المرأة طويلاً لتكتشف جمالها الساحر الذي لم تقطن اليه الا اليوم!!



ويخال اليك وانت تقرأ هذه العبارات التي يعرض فيها المؤلف لتحليل ما تحسه بطلته وما تشعر به ، انك امام صورة رائعة من صور الحياة الحققة لا شخصية من شخصيات كتاب او بطله من أبطال قصة . وهذه الدقة في التحليل تباع هنا حد المعجزة

﴿ زنوبة ﴾ فتاة عانس جاوزت الاربعين من عمرها ولما تجدد بعد الزوج الذي تنشده والذي هو امل الفتاة ومنتهى ما تصبو اليه اطماعها ، تقدم اليها بعض الخطاب ولكنهم ما كادوا يرونها وما هي عليه من القبح والدمامة حتى فروا هارين ، وتقدم رجل يطلب يدها مباشرة من اخيها « حنفي » واراد هذا ان يطمئنه على جمال اخته فقال له انها تشبهه تماماً ، ويصف لك المؤلف هنا قبح وجه « حنفي » وصفاً تشمئز منه ، كما يشمئز منه طالب الزواج فيمضي على غير عودة ، وبهذا الوصف يعطيك المؤلف صورة عن « زنوبة » لست ادري ان كان قد ظلمها فيها ولكن انصرف الخاطبين الذين رأوها يؤيد هذا الوصف ويؤكدده

وفي شخصية « زنوبة » تجد هذه الصورة الدقيقة للنسوة الجاهلات اللواتي يلجأن الى السحر والسحرة لتحقيق اطماعن تارة ، وللكيد لاغداهن تارة اخرى ، كما تجد فيها هذه المرأة البلدي.... التي لا تتورع عن ضروب كثيرة من الحيلة المكشوفة والوسيلة المستهجنة للفت نظر الرجل وما دام ان الزوج لم يأت اليها فلا بأس من ان تذهب هي اليه وتصيده ولو من عرض الطريق . وما أشبهها « بسليم » من هذه الناحية !! فاذا افلت الرجل مع كل هذا من يديها وفازت به فتاة اخرى اقلبت لبؤة مفترسة وقد وقع الصيد في شرك الغير بعد ان ظنت انه من نصيبها وحدها ، ولا تجد هنا ايضاً غير السحر والسحرة تستعين بهم على الكيد لمنافستها بل وللرجل الذي لم يتنازل ويرضى بها حتى لتسحر له ليموت ، ثم تدس للاثنيين معاً عند افراد « الشعب » وتتحدث عن « سنية » كما يتحدثون عن « بهي » تعرض نفسها عرض السلع على الرجال وتنسى انها لم تتورع عن هذا ، ويبلغ بها الحقد ان ترسل خطاباً غفلاً الى والد « سنية » تهم فيه فتاته بما تهمها به من سوء السلوك وفساد الخلق . فاما لم تغن كل هذه الوسائل والحيل عمدت الى معاكسة العاشقين تلك المعاكسات الصبيانية التي لا تزيد عن قذفهما ، وهما في شرفتهما تحت نافذتها يتناحيان ساعات من الليل ، ببقايا الخضر والفاكهة وقد تسهر الليل طوله مكبة على عملها بنشاط محسد عليه !

على ان « زنوبة » في كل هذا لا تخرج عن طبيعتها الساذجة ولا عن نداء الغريزة التي تضج بين جوانبها ، فالحمية المرة اشعلت اتونها وصهرت في قلبها عواطف الرحمة والحنان وعادت الفتاة اشد ما تكون المأتمضاً ويأساً قاتلاً ولم تجد عزاء الا في السحر فهو معينها على تصيد « مصطفى » فلما أخفق افلا يكون عند حسن ظنها به ويعينها على قتله ؟ ! ولكن خاب اثر السحر في الاولى والثانية ولم ينفعها « الهدهد اليتيم » ولا « تراب المقبرة » فلم تجد غير « صفيحة الزبالة » تستعين بها وبمبروك وأمرها الله !!



والمرأة في مثل حال «زنوبة» لا يؤلمها أكثر من ان تلوح لها بمسألة السن ، وان كان النساء جميعاً في هذا سواسية ، فما كادت «سنية» تذكرها لها حتى شبت الحرب واعلنت «زنوبة» النفير العام ، واتخذت من «مبروك» اركان حرب ينفذ لها الخطط ويرسم معها طرق الدفاع والهجوم على ان المؤلف يسخر من هذه المسكينة ، واني لأحس بكثير من الشفقة والعطف عليها ، سخرية مرّة ولكنها سخرية القدر الشامت العاتي اذ يقول «لولا زنوبة لما اتجه التفات سنية الى قهوة الحاج شحاته .... ولما رأت مصطفى ...» ويعني ان حركات زنوبة في ادمان النظر الى القهوة وفي التطلع الى مصطفى كانت السبب في لفت نظر سنية . فهو يسخر من المسكينة ومن حركاتها التي كانت من الوضوح بحيث تنبّهت لها غريمها ، ثم يطعننا طعنة قاتلة اذ يضع يدها على سر هائل لعلها لم تدركه ، وانسى لها ان تعلم ان بسببها هي نظرت سنية الى القهوة ورأت مصطفى ثم كانت هذه العلاقة التي هدمت آمال «زنوبة» وذرتها مع الرياح !!

لو طالعت بطلتنا هذه الفقرة لكان للمؤلف الكريم نصيب وافر من كيدها وسحرها . . . . . ولأبقت له من صفيحتها المباركة نصيباً طيباً . . . . .

«حنفي» هذه هي الشخصية التي لا شخصية لها ، واعني ان «حنفي» ليست له هذه «الذاتية» التي نحسها لباقي افراد الرواية ولو انه مات في مستهل القصة لمضت الحوادث في سيرها كما مضت ، غير اننا كنا نفقد بذلك هذه الروح الفكهة الطيبة التي نستروحها في «حنفي» وكنا بهذا نخسر خسارة جسيمة لا تعوّض و«حنفي» هو الابتسامة التي تشع في ثنایا القصة كلها وتملأها حياة ومرحاً ونقيء الى ظلمة من حين لحين ، نضحك من سداحتها ونستريح لدعاباتها الحلوة ، ونقف عندها هنيئة لنسخر منها مع الساخرين ثم نمضي

«حنفي» هو رب البيت واكبر الجميع سناً ولكن ليس له بينهم جميعاً سلطان ولا نفوذ ولا له أمر ولا نهى فهو رئيس ولكن رئيس شرف !! ولعل هذه التسمية من أبداع ماوفق اليه الاستاذ توفيق الحكيم في روايته وفي تحليله ووصفه لابطاله ، وقد اختصر لك فيها كل ما يمكن ان يقال عن هذه الشخصية وعن مكانها بين افراد القصة . و«حنفي» في المنزل لقبه «أبو لحاف» وكنيته في المدرسة وبين الطلبة «أبو زعيزع . . .» همه من الحياة ان ينام ، فما يكاد يدخل المنزل حتى يهرع الى السرير ، ولا يترك السرير — مكره اخاك لا بطل — الا ليأكل ، وما ينتهي من الاكل ، وقد يتحزله اختزالاً ، حتى يسرع الى السرير مرة اخرى ، وعلى هذا النمط يعيش ، ويخيّل اليّ انه لو استطاع ان يتخذ له سريراً في المدرسة يلقي منه دروسه على الطلبة وهو تحت اللحف ... لعاد أنها الناس بالاً وأسعدهم حالاً

ذهب مع «محسن» ليودعه عند سفره الى اهله وتطوّع لاحضار تذكرة السفر ، وعلى مقربة من شباك التذاكر وجد مقعداً جلس عليه ليستريح قليلاً فنام ... وفوت على محسن القطار !!



وهذا المشهد على قصره يعطيك فيه المؤلف ، كما ترى ، صورة بارزة واضحة للناحية الغالبة على هذه الشخصية ويتخير لذلك انسب الفرص التي تؤدي الى الغاية التي يرمي اليها من تصور أبطاله تصويراً دقيقاً حتى في مثل هذه الملاحظة الخاطفة . وتلك بعض نواحي الاعجاز والمقدرة في هذا المؤلف واذا اردت ان تجد مصداقاً لما قلته لك من ان «حنفي» ليست له «ذاتية» تحسبها ولها شيء من الخطر او الشأن فاليك المشهد الذي يقف فيه بطلنا حكماً فصلاً بين «سليم» و «عبد» اذ يتخاصمان فلا يجد غير هذه الجملة

— معاك حق

ينقل بها القول تارة الى «سليم» وتارة الى «عبد» حتى يقلب الموقف كله هزلاً وعتباً «ويلعلم الجميع ان حنفي هازل لا يرجي منه» ويغضب سليم قائلاً

— بيت هلس ! بيت مالوش كبير ! لكن الحق علي اعتمد على سي « ابو زعيزع»

ويضحك الجميع حتى «محسن» من عمه ، وحتى مبروك من سيده . واجب لك ان تقرأ هذا المشهد الطريف في موضعه من القصة في الجزء الثاني ، فهو من أبدع مشاهد القصة كلها ومن أذقها تصويراً لا لشخصية «حنفي» وحده ، بل لناحية من حياة «الشعب» جميعاً

﴿ مصطفى ﴾ تقف شخصية «مصطفى» وسطاً بين شخصيتي «محسن» و «سليم» وتحفظ التوازن بينهما ، فليس هو بالطفل الساذج الغر ، ولا بالرجل الجريء القوي . طلب العلم حيناً في القاهرة كغيره من أبناء الريف وعاش هذه الحياة التي ليست جدّاً خالصاً ولا فراغاً ولا هوأ خالصاً ، حياة متزنة هادئة فيها هذا الانكباب على الدرس والتحصيل ، وهذا العبث الذي يتورط فيه الشباب من حين لحن ولا يجدون منه مفرّاً ارضاءً لغريزة الجنس فيهم ، وهو عبث متكلف متصنع لا شبع فيه ولكنه اضطرار وحاجة

مات والد «مصطفى» وخلف له ثروة لا بأس بها ، فعاد الى القاهرة يستعيد فيها ذكرياته الخوالي وما أتقنها ، ولعله لهذا لم يجد غير القهوة المواجهة لمنزله يقضي فيها اغلب ساعات النهار يتتبع ما يعرض امامه من المشاهد المتتالية في اهتمام قليل ويضحك من «سليم» ومن حركاته ، ولست أدري لم اغفل المؤلف ان يقول «ولولا سليم لما تنبه مصطفى الى الشرفة والى سنية ...»

نظر «مصطفى» فتاتنا «سنية» فعلق بها من النظرة الاولى وأدرك بفطرته الصادقة ان «سليم» انما كان يجلس في القهوة من اجلها وأحس ان انصرافه انما يرجع الى صدوف الفتاة عنه ، وخشي ان يكون له مثل هذا الحظ السيئ لولا ان «سليم» ليس بالرجل الذي يعجب المرأة « وأخذ يستعرض صور سليم المضحكة ... ثم اخذ يقيس نفسه به الى ان خرج بنتيجة في صالحه ... انه ليس مثله ولا نظيره ، . ولو كان كذلك لألقى بنفسه في النيل من زمان ...»

« البقية في باب الاخبار العلمية »



# اصلاح اشكال الحكم

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

لقد عرضنا المذاهب السياسية بشيء من الافاضة ووضعتها اصحابها في الميزان لنزود جمهور القراء في العالم العربي بخبر الاطوار السياسية العظيمة التي طرأت على الدول والحكومات حتى اذا حانت ساعة العمل وجد انزعاء في الاوساط التي يشتغلون لها شيئاً في القابلية الفردية والتهيؤ العام ، لان البلاء كل البلاء ان يتجه الشعب الى الغاية التي ينشدوها ويجهل الطريق الموصلة . وفي وسعنا الآن ان نسأل ما هو اصلاح شكل في الحكم يلائم العالم العربي ؟ اهو الشكل العصامي الديموقراطي ام العظامي الارستوقراطي ، الاستبدادي الاوتوقراطي ام الشوري النقابي ، الشيوعي اللاوطني ام الفاشستي المتطرف في الوطنية ؟ ولو كان العالم العربي على مستوى واحد في الثقافة والاجتماع وفيما يتمتع به من حرية ويمارسه من استقلال لكان الجواب ولكن مستواه متعرج متضرس ، ففيه من سما في المدنية حتى كاد يسامت الغرب وفيه من لا يزال في الغور كأنه من اهل الاعصر الخالية ، وبعضه مستقل استقلالاً تاماً ناجزاً وبعضه الآخر لا يزال في ربة الاستعمار ، ولكن الخوف من وثبته وهو على علانه وعلى ما فيه من تناذب وما يعانيه من نقص تنظيم لم يعد وهما بل هو خوف من الشيء الواقع المحسوس حتى ان علماً مشهوراً من علماء التاريخ وهو المستر ( اوسكار بروننج ) استاذ التاريخ في جامعة ( كامبردج ) يعد العرب واليابانيين الخصمين اللدودين للتوسع الاوربي <sup>(١)</sup> ولم تعد الدول الاوربية ذات المصالح السياسية والاقتصادية في الشرق الاوسط تخفي ما يساورها من الهموم من هذه النهضة العربية في حين تخطب الدول الاخرى ود هذه النهضة وتستميلها اليها بقوة لموقفها السياسي الشرقي وتأيداً لنفوذها العام

وفي وسعنا الآن ان نقول بصورة مجملة تنطبق على احوال هذا العالم الفسيح الاجتماعية وعلى الدرجة السياسية التي بلغها ان الشكل النيابي الصحيح القائم على الانتخاب الحر — جهد الطاقة — هو الشكل الذي يجب ان يصر عليه الاهلون حيث هم مستقلون استقلالاً مقيداً بالانتداب او الحماية او المعاهدة المصطنعة او غير ذلك من التدخل الاجني في شؤونهم ، والاستبدادي العادل



او النير حيث هم يتمتعون بالاستقلال التام . وقد حملنا على هذه النتيجة الاعتبارات الآتية وهي ان البلدان العربية التي للاجنبي عليها سيطرة متفاوتة لاسباب مختلفة والتي يحاول بطرق الدماء والادارة والشدّة والرّخاء ان يستثمرها في آخر الامر لنفسه هي بلدان معرضة لزوال سلطانها القومي وما يجر اليه من تخلق اهلها بأخلاق اهل المستعمرات الصرفة ، وكل ذلك نذير الانقراض القومي، بيد ان هذه البلدان لاسباب سياسية اجتماعية ودواع دولية اقتصادية تتمتع بشيء من حق التصرف الداخلي ولو ظاهراً ، ففي مثل هذه الامراض البدهية يتعذر كثيراً على الشعب ان يعي عن الخطر المحدق به اللهم الا اذا كان من الانحلال وضعف الادراك بحيث لا يرتجي برؤيه . لا جرم ان الادراك العام في الامة الراقية — بل فيما هو دونها — شديد التأثير بما له صلة وثيقة بحياتها او مماتها وهو الشعور الدال على درجة وعيها ويصح للزعماء ان يعتمدوا عليه ويتخذوا منه سلاحاً ماضياً يحاربون به مرض الاحتلال ولو مؤقتاً ، وينطبق هذا الكلام خصوصاً على البلدان التي لا تسمح لها احوالها ، بانتهاج المسالك المؤدية الى الاستقلال مباشرة بل هي مضطرة الى التوسل «بالمناورات» السياسية وغير ذلك من الطرق البطيئة الى ان تحين ساعة العمل ، ونحن لم نصل الى هذه النتيجة بطريق النظر بل لدينا عدد من الحوادث التي جرت في السنين الاخيرة في بلدان الاحتلال والحماية والانتداب تحملنا على هذه النتيجة ايضاً، حتى ان قطراً مرموعاً كالقطر الجزائري شغرت فيه منذ سنوات بعض المقاعد البلدية التي يجلس عليها الاعضاء بالانتخاب الشعبي فرشحت له الحكومة بعض رجالها ولكن الاهلين على ما انتابهم من ارهاق يعانونه منذ قرن كامل اصرروا على مرشحهم حتى فازوا بانتخابه فردته الحكومة بما تمحلته من اعداء وأمرت باعادة الانتخاب ولكن الاهلين نجحوا في المرة الثانية ايضاً . ولا يعد اخفاق الحكومة هذا شيئاً مذكوراً بحاجب اخفاقها في الانتخابات المتكررة التي جرت في سورية ، وحيثما اصرّ الشعب على اثبات ارادته كانت النتيجة نجاح مرشحيه الا اذا ارتكبت الحكومة الخطيئات الادارية البدهية فأغلقت المجلس مثلاً او اوقفت المرشحين او غير ذلك من الاعمال التي خربها الشرق في ادوار مختلفة . ولا نخال حكومة حريصة على سمعتها تقدم على اعلان افلاس سياستها بهذه الصورة المزرية ، وقد تضطر اذا ما تورطت في التدخل الى عزل من ورطوها من عمالها او الى نقلهم تبرئة لنفسها كما حدث في انتخابات المجلس النيابي الاخيرة في سورية

ثم ان الاجنبي المحتل يدير شؤون البلاد عادة بواسطة نفر من ابنائها يضمن لهم منافع الخاصة ويحقق لهم غاياتهم الشخصية وقد يطلق بداهة يتصرفون في الامور كما يشاؤون ضمن الحدود التي رسمتها مصالحه فيجعلهم سلاحاً يحارب بهم الصادقين المخلصين ، ولكن انى له استغواء سائر الشعب واستجلاب بقية افرادهم بالرشوة وعددهم يربى كثيراً على وسائل اغرائه ، فلا عجب ان يكون حكم المجموع والحالة هذه اقرب الى الصحة لانه ابعد عن المؤثرات النفعية الذاتية ويصدق فيه القول



المأثور « اصوات الخلق اقلام الحق » ، وتكون الطريقة النيابية اذن ترجان الامة الصادق ومقياس شعورها المضبوط ، ويدفعها تدخل الاجنبي الى زيادة التمسك بمن اولتهم تقها . هكذا دلتنا التجارب في البلدان التي تتبعنا شؤونها في السنين الاخيرة ، ولا مفر للحاكم الوطني اذا كان مستبدًا على عهد الاحتلال من الالتجاء الى المحتلين في آخر الامر مهما حاول الابتعاد عنهم لانه يجدهم عوناً لمصلحته الشخصية وسياجاً يحتمي به لدفع هجمات الخصوم من ابناء البلاد

\*\*\*

ومن اهم الحوادث التي حدثت اخيراً وفيها ما يؤيد الحكم النيابي في الاحوال التي ذكرناها ان المجلس النيابي الاخير الذي انتخب في سورية كان عدد الاعضاء الوطنيين فيه سبعة عشر فقط والباقيون وعددهم يناهز الاثنين والخمسين هم ممن يدعون « معتدلين » وتظن السلطة المحتلة انهم لا يخالفون لها امراً وقد ايدت انتخابهم برؤوس الحراب واطلاق البنادق ، فلما عرضت عليهم في المجلس عقد معاهدة على اساس تجزئة سورية وتقطيع اوصالها لم يستطيعوا مجاراتها بل خيبوا آمالها وسودوا وجه من زعم من عمالها انهم سيكونون اداة عمياء في يدها ، والذي حملهم على هذا الموقف المفاجئ اختار الرأي العام وشدة وطأته من جهة وخطر التجزئة القتال من جهة اخرى ، ولعل التعديل الاخير الذي احدثه المفوض السامي الفرنسي فيما يدعى « دستور » لبنان من احتفاظه بتعيين نحو ثلث اعضاء المجلس النيابي مع تعيينه رئيساً للجمهورية ذات سلطة واسعة يستمدّها من مستشار افرنسي كل ذلك ادراكاً من حكم اللبنانيين العام ، وان ادعت السلطة انهم يهيمنون بحجها

اما اذا كان القطر العربي متمتعاً باستقلاله التام خير ما يناله ان تتاح له يد مستبدة عادلة تنقذه من الفوضى التي تتخبط فيها اكثر الامم الحاضرة خصوصاً من كان منها مثلنا حديث عهد بالشؤون الدستورية ولم يتجهز بعد ابناؤه بالتربية التي تؤهلهم لمثل هذا الحكم الدقيق ، واذا كانت المانيا وهي التي تقود الغرب في كثير من مقومات الثقافة والحضارة قد اخفقت في الديمقراطية اخفاقاً معيماً فلا جناح علينا ان نعترف بهذا القصور ونحن لم ندخل حلبة السياسة العربية الا منذ اوائل القرن العشرين ، ولم نعان الحكم النيابي الا منذ الانقلاب العثماني في سنة ١٩٠٨ ، وفي الحق اننا في اقطارنا المستقلة لني اشد الحاجة الى اليد الحازمة المدركة لتسير بنا الى الامام على رغم اهل الرجعى منا كما يسير موسوليني بالاطاليين . وانا اسأل في هذا المقام كل من عانى شؤون الادارة والحكم ايرى لمملكة الحجاز ومجد مجلس نواب من الغطغط ومطير والفقيرو وحرب ام ملكاً حازماً خبيراً بشؤون البدو كبعد العزيز بن سعود ؟ الا تقضي الديموقراطية في تلك الانحاء الابتدائية بتربع الغوغاء في دست الحكم وانهمزام الاختبار والاختصاص والتمرين والحصافة انهزاماً شنيعاً لا يلوي على شيء ؟ ولو كان هذا الملك النابغة مسلحاً بسلاح التربية الحديثة ومشبعاً بروح النهضة التي تسير عليها الامم الحية ما اضاع



هذه الفرصة السانحة لالتفاف زعماء العرب حوله واتخاذهم الاستقلال الذي يتمتع به مركزاً لبث الدعاية العربية في أنحاء العالم. ومن ادعى دواعي الاسف ان جميع الجهود التي صرفت لاستنهاضه قد اخفقت

\*\*\*

اني اذكر جيداً اننا لما كنا نعاني حشرة الموت تحت كابوس السلطان عبد الحميد كنا نلظن ان مجرد اعلان الدستور واطلاق حرية الانتخاب وترك المنابر للخطباء يتكلمون كما يشاءون ينعشنا ويعيدنا الى ميعاد الحياة، وفي شهر تموز - يوليو - من سنة ١٩٠٨ اعلن هذا الدستور بقوة الجيش وبتأثير الاوهام التي تسلطت على السلطان فكان مبدأ انقلاب خطير في جميع بلدان الشرق المتوسط لما عقبه من الثورة في الافكار والاضاع، ولا انكر ابدأ ان بعض الانتخابات دلت على شيء من حسن الاختيار ولكنها ارسلت بالاجمال الى مجلس النواب اناساً لا يختلفون عن العوام كثيراً، واصعدت المنابر بعض الخطباء الذين حولوا قضية الدولة السياسية الخطيرة الى البحث في الحجاب وشكل الغطاء الذي يجب ان يسدل على المرأة، فبينما كانت الدول المعظمة تبحث في بناء الدردنوطات للحروب القادمة وكيف يجب ان يكون طولها وثخانة دروعها كان هؤلاء الخطباء يقيسون الاحزمة التي يجب ان تشد بها اوساط بنات المستقبل وكثافة البراقع التي يجب ان تغطي وجوههن! والظاهر ان الوطنيين الزائفين في عصر التدجيل مثل العملة الزائفة في عصر التجارات المضطربة يحلون محل الصالحين من ابناء البلاد

\*\*\*

وعلينا ان نعترف هنا اعترافاً صريحاً وان اكلنا ونهنا الى ثقل اعبائنا وهو ان شدة التباين في تربيتنا السياسية الاجتماعية وعمق الهوة السحيقة بين افرادنا وعدم سيرنا على منهاج واحد في بيوتنا ومدارسنا ومكاتبنا وانقسامنا الى طبقتين اثنتين متطرفتين عامة وخاصة لا وسط بينهما كل ذلك يتطلب منا ان يكون امرنا بيد سلطة عادلة نيرة منا وفيينا والينا تحملنا على الاصلاح رغم انوفنا وتجورنا بالقوة في السبل المنتجة وتنحيننا عن السبل العقيمة. واني لأذكر مع الاسى اولئك «الدكتاتوريين» النفعيين من الشرقيين الذين اظهروا في بعض البلدان العربية المحتلة من الجراة والاستبداد لتأييد مصالحهم الخاصة ومصلحة الاجنبي من فوقهم ما لو اظهر جزءاً منه فقط زملائهم في البلدان العربية المستقلة لمصلحة الشعب لنالوا مرتبة المصلحين المنقذين

والارتقاء نوطان، نوع هادئ سلس يقوم به مجموع الشعب ويكون للافراد عموماً سهم في احداثه، ونوع مضطرب جوح تجر الشعب الى مهيعة اقلية حازمة هي الطبقة المختارة. ففي النوع الاول تتوقف الخطط التي تحتطها الحكومات في الادارة والسياسة على المرتبة النشوءية التي بلغها الشعب في حياته المشتركة. وتكون طبيعة القوانين التي تسنها مجالسها التشريعية متناسبة مع هذه المرتبة، وتكون الجماعة التي تؤلف الدولة متجانسة في قرابتها وثقافتها والمثل العليا التي تنشدها،



وفيها زعة للتبديل والتكيف والتجدد بحسب الطوارئ في ناموس الارتقاء ، فتأتي الديمقراطية في مثل هذه البيئة بأطيب الثمرات خصوصاً في أزمنة السلم العادية ، وعلى العكس من ذلك يكون الارتقاء الجموح الذي يجرّ اليه الشعب جرّاً ولا سيما متى كان افراده متباينين في تربيتهم ، لم يتعارفوا تعارفاً اجتماعياً سياسياً ولا اطلع الواحد منهم على عقيدة الآخر ولا امتزج به امتزاجاً يمكنه من ألفته وألفه عاداته فالديمقراطية في مثل هذه الحال تصبح كما قال «الموجز في علم الاجتماع» وبالأعلى أصحابها فلا تعدو ان تكون ادارة الضابط الصغير متحكماً في اتباعه من الجنود

والبلية كل البلية ان يكون الشعب وان تجانس سواد افراده وتشابهوا في عقيدتهم ومثلهم العليا الا ان الجمود هو صفتهم المتفوقة فالديمقراطية في مثل هذه الحال هي تحكيم الاكثية العظمى الجاهلة من سواد الشعب في النخبة المنتخبة من ابنائه . هنا تسنح الفرصة للذي يجادل في نسيج الحجاب ان يتفوق على الذي يبحث في حديد المدرعة . ووهدة مثل هذه لن ينقذ الشعب منها غير بد الزعيم الحديدية الحازمة

\*\*\*

فمن الخطأ السياسي الاجتماعي العظيم اذن ان يتوهم احد من رجال النهضة في العالم العربي انه في حيز الامكان تأليف دولة عربية مركزية ديمقراطية تضم منذ الآن بين دفتي دستور واحد دمشق والكويت وعنيزة والعسير والمكلا فهذه بلدان وان جمعت بينها اللغة والعقيدة وتشاركت في كثير من اطوارها التاريخية الا ان العادات والتقاليد المحلية واختلاف درجة الثقافة العامة فيها وما الى ذلك من مقومات العقل الاجتماعي الذي لا بد منه لتأليف الوحدة السياسية جعلت شقة الخلاف فيما بينها أبعد من ان يضمها مجلس تشريعي واحد او يلم شتاتها ارادة سلطانية واحدة

وغير نكير ان الدولة العثمانية بسطت سلطانها على جزء كبير من هذه الاقطار اجيالاً تملئ عليها شيئاً من ارادتها من وراء البوسفور لكن الاختبارات المديدة علمتها ان تجعل الادارة فيها من الوجهة العملية على طريقة «اللامركزية» فكانت (صنعاء) كما كانت (حائل) متمتعة باستقلال عملي لاغبار عليه ، بل نحن في سورية والعراق على شدة امتزاجنا بالترك واختلاط سدانا بلحمهم كانت ادارتنا عند التطبيق بعيدة عن المركزية وان ارتبطت بالاستانة مباشرة . وهذه دروس عملية ثمينة ستكون موضع عناية العاملين في القضية العربية في السنين القادمة

ثم من الجهة الاخرى يستطيع العراق وسورية مثلاً منذ الآن ان يؤلفا دولة مستقلة ذات حوزة سياسية واحدة بالنظر الى التشابه فيما بينهما واشتباك مصالحهما خصوصاً ان العراق من غير سورية قصر بلا باب وسورية من غير العراق باب بلا قصر . ومما يدعو الى التفاؤل ان كبار الرجال في هذين القطرين الشقيقين هم كما كانوا في عهد الملك فيصل على تفاهم واستعداد لتحقيق هذه الامة الغالية وتقديم المآل العملي الصالح لتقدي به الاقطار العربية الاخرى



# آلات التدمير الجديدة

## او العلم والحرب المقبلة

العالم لا ينظر الى الحرب ولا الى السلم فهو يعطينا بيد الاسلحة ويبداء اخرى  
المفرقات . والمفرقات تستعمل للهدم والقتل في الحرب ولكنها تستعمل لخير  
الاتفاق وفتح المحاجر وشق الترع في زمان السلم والفولاذ لا يحصر استعماله في صنع  
الاسلحة والاسنة والمدافع بل يستعمل كذلك في صنع الحارث والسكك والسيارات  
والحصادات . فالعلم يجد نفسه لا يخدم الهالحرب دون اله السلم وانما يعود الفرق الى  
نفوسنا وشهواتها وتنقيتها ومثلها الادبية

صرح المستر بولدوين زعيم المحافظين ، في اواسط السنة الماضية ، ان العالم يستعد لحرب اخرى  
«يفتلك فيها بالجمهور غير المقاتل فتكاً عامّاً» . ويرى المستر ولز الكاتب الانكليزي الشهير ، ان الحرب  
قد لا تتأخر عن سنة ١٩٤٠ اما جمهور المتنبئة ، فطائفتان طائفة ترى ان ولز بككر ميعاد الحرب  
القادمة واخرى اشد تشاؤماً تذهب الى ان الحرب واقعة قبل الميعاد الذي ذكر . اما السرافيليب جيز  
الصحافي الحربي والكاتب الانكليزي المعروف ، فيرى ان كواهل الامم منقطة بالديون ، فلن تقدم  
على خوض غمار حرب جديدة ، ولكن الملفات الى شؤون الدول العامة ، لا بد ان يقلقه ، ما هو  
ثأر بين الامم من العداوات الجنسية والعنصرية ، والنزعات القومية العنيفة

فلنفترض ان الحرب وقعت غداً ، الاربعاء ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤ فماذا يجري ؟

اذا نشبت حرب غداً بين امتين من الامم الصناعية الكبيرة ، عبأت كل منها آلات الدمار تعبئة  
سريعة . نعم لا بد من تعبئة الجيوش ، إذ لا بد من الجنود والضباط لاستعمال آلات الدمار الحديثة ،  
ولكن قلب التعبئة ، يكون تعبئة الآلات ، وفي مقدمة هذه الآلات ، الغواصات والدبابات  
المصفحة والطائرات . فكل آلة من هذه الآلات ، تستطيع اليوم أن تسير بسرعة لم تعهد في خلال  
الحرب الكبرى او بعيد انتهائها . وكل منها مجهز بوسائل للهجوم والدفاع ، تجعلها اقوى فعلاً مما  
كانت في الجبهة الغربية سنة ١٩١٨

ومما لا ريب فيه انه رغم الازمات الخائفة لم يبيل النبوغ والابداع الانساني بازمة ما ، اذ لست تجد  
فرعاً من فروع الخدمة العسكرية تمكن «ممكنته» Mechanization أي جعل الماكينات صاحبة المقام  
الاعلى والاثر الاقوى فيه — الاً وقد أضفى عليه الباحث العالمي والمستنبط سمعة من نبوغه وابداعه

\*\*\*

ان ما يتنبأ به العلماء المحدثون في ميدان الاسلحة العلمية الجديدة والمتوقعة ، يفوق في حقيقته  
خيال جول قرن الوثاب . خذ مثلاً الجنرال فولر الانكليزي . فهو يتصور ان العهد المقبل في  
صناعة الحرب ، سوف يكون العهد الكهربائي ، ترسل في خلاله آلات الدمار ، على سطح الارض ،



وفي الماء والهواء ، خالية من الرجال ، ولكنها ترشد بواسطة الاشعة اللاسلكية ، فتطلق المدافع ، وزرى القنابل ، وتنفث المواد الكيميائية ، من دون ان تخطيء

ويقول الكولونل بريدي Brady وهو من اقدم وابع الضباط في سلاح الطيران الاميري ، ان كل بلدة تصنع فيها الذخائر الحربية وآلات الحرب سوف تكون هدفاً لقنابل الطائرات ، والقنابل زسل ارسال الصاروخ من اما كن بعيدة . فاذا نحن تدبرنا ، ان الطائرات الحربية المستعملة الآن ، تستطيع ان تحمل خمسة مدافع رشاشة وتسير بسرعة تفوق ثلاثة اضعاف السرعة التي كانت تسير بها الطائرات المستعملة في الحرب الكبرى استطعنا أن نتصور الدمار الذي تحدثه هذه الطائرات في الجماعات الآمنة ، التي وراء خطوط القتال ... كان المدفع البعيد المدى الذي استعمل في الحرب الماضية غير واف من الناحية الاقتصادية ، لأنه كان يذوب ويبرى ، لشدة الحرارة المتولدة في انبوتيه ولكن الوسائل الحديثة ، تمكن ضباط المدفعية من تغيير بطانة الانبوبة بغيرها ، وكذلك تتجدد هذه المدافع التي تستطيع ان ترمي قنابل الى مدى مئات من الاميال . ثم ان الدبابة التي استعملت سنة ١٩١٧ تسير سيراً بطيئاً ازاء الدبابات الحديثة ، المبنية من صلب اقوى وأمتن من صلب تلك وتستطيع ان تحمل مدافع ضخمة - نسبياً - وتسير بها بسرعة ٤٥ ميلا في الساعة او اكثر

وما تقدم نبؤات يتنبأ بها رجال الفنون الحربية ، فلنلق نظرة على آلات الدمار المعروفة الآن . من عهد قريب رؤي منظار غواصة فوق سطح البحر كأنه كرة صغيرة على وجه الماء . ثم ما لبثت الكرة ان كبرت رويداً رويداً حتى اصبحت برجاً مثل الابراج التي ترى فوق دكات الغواصات وبعد بضع ثوان ظهرت الغواصة على سطح الماء ثم فتح البرج وخرج منه بعض الضباط وأخرجوا طيارة مطوية الجناحين فنشروا جناحها ووضعت على رأس سطح منحدر خرت قليلاً واذا هي في الهواء في مكان قيادتها طائر ، ووراءه ضابط آخر المراقبة . حومت الطيارة مدة نصف ساعة في الجو ثم عادت ورسّت على الماء قرب الغواصة ، ثم رفعت الى الغواصة وطوي جناحها المنشوران وأعيد الى مخبئها ، ثم غاصت الغواصة تحت الماء ، فغابت عن النظر بغتة ، كما بدت للنظر بغتة كذلك وكذلك ترى ان الطيارة أضيفت الى الغواصة . فالغواصة التي تستطيع ان تطلق الطرايد Torpedoes الفاتكة في الماء ، والطائرات الفتاكة في الهواء لهي سيف ذو حدين حقيقة ، ولا بد أن يكون لها شأن وأي شأن في خطط الحرب المقبلة

ولكنها مع ذلك لا بد لها من ان تكافح عدوها لها ، اخرجته معامل الطيارات . هذا العدو هو ما يعرف « بالقارب الطيار » وهو عبارة عن طائرة ضخمة ، المسافة بين طرفي جناحها ٩٧ قدماً وتستطيع ان تقطع ١٥٠٠ ميل من دون ان تحط على سطح البحر ومجهزة ببطارية من المدافع الرشاشة احدها يطلق ١٠٠ طلقة في الدقيقة وفي استطاعة قنابلها ان تحرق درعاً سميكاً لان وزن القنبلة



التي يطلَق منها مائة في الدقيقة رطل ونصف رطل فاذا حُلِّقَت هذه الطيارات استطاعت ان تطلق قنابلها الخاصة على الغواصة فتمزق دروعها ولو كانت بضع اقدام تحت سطح الماء ولذلك دُعيت هذه الطيارة المقاومة للغواصات « بالمعقل الطائر »

وكانت القنابل التي القيت من الجو في خلال الحرب الكبرى على لندن وباريس ، تزن الواحدة منها ٦٦٠ رطلاً أما قنابل اليوم ، فلا تقل زنة القنبلة منها عن التي رطل ! وقد جربت التجارب بقنابل زنة القنبلة منها طننان

ومن القنابل الفتاكة التي صنعت قنبلة تعرف « بقنبلة التدمير » طولها ١٣ قدماً ونصف قدم وقطرها قدمان — اي انها طول رجلين طويلين إذ ينذر ان يزيد طول الرجل عن ستة اقدام وثلاث بوصات — وزنتها ٤٣٠٠ رطل منها ٢٠٠٠ رطل من المادة المتفجرة . فنصف هذه القنبلة مادة متفجرة ، مع ان مقدار المادة المتفجرة في قنبلة ما ، لا تزيد عادة عن ١٥ في المائة . فاذا انفجرت هذه القنبلة فتحت هوة في الارض عمقها ١٩ قدماً وقطرها ٥٩ قدماً ، ويمتد أثرها ، علاوة على ذلك ، امتداداً أفقيّاً الى مدى بعيد ذلك ان هذه القنابل — قنابل التدمير — تدمر بفعل الهزة العنيفة التي تحدثها في جوار النقطة التي تقع فيها وتحدث تلك الهوة العظيمة ثم هناك « قنابل الاحتراق » وهي محشوة مادة كيميائية تولد حرارة عالية جداً ، اذ تصطدم بالارض . فهي تدمر بفعل الحرارة التي تولدها هذه المواد البالغة احياناً ثلاثة آلاف درجة مئوية

\*\*\*

قلما استعملت الطيارة خلال الحرب الكبرى ، في حرب الغازات . ولكنها اليوم سلاح اساسي في هذه الناحية يعتمد عليه واضعو الخطط الحربية . فقد دلت التجارب ان الطيارات تستطيع ان تلقي الغاز او السوائل المولدة للغاز فوق خنادق الجنود ، او المدن الآمنة على السواء فتمطرها حثفاً من الجو ، ثم تضيف الى ذلك بعض القنابل الخاصة التي تحتوي على الغاز الخانق

أما الغازات نفسها فالامر الذي لا شك فيه ان وزارات الحرب ، في مختلف البلدان تجرب التجارب المتواصلة لاكتشف عن غازات ، اكثر تنوعاً وأشدّ سمّاً وفتكاً من الغازات التي استعملت في الحرب الكبرى وقد عزي الى احد الضباط الذين يشرفون على تجارب سم الغازات في احد الجيوش الحديثة ، القول بأن الغازات الجديدة تفوق الغازات التي استعملت في الحرب الكبرى خمسين ضعفاً

وقد جاء في انباء فرنسا انهم اكتشفوا هناك سائلاً ، يتحوّل الى غازاً ، فاذا لمس الجلد لمساً فعل فيه فعل سم زعاف يولده الجسم في خلاياه فيميتها . ويتنبأ احد القواد الامان — الجنرال منتش Mentsych — ان في النزاع بين الغازات الخانقة والكدمات الواقية من الغاز ، لا بد للغاز من أن يفوز بأكليل الظفر !



واذ التنافس سائر على قدم وساق ، بين صانعي الغاز وصانعي الكمامة الواقية من الغاز ، نجد تنافساً آخر ، ما زال قائماً بين صنّاع رصاص البنادق ، وصنّاع الدروع الواقية منها . ففي خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، صنع نوع من البنادق ، تستطيع البندقية منه ان تطلق رصاصها المصنوع من الصلب بسرعة ميل في الثانية ، وهي ضعف السرعة المعهودة في بنادق الجيوش من قبل . هذه الرصاصة المنطلقة بسرعة ميل في الثانية تخترق درعاً من الصلب سمكها نصف بوصة . وهذه هي السمكة العادية لدروع الدبابات وغيرها من السيارات المصفحة . وقد اعلن في السنة الماضية استنباط قنبلة جديدة ، تخترق درعاً سمكها قدم من الصلب ، على مسافة ثمانية أميال

ولكن صنّاع الدروع ، لا ينون عن استنباط الدروع التي لا تفعل فيها هذه الطلقات او القنابل ، فقد اعلنوا في السنة الماضية انهم توصّلوا الى خليط جديد من الصلب لم يعهد له مثيل من قبل في قساوته . فهو يفوق دروع الصلب القديمة ٤٠ في المائة في صلابته ، فدرع سمكها نصف بوصة من الخليط الجديد ، تحمل محل درع سمكها سبعة أعشار البوصة من الصلب القديم

والدبابات الجديدة تدرّع الآن بهذا الصلب الجديد ، وسمكه في بعض هذه الدروع بوصة كاملة بل قد اضيف الى الدبابات مدافع رشاشة أفعل من المدافع القديمة وأشدّ فتكاً . ثم ان الدبابات نفسها أسرع حركة لها عجالات تسير بها في الشوارع المرصوفة ثم تضاف اليها السلاسل او ما يشبه السلاسل لكي تسير في الحقول والجبال والارودية . ويقال ان سرعتها من دون السلاسل بلغت نحو ٤٥ ميلاً في الساعة وبالسلاسل بلغت ٢٣ ميلاً في الساعة

وبعض الدبابات يبني الآن ، وله حجر لا يخرقها الماء ومحركات ، كمحركات السفن ، فاذا عرضت للدبابة بطيخة من البطائح ، او نهر ، اجتازتها عموماً كالسفينة ، فهي بركة بحرية في آن واحد . وكانت دبابات الحرب الكبرى ، ثقيلة بطيئة ، فكان وزن الدبابة منها ٤٠ طناً ، اما الوزن المفضل الآن فخمسة عشر طناً . وهي مع ذلك امنع وأفتك

وكان أبعد مدى بلغته القنابل البحرية في خلال الحرب ٢١ الف ذراع . ولكنها اليوم تستطيع ان تبلغ مدى ٣٥ الف ذراع . ومن المتحرعات الحديثة ، مدافع قطر فوهتها ١٥ بوصة ، تقام على عربات النقل على سكة حديدية ، وتستطيع ان تقذف قنابلها الى مسافة ٤٠ الف ذراع او نحو ٢٣ ميلاً . ثم هناك مدفع آخر يستعمل للدفاع عن السواحل مداه ٣١ ميلاً ، ووزن قنبلته ٢٣٤٠ رطلاً فاذا بلغ نهاية مداه كانت سرعته كافية لاختراع درع من الصلب سماكتها ١٤ بوصة ، او قدم وسدس قدم

\*\*\*

هذه بعض نواحي التقدم في صنع آلات التدمير ، فهل ساوقها التقدم في تأييد وسائل تنظيم السلام ؟ !



# القوى الروحية

في اليابان

من محاضرة لـكلود فارير

قلت من مدة قصيرة إن الصين خلقت اشخاصاً ولم تخلق أمة . وأتيت على السبب في ذلك . وأقول اليوم — في مستهل حديثي عن اليابان — ان هناك يابانيين وأمة يابانية كما ان هناك فرنسين وأمة فرنسية . ويسهل عليّ شرح ذلك : فاليابان قد تطورت بتطور الايام كما تطورنا نحن على وجه التقريب وكما تطورت أية أمة من الامم الاوربية . على ان اليابان ، وقد لا اشك في ذلك ، لم تكن في الاصل أمة آسيّة بل صارت الى ذلك فيما بعد ، ولهذا نرى أن الشعب الياباني — خلافاً لسائر الشعوب في آسيا القصوى — بدل ان يتطور على الطريقة التي تطورت عليها الشعوب الصفر جاراته ، عرف جميع المراحل المنظمة التي اجتازها تباعاً فيما بعد وهذا يتطلب شرحاً وافياً . فاليابانيون لم يعيشوا دائماً في اليابان فان سلالات أخرى حلت قبلهم في هذه الارض ، ونعرف الاخيرة من هذه السلالات وهي سلالة رجال ضخام الجثث ملتحمين ذوي بشرة بيضاء يعرفون بالآينوس ولا يزال بعض افراد منهم يقيمون بمجزرة هوكايدو من جزر الارخبيل . وهؤلاء الآينوس استولوا في الماضي على اليابان بأسرها الى أن أقبل يابانيو اليوم فطردوهم ولكن من أين أقبل هؤلاء اليابانيون ؟ لا تزال هذه المسألة رهن البحث والاستقصاء ، ويذهب البعض الى أن قبيلة صغيرة نزحت من آسيا وقبيلة كبيرة نزحت من مليسيا (اوقيانوسيا) ، وكل هذا محتمل الوقوع . فنحن لا نجهل أن شعباً عاش في الماضي على حدود مغوليا و ترانسبايكاليا الحالية ، على شاطئ تلك الأنهر المعروفة بالكرولين والارجون والامور ، وأن هذا الشعب كثيراً ما اطلق امواجاً هائلة من الغزو على اقطار العالم الاربعة . ولا يخفى أن أتيل وجنكيز وتيمورلنك انطلقوا واحداً بعد الآخر من وكر النصور هذا . وغير مستبعد أن تكون طوائف منهم قد اتصلت الى البحر الياباني او الى البحر القوري mer coréenne ، ولكن أن يكون الفرسان الترك قد غامروا في المياه المالحة وجابهوا الرياح والانواء وعبروا البحار فذلك مستبعد جداً ، فلا الترك ولا التتار كانوا في عهد من العهود من الشعوب الملاحية . إذن فالوجه التي غمرت الآينوس وشيدت مملكة الشمس الشارقة هذه ، تلك المملكة التي لا تزال متألفة منذ خمسة وعشرين قرناً الى اليوم ، إن تلك الموجة قد اقبلت من الجنوب من مليسيا او من الفلبين أو من



الكرولين أو من صاموي أو من جزر المركيز أو من تاهيتي. من يعلم فقد تكون اوقيانوسيا بأسرها جابت جيوب البحر سعيًا وراء فردوس موعود به. على أن ثمة أمراً لا شك فيه وهو أن اليابانيين عند ما وصلوا الى اليابان لم يكن لديهم يومية ولا طريقة من طرق الكتابة. ولدينا على ذلك حجة نستند اليها، فالشعوب الآسية عرفت الكتابة قبل الشعوب الاوربية بزمان بعيد، وبقي الاوقيانوسيون دهرًا طويلاً جداً يجهلون طريقة الاحتفاظ بالفكرة ونقلها من جيل الى جيل، أما اليومية فلا تملكها الا الشعوب التي تحتاج اليها، أعني الشعوب التي تعرف الفصول، وهل ثمة فصول بين برج السرطان و برج الجدي؟

لذلك أؤكد أن اليابانيين لم يكونوا في البدء رجالاً صُفراً متهدي الخدود محافظين على التقاليد، بل كانوا ذوي بشرة حمراء أو سمراء حادثي الاعصاب في مرونة ولباقة، وينبغي ان يكونوا كذلك لبتاح لهم القيام في مراكب خشبية ذات اشعة من القش، بتلك الرحلات البحرية اللانهائية لها في وسط الزواجع والانواء والضباب حيث يموت الانسان من الجوع والعطش. ينبغي ان يكونوا ذوي نفوس مغلقة بالنحاس السميك لبتاح لهم الطواف شهوراً إثر شهور، رجالاً ونساءً واولاداً متراكمين بعضهم على بعض، قبل ان ينتهي بهم السير الى جبهة العدو حيث تنتظرهم الحرب الكبرى، التي لا مناص لهم منها

لقد قام اليابانيون بكل ذلك وربحوا الحرب. وهام البحريون منهم وهام الجنود... وقصارى القول هاهم الرجال ١. هكذا كان اليابانيون في الماضي، وهكذا هم اليوم، فاليابانيون لم يتغيروا هل اليابان شعب مقلد منتحل؟ ولم تكن تعوزهم البسالة ولا الذكاء. وتأدية البرهان على ذلك من السهولة بمكان، فهؤلاء الرجال الحمر أو السمر الذين عبروا الفأوا اثنتي عشرة مائة مرحلة من الاوقيانوس وبلغوا الى غايتهم على مراكب صغيرة عرفوا أن يلزموا السرعة في تنظيم صفوفهم، وفي التحول من شزيمة الى جيش، وسن نظام اجتماعي، واختيار قواد ورؤساء لهم، والتزام الطاعة لهؤلاء القواد والرؤساء، وايجاد يومية، واختراع كتابة إذ أن قيادة الجيش تقتضي مواصلات وبعثات لا يصح ان تقتصر على طرق شفوية. ولا شك في ان ايجاد يومية في مستطاع أي كاتب واختراع احرف للكتابة في مقدور كثير من الناس، على ان ذلك يقتضي وقتاً فالكلدانيون ظلوا فروناً عديدة يتأملون دوران الكواكب، ولقد اخترع المصريون احرفاً كتابية ما لبثوا ان هجروها ويعلم الله وحده لماذا هجروا هذه الاحرف، واخترع الفينيقيون بدورهم احرفاً حلقية، وتصوّر الاغريق احرفاً صوتية. وكان باستطاعة اليابانيين ان يهجروا نهج الكلدانيين والمصريين والفينيقيين واليونان، سوى أنهم كانوا بحاجة الى الاسراع، فأثروا ان يدوروا دورة الشفق ويبحثوا في جميع الجهات رجاء ان يهتدوا في ناحية من النواحي الى شيء يوفر عليهم مشقة الاختراع. وما ان عبروا بحراً أو بحرين حتى بدت لهم الصين، الصين الواسعة المغمورة في عددها واعوامها، الصين التي



عرفت الكتابة منذ خمسة وعشرين قرناً وتعداد الفصول منذ أربعة آلاف سنة ، فاعتنق اليابانيون اليومية الصينية والكتابة الصينية أيضاً وهذا ما اعلق في أذهان البعض ان اليابانيين ليسوا سوى شعب مقلد ، ناسخ ، منتحل ، ولكن ، يا للضلال الفظيع ، ضلال لا أجد صعوبة في هدمه وفي هدمه بسرعة ﴿ اللغة اليابانية ﴾ لنبدأ بمسألة اليومية : قد يكون اليابانيون نسخوا اليومية الصينية فهم لم يكن لديهم يومية في عهد من العهود ولا حرج على المرء ان يبني في ارض عذراء ، إلا ان مسألة الكتابة تختلف عن هذه ، فاليابانيون وإن كانوا لا يحملون أحرفاً كتابية عند قدومهم من اوقيانوسيا إلا أنهم كانوا يحملون لغة ناطقة تطورت مع الزمن وبلغت حدّاً من الكمال . واللغة اليابانية الحالية المشتقة منها وغرامطيقها الذي يستلزم بعض الجهود ممن يدرسونهُ اكبر دليل على ما ذكرنا ثم ان الكتابة الصينية لا تتضمن حروفاً ولا اصوات لها فهي تخاطب الاعين لا الآذان ، وتزوي الى هدف واحد وهو تصوير الفكرة تصويراً مباشراً . وهي الى ذلك تتضمن نحواً من ثمانين ألف رسم صغير تحل محلّ الأحرف فتأملوا اية صعوبة في التعبير بهذه الرسوم الهيروغليفية عن لغة توازي اللغات الاوربية . وكان اليابانيين شعروا بهذا الجهد العظيم فاحتفظوا بلغتهم الاوقيانوسية القديمة ولم يستعبروا من اللغة الصينية إلا طريقة كتابتها

﴿ كيف نشأت الفروسية في اليابان ﴾ ولنتطرق الآن الى التاريخ وهو موضوع اقل جفافاً من هذا الاخير . فالتاريخ الياباني ربما كان شبيهاً بالتاريخ الصيني ، فالراكب الخشبية التي اقلت اليابانيين الى اليابان لم تكن مراكب كبيرة ، فالواحد منها لم يكن يسع اكثر من عشر عيال او من ثلاثين او اربعين محارباً مع أمتعتهم . وهذا التنظيم الاول كثير الشبه بالتنظيم الصيني . إلا ان اليابانيين لما وصلوا الى اليابان ادرکوا أنهم لن يتمكنوا من التغلب على الاينوس إلا اذا جمعوا عصائبهم قبائل رحبة وكونوا من هذه القبائل مملكة واحدة فقاموا بهذا العمل وكونوا مملكتهم ، ولم يكن لهذه المملكة إلا رأس واحد ، فاليابان — منذ عهدها الاول الى يومنا هذا — لم تعرف إلا سلالة واحدة حكمت عليها حكماً مستمداً من الحق الآسهي هي سلالة الميكادو الابناء الشرعيين للآسهي « اماتيراس نو أوهومي كامي » الذين يتخذون زهرة الافحوان شعاراً لهم

ولقد أصبحت المملكة اليابانية مملكة إقطاعية منذ مدرجها . أما الإقطاعية هذه فقد افتتحت عهدها بالولاية الالهية لجميع الإقطاعيات ، فكان هناك زعيم كهنة وأمير سام وحرر أعظم ولا مشاحة في أن القوة التي تأتي من الحق الآسهي لا تقبل جدلاً ، فقد كان الميكادو في الاول امرء مطلقين تأتمر بأمرهم طائفة من الكهنة وأخرى من رجال الحرب . على أن المقاطعين من زمينين وروحيين ما لبثوا أن أصبحوا امرء شديدي الشوكة كثيراً ما استولوا على السلطة العليا ، على الامبراطور ، فنجد الشعب وتنوسي كما جرى في فرنسا وانكلترا واطاليا وألمانيا . ولئن كان الحكم الإقطاعي ملائماً للبشر الاولين لأنه يعجل تطورهم ويحضرهم بسرعة فهو شديد الوطأة على



كواهل المتحضرين المتطورين . فلما شعر اليابانيون بأثرة الامراء استيقظت في نفوسهم نخوة الشرف وهذه النخوة التي ولدت من الفروسية التي ولدت من الاقطاعية نفسها استمرت خمسة فرون أو ستة بعد ان تلاشى اي أثر لاية اقطاعية

﴿ الشرف الياباني ﴾ قلت ان الفروسية نشأت في اليابان على اثر المظالم التي الحقها الامراء بالشعب واطرح عليكم الآن هذا السؤال : من منكم يتراجع امام أية معركة إن كان الامر متعلقاً بغسل شرف بهان ؟ لا احد . ولكن عندما تقع المعركة في سبيل الشرف ينتهي كل شيء ويحتم على المغلوب ان ياتي سلاحه . اما في اليابان فالفروسية لا تميز للمغلوب إلقاء سلاحه . فكل من تلحق به اهانة ما يجب عليه ان يقتل المهين أو يقتل نفسه

ولا يخجل اليكم في اجسّم الحقيقة ولا ابنيها الا على مستندات قديمة . فسأورد لكم قصة رجل عاش في قرننا العشرين هذا ، قصة رجل يعرفه العالم بأسره ويحترم اسمه وذكره . وهذا الرجل هو القائد «نوجي» الذي ربح معركة «بورت آرثر» وخلق «الربع الساعة الاخير» الربع الساعة الياباني للجنرال نوجي ... وما هي حكاية الربع الساعة هذا ؟ اسمعوا نصّ الفقرة التي خلق بها القائد نوجي ربع ساعته : «سيكون النصر في أية معركة كانت ، حليف الجندي الذي يتيح له البأس ان يتجدد مدة ربع ساعة اكثر من خصمه » وفي هذه الفقرة امثلة بليغة في البأس والانتصار !

عندما بلغ الجنرال نوجي الى آخر ايامه بعد ان شبع من الانتصارات ونال قسطه الوافر من احترام الشعب ، اتصل به في صباح يوم ان الامبراطور موتسوهيتو قد مات . والامبراطور موتسوهيتو الذي حكم من العام ١٨٦٧ الى العام ١٩١٢ والذي احدث الانقلاب الكبير في العام ١٨٦٨ كان أعظم امراء السلالة الآلهية المتحدرة من أماتيراس ، ربّة الشمس . فلما اتصل بالقائد نوجي هذا النبأ أسرع بقتل نفسه وأسرت زوجته بقتل نفسها أيضاً . وذكرت الصحف الرسمية وقتئذ ان القائد نوجي شاء ان يظهر تعلقه بالميكادو فتبعه الى الموت . القصة جميلة ، أليس كذلك ؟ على انها تنافي الحقيقة ، فالحقيقة هي خلاف ذلك ، وقد لا يستطيع ادراكها الا من كان يابانياً

اسمعوا : كان نوجي الى خمسين سنة خلعت تلميذاً بسيطاً في إحدى المدارس الحربية وكان قد اتحد بعري صداقة متينة مع امير من امراء الدم الامبراطوري هو الامبراطور العتيد موتسوهيتو . وكان ان احد الاساتذة الضباط أهان نوجي التلميذ فصيح عزمه على الانتحار إذ لم يكن بوسعه قتل من أهانه . فالنظام يحظر ذلك وقانون الفروسية يوجب احترام النظام ، على انه قبيل ان يقرر بطنه بالخنجر سأل صديقه الامير الامبراطوري ان يحضر بنفسه حفلة الانتحار ، فقبل الامير سؤال صديقه . الا ان موتسوهيتو كان أميراً عظيماً جداً وكان فوق جميع العادات والتقاليد وان تكن مقدسة فقال لنوجي - لن تقتل نفسك لان الملك بحاجة الى رجال مثلك . لقد أهنت فكان عليك ان تموت ، على ان الاهانة التي لحقت بك قد غسلت لاني أنا ابن الآلهة ، ابن اماتيراس نو أو هومي كامي أحمل اهانتك



على رأسي وآمرك بأن تعيش ! . فأنحني نوحجي مدعناً وعاش وأصبح فيما بعد ضابطاً فقائداً فعظيماً ، ربح مواقع عديدة واكتسب احترام الشعب . ولكن في اليوم الذي مات فيه الامبراطور موتسوهيتو واحتجبت الجلالة الامبراطورية التي كانت تحمل على رأسها الالهانة القديمة عادت هذه الالهانة بعد مرور ٤٠ سنة عليها فسقطت على رأس الجنرال نوحجي فأسرع بقتل نفسه ليبقى شرفه سليماً ! ان شرفاً كهذا لن يموت !

✽ الشعر والفن في اليابان ✽ ولقد عرف هؤلاء الرجال القصار القائمة الذين اعتنقوا الاحرف الصينية ان يخلقوا لنفسهم شاعرية نبيلة بين أنبل الشعاريات جميعاً وان يطبعوا هذه الشاعرية بطابعهم الخاص ، ولقد برهنت هذه الشاعرية اليابانية للعالم بأسره أنها موجودة وانها الابنة الشرعية للجمال الياباني . وفيهم نتكلم عن الشعر ولا نتكلم عن الفن ؟ فاليابانيين فنٌ دقيق أوحى بعضه من الفن الصيني وبعضه من الفن الاغريقي اذ ان اغريقية فيدياس وأخيل قد اجتازت آسيا عقيب الملك اسكندر وعقيب الفلاسفة البوذيين ايضاً ، على ان هذا الفن بقي خاصاً لان اليابانيين سكبوا فيه روحهم ، وهذه الروح لم تكن بالروح الاغريقية ولا الهندية ولا الصينية . وان هياكل نيكو التي بنيت في عهد هنريكوس الرابع او عهد لويس الثالث لا كبر شاهد على ذلك

✽ الاديان في اليابان ✽ ولكني لم أتكلم بعد عن مختلف الديانات التي مارسها اليابان في منتصف القرن السادس عشر للمسيح

كان ثمة ديانة «الشينتو» وهي الديانة الوطنية القديمة التي تؤكد ان الامبراطور هو ابن الآلهة ، والديانة البوذية التي جيء بها من الهند في القرن السادس للمسيح . اما الشينتو ، وهي مزيج من تقاليد قديمة وتوقيرات ابوية ووفاء عائلي ومعتقدات باطلة ولكن شريفة ، فقد كانت ديانة وطنية اكثر منها ديانة ايمان . ولم تكن البوذية التي كانت تعدُّ تسع عشرة طائفة في اليابان معظمها ينكر وجود الله وخلود النفس ، سوى فلسفة ونظرية . على ان اليابانيين كانوا شينتويين لحجة انهم يابانيون وكانوا بوذيين ايضاً بحكم الضرورة لان مراسيم المآتم كانت في حوزة الكهنة البوذيين

وكان ثمة ديانة ثالثة لو اتبحت لها الظروف لسهل عليها التأصل في اليابان وهذه الديانة هي النصرانية . ولا يغرب عنا ان اليابان في القرن السادس عشر للمسيح كانت بحاجة الى تعاليم عذبة تطفح بالحلم والرافة ، الى تعاليم المسيح ، فالياباني الذي يكبد سحابة يومه ويشقى يحتاج الى الراحة وليس لهذه الراحة أعذب وأهنأ من المودة المسيحية . على ان اليابان لم تحصل على هذه الديانة على شدة حاجتها اليها . ولماذا ؟ لانها كانت بعيدة عن روما ، بعيدة جداً عنها ، فالرسالة كانت تستغرق سبع سنوات ، او ثمانين لتصل الى روما ويأتي جوابها . ولا مشاحة في ان فرانسوى كزافيه الجزويني الذي ارسل الى اليابان ليبشر بالدين المسيحي قام في اليابان بأعمال عجيبة ، سوى انه لم يكدموت حتى ضاعت جميع الجهود التي بذلها ، خفاؤها كانوا اقل نبوغاً منه وكان عليهم ان يقاوموا الشينتو والبوذية فلم يفعلوا لانهم كانوا يجهلون ان الشينتو ليست سوى وطنية وان البوذية ليست سوى فلسفة



وعلى أثر وفاة فرانسوى كزافيه هب اليابانيون لمحاربة الدين المسيحى ، وفي العام ١٧٣٧ صدر رسوم ياباني يقضى بمنع اى اجنبى كان من النزول على الشواطىء اليابانية . وهكذا اغلقت اليابان ابوابها ونوافذها واعتزلت في الكرة الارضية

﴿اليابان تتطور﴾ ولكن ما لبثت الثورة ان انطلقت في اليابان ، ففي العام ١٨٦٨ شعر اليابانيون انهم بحاجة الى القوة وانهم - وقد اوصدوا حدودهم منذ اكثر من مائتي سنة - يجهلون الطريق الصناعى والميكانيكى الذي مهدته اوربا والذي اوصلها الى البخار والكهربائية والاشتركية . ولم يجهل اليابانيون اى خطر سيواجهونه في تركهم طرق الاجداد وسلوكهم الطرق التي يسلكها الجنس الابيض ، على اهم لم يجهلوا كذلك انهم لن يستطيعوا المحافظة على حريتهم الا اذا كانوا اقوياء ، واليابانيون يعشقون الحرية ، فكان عليهم ان يقضوا دفعة واحدة على شرائع الجود وعلى التقاليد المقدسة فقضوا عليها جميعاً بدون تردد واعتنقوا السلاح الاوربي والعادات الاوربية . وكان ان حالفهم النصر ، ولا يزال حليفهم منذ العام ١٨٦٨ الى يومنا هذا

﴿اليابان في عشرين سنة﴾ واننا لا نجد فائدة في أن نعرض للحرب الصينية اليابانية التي نشبت في العام ١٨٩٤ وللانتصار البحري العظيم الذي ناله اليابانيون في معركة يالو (Yalou) كما اننا لا نجد ايضاً فائدة في ذكر ملحمة العام ١٩٠٤ عند ما خيل الى روسيا العظيمة انها تستطيع ان تسحق هؤلاء اليابانيين القصار القامة الذين سمحوا لانفسهم بالاعتداء على قوريا ومنشوريا وهما ارض محظورة القنص فيها إلا على القياصرة ، فكان ان انهارت روسيا في لياويانغ وبورت ارثر ومكدن وسوشيا كما انهارت الصين من قبلها . ولكن قد نجد فائدة في ان نأتي على ذكر حادث خطير وقع في العام ١٨٩٤ ، ففي هذه السنة عندما احتلت الجيوش اليابانية مرفأ «ويايوي» Wei-a-Wei الصيني استأذنت لانفسها بأن توجه الى اليابان هذا الانذار الشديد

«تفضلي بالجلاء عن ويايوي في مدة اربع وعشرين ساعة او اضطر الى التدخل في شؤونك» كانت المانيا في العام ١٨٩٤ امة عظيمة هائلة ، وكانت اليابان في ذلك العهد لا تزال تحتبر اجنحتها ومقارها ، ففكرت قليلاً ثم ابتسمت وانحنت ، وعملت بموجب الانذار الالمانى

ولكن بعد مرور عشرين سنة ، في العام ١٩١٤ ، عند ما هبت المانيا تشهر الحرب على العالم بأسره هبت امة للوقوف في وجهها ، وهذه الامة هي اليابان ، ففي الوقت الذي أتاح لالمانيا أن تستولي على مرفأ تسنغ تاو القريب من مرفأ ويايوي وجدت اليابان الاشعار الالمانى القديم فحنت منه اسم «ويايوي» وكتبت محله اسم «تسنغ تاو» ومن غير ان تبدل حتى ولو حرفاً واحداً طوت الاشعار القديم وبعثت به الى المانيا

«تفضلي بالجلاء عن «تسنغ تاو» في مدة اربع وعشرين ساعة او اضطر الى التدخل في شؤونك» وهكذا اتيج لليابان ان تتأثر لانفسها



## مشكلة النمسا

ان الذين يؤمنون بالسعد والنحس قد يجدون في النمسا ما يؤيد مذهبهم فما برحت تلك البلاد منبع مشكلات ومصدر متاعب . وليس بين قراء التاريخ من يجهل مصائب آل هابسبرج الذين تولوا حكمها وحكم هنغاريا كما انه ليس منهم من يجهل ان نزاعها الخفي مع سربيا وهو النزاع الذي افضى الى اغتيال ولي عهدا وقرينته اضرمت الشرارة الاولى لنار الحرب وهذا علاوة على ما كان بين عناصرها من صراع يدل على ما انقسمت اليه بعد الحرب وعودة الجزء البولوني الى بولونيا ونشوء دولة تشكوسلوفاكيا وانفصال هنغاريا وضم العنصر الايطالي الى ايطاليا وما اخذته رومانيا . ثم ما منيت به البقية الباقية من النمسا من ازمات سياسية ومالية لولا توسط جامعة الامم لقصت على كيانها ثم كانت المشكلة التي تلت هذه بالسعي لضم النمسا الى الرينخ او الاتحاد الالماني ومعارضة فرنسا لهذا الضم واقدامها على اسعاف النمسا لتظل قادرة على صون استقلالها فلا تعظم المانيا ولا تقوى باضافة ثمانية ملايين من خير اهل اوربا اليها علاوة على ان النمسا من اجل بلدان العالم وعاصمتها في مقدمة العواصم حسناً ونظماً ان لم تكن أحسنها وأبهأها

ولم تكد النمسا تحتاز هذه المرحلة حتى اخذت الاقدار تهيبها لها مشكلات جديدة بانقسام اهلها وتعرض النازية الالمانية لها وهياج خواطر الاشتراكيين فيها وقد كان لهم الكلمة العليا في فيينا وسواها وظهور روح الفاشستية وما تلا هذا كله من صراع داخلي تحلى اخيراً في الفتنة التي نقلت اليها التلغرافات اخبارها وعواقبها وقد انتهت بخضد شوكة الاشتراكية وكبح جماح انصارها وفوز الوزير دلفوس

ولكن الازمة لم تنته بهذا فقد وقعت الدول تجاه هذا الحادث وقفة حائرة ففرنسا تعارض انتشار الروح النازي في النمسا حذراً مما قد يفضي اليه من ضمها الى المانيا . وايطاليا ترى في حوادث النمسا وقوة الهيمفر مجالاً حسناً لانتشار المذهب الفاشستي فهي تعارض المانيا كذلك . أما بريطانيا فتجاري الدولتين ولكنها تخطيء حكومة النمسا كما يخطئها سواها فان اضعاف الاشتراكية يفضي حتماً الى مضاعفة جهود النازي وقد يوقع حكومة دلفوس في حرج لانحصار الصراع بين حزبين وهما النازي والفاشستي

ولا يخفى ان فوز الحكومة النمساوية وقهرها للاشتراكيين لا يكفل لها السلامة والبقاء بالضرورة اذ لا يدري احد كيف يكون التحوُّل الفكري والسياسي في البلاد بعد الازمة الاخيرة فقد تعلو كلمة النازي ويكون لهم الفوز الاخير وحينئذ يتفاقم الخطب لما قد يجر هذا اليه من نزاع فرنسا والمانيا ولهذا عاد غير واحد الى اقتراح اعادة آل هابسبرج الى حكم النمسا ليكون من اعادتهم حائل

يحول دون ضمها الى المانيا حرصاً على استقلالها القومي برعاية اسرتها المالكة السابقة وهناك عامل آخر لا يسع الباحث اغفاله وهو ان الاحزاب الاشتراكية في سائر بلدان اوربا تقمت من الدكتور دلفوس انتقامه من اشتراكيي بلاده والاشتراكية في اوربا قوة لا يسع النمسا ازدرائها



## رعاية القمر

لبودلير الشاعر الفرنسي

نظر إليك القمر — ذلك القلبُ الحوَلُ — من وراء النافذة وأنت راقدة في مهدك  
فهتف في أعماقه

« شدَّ ما أتسقت هذه الصبية على غرار سيجيتي »

واسترقَ الخطي هابطاً درج السحاب متسللاً من زجاج النافذة في سكينه وصمت حيث  
حنا عليك في عطف الأم الرؤوم طابعاً ألوانه على قسماث وجهك

ومن ثمَّ شعشع السندس ملء عينيك ، وشاع الشحوب الرائع في أديم خديك  
أجل فعند ما تطلعت إليه انداحت حدقتاك بدرجة غريبة فطوَّق نحرَكَ بذراعيه  
المرتفعتين في حنانٍ بالغٍ أورثك الحنين إلى الدموع

وما هي إلاَّ فورة من نشوة فيساضة حتى غمر مخدعك بجوٍّ مشعٍّ من ضوءه الزشاف .  
ذلك الضوء الخالد الذي هتف من سُبُحات تفكيره قائلاً

« ألا فلترسم عليك قبلي إلى الأبد

« وليكن لك مثل فتنتي وجمالي . ولتحي كلَّ ما أحب وكلَّ ما يحبُّني . من ماء وسحاب .  
وليل وسكون . من البحر الزبرجدي المتراحي . من الماء المنطق السيل والمتعدد الاوضاع  
والاشكال . من المكان الذي لن تطرقه . من العاشق الذي لن تعرفه . من الزهور التي لم  
تدِّنها الطبيعة . ومن العطور الفواحة المسكرة . ومن القطط المستلقية في تراخٍ على « البيان »  
ذات الاصوات الأجبسة العذبة الحاكبة لتنهيدات النساء

« أجل ! ولتكوني فتنة عشاق . وموضع الاجلال من سماري وندمائي . ولتستوي ملكة  
على عرش من افئدة الرجال ذوي العيون الخضر . الذين اعانقهم ونحوهم احضاني كل ليلة .  
هؤلاء الذين يفتنهم البحر ، البحر المتناهي الاطراف ذو اللجة المصطخنة الخضراء ، والمكان  
الذي لن يفسوه ، والمرأة التي لن يهتدوا إليها ، وازهار الشر المتوقدة كجمامر كاهن مجهول ،  
والعطور المثيرة المستبدة بالفرائز ، والوحوش الضارية التي ترمز شهواتها المشبوبة الى حماقة  
هؤلاء المساكين

« والآن .. ايها الصبية اللعينة العزيزة المشبوبة ذلك ما يدفعني لأن أجثو على قدميك  
متلصقاً فيك صورة الالهة المروعة . ربة الارباب القاضية . ظن السوم لكل صرعى القمر

من بني البشر

[اختارها وترجمها عن الترجمة الانكليزية علي محمود طه]



## الينبوع

رواية لتشاو لمورغن الكاتب الانكليزي

قطعتان مقتطفتان منها

### حياة التأمل

كان لورس ، في الاسابيع التي تلت سعيه ، سعادة لم يدركها منذ عهد الطفولة . وبدلاً من أن كان العالم ، عاد لا يهتم . فكان يجلس الى خوان « جـ دـ و ل » يوماً بعد يوم ، يطلع او يشاهد القلاع وقد اخذ الشتاء يرتد عنها ، مطلقاً لفكرة كتابه العنان حتى تنمو في نفسه من غير ان يستحثها . وما كان جزوعاً ، لان « التاريخ » لم يكن في نظره ، غاية تطلب لذاتها ، وانما كان رمزاً لطريقة من طرائق الحياة ، او سبيلاً الى تنظيمها وتنسيقها . ولاح له ان الكتاب التام ، ليس هدفاً يستحقه ويدفعه الى الجزع وانما راه عمل رجل ، لا بد له من الدرس كسبيل الى الصيرورة . وان الهدف نفسه لبسعه ، ليس من هذا العالم

كان لا بد للكتاب من ان يتخذ الشكل التاريخي ، يتبع فيه تحول المثل الروحية في انكسار من عهد الاحياء ، ثم ربطها ، بفلسفات الماضي السحيق . وانما العمل الذي بين يديه ، لا يقتضي تلخيص بعض المفكرين الصوفيين فقط او تأليف تاريخي ديني . ذلك ان محاولة التوحيد ، بين غرض التأمل وغرض التصوف في الحياة ، كمحاولة التوحيد بين جبل واحد الجداول التي تنبع منه . وانما كان موضع عنايته ان يعرف ، هل ثمة اية وحدة ملموسة ، بين الجهود العليا للعقل البشري ، هل يمكن ان يربط بين قصد افلاطون ، ربطاً اتم مما يظن عادة وقصد القديس توما الاكوييني او فوغان او نيوتن ؟ فاذا كانت هناك وحدة من هذا القبيل ، فما هي ؟ وهل تقتصر على العباقرة ؟ وما اثرها في حياة الرجال والنساء الذين لا يميلون بطبيعتهم الى حياة التأمل

وكان هنالك فكر يؤثر فيه ، كأنها قوة خارجة عنه لا نتيجة جدال داخلي ، مؤداه ان حياة التأمل نادرة ولكن الرغبة في التأمل عامة ، وان الرغبة في التأمل هي للروح كالشهوة الجنسية للجسد ، المحرك الاول في حياة الناس . قال ان مسكينة التأمل ، ليس الا



اسماً يضفي على حالة من المنعة ، والمنعة هي الغرض الذي يرمي اليه الناس . حتى الرغبة في الخلود لا يمكن ان تكون من دون موطن ضعف فيها ، لأنه يخالطها ، عنصر التوق الى الراحة او الفناء ، او خوفٌ يخوف هملت من الاحلام الخالدة . ولكن الرغبة في المنعة لا يأتيها الضعف من اية ناحية فيها . فهي متسقة مع توق الانسان للراحة ومع اشتياقه وحاسته للحياة . بل هي الرغبة الوحيدة التي توفق بين الناحيتين . ثم هي تتضمن معنى السيطرة على الاحلام

\*\*\*

فنيوتن في بحثه عن نظام نهائي للطبيعة الخارجية ، وقديسو الكنيسة الاولون في محاولتهم التوحيد بين ذواتهم وذات الله وفنائهم فيها ، والفلاسفة الذين وقفوا انفسهم على البحث عن الحق المطلق ، الذي لا يُلمس ، وليس له زمان — الم يكن هؤلاء جميعاً يحاولون الوصول من طرق مختلفة الى غرض واحد هو غبطة المنعة لانها خارجة عن الحواس مع انهم لم يفكروا في الخلود . ان رجالاً من طبائع متباينة يبحثون البحث نفسه في نطاق الحواس — في ادراك السرعة التي يتلاشى فيها ما دامت ، ادراك الزمان — في الفنون وهي حسية بذاتها اذ ينطلق منها اصحاب النزعات الروحية الى صميم الروح — في الحب الذي يبني معقله في قلب المدينة — تلك هي نعمة التجرد التي ردُّ الظلام كما يرده المشعل في الليل وفي الوقت نفسه يعمي المشاهد عن كل شيء الا عن نفسه . ان وصول الانسان بطريقة ما ، الى حالة ، يستثنى منها كل شيء الا الله ، غرض كل احد . فهو يتعلق بأي وعد فيه شبح من هذه الحالة . فسرانه ، ومحبته على الارض ، وفنه ، وفلسفته جميعاً لها من القيمة بقدر ما تحتوي عليه من ذلك الوعد . انه يضحي بالعالم من اجل حبه ، لانه في صميم قلبه يرغب ان يخسر العالم ، ان ينفذ غباره عن قدميه ، ويدرع هذه الغبطة التي تقيه منه . انه يرى الاشياء تتحرك من حوله ، ويشهد الوعي كالتيار بين مدٍّ وجزر . فيرغب في ان يكون كالا الهة ، ولو لحظة واحدة ، ساكناً منيعاً لا يقارب

\*\*\*

وكذلك أحسَّ لورس ، كالمسافر الذي اقبل على ارض بسيطة لا تحد ، بعد ما اعتقد انه محصور في مضيق ، فبدأ يرى ان التأمل ، ليس منطقة خاصة لا تجوسها الا العبقريه ، بل ناجاً تتوَجَّ به جميع آمال الناس ، هي حالة سلم حية ، تحمل «الابدي» في ثناياها ، فارتدَّ الى افلاطون امامه ، يسمع في عباراته ، صوت الانسانية لا قول رجل فردٍ



## رسالة

بعثت جولي محبوبة لوس بطل الرواية برسالة اليه طي كتاب عن الفيلسوف ديكارت ، فردت بالرسالة التالية لما عثر عليها : —

لماذا بعثت بها في كتاب ؟ كان يحتمل ان لا اجدها على الاطلاق . اكان هذا الباعث ؟ اكاد اظن ذلك من ثلاثة اسابيع عدت من نزهة طويلة ، فوجدت على خواني ، رزمة كتب عليها العنوان بخط « رمزدل » وداخلها كتاب « درك » عن ديكارت ، ورسالة من رمزدل يقول فيها انه كان قد اتى به من مكتبة القصر ، وعلي ان اعيده اليه ، متى قضيت منه وطري . وما كنت احس حيفاً برغبة في مطالعة ديكارت ، فعدوته الى كتب اخرى ، وأفكار اخرى منذ ما زارني رمزدل هنا ، ووضعت الكتاب على عتبة النافذة ، حيث اختفى تحت ركام الاوراق والكتب التي تتجمع بسرعة في مسكني الضيق . ولكنني اعمد الى ترتيب اوراقي وكتبي من آن الى آخر ، وقد بدأت ارتبها الليلة فعثرت على ديكارت . فكان ذلك آخر محاولتي .

فجلست اقرأ فوق كتابك في حضني

كتابتك ! انني لأذكر اول رسالة اتتني منك — في الحصن . وما كنت اعرفك ، ومع ذلك لم استطع الهروب مما احاط برسالتك من السر الخفي — رسالة من روح استطيع ان اراه ولكن لا اراه . يدك على الورق وريشتك ترسم الكلمات وعيناك ترياها . والان يا جولي ، اتبجح لي ان ارى امامي ، على خواني وفي متناول يدي كتاباً منك ! فكانك انت في الغرفة . بل اكثر من ذلك . كأن شرك او خلاصتك المصفاة معي ، مع انها لا تلمس ، كعطر ازهار بعيدة يهب فجأة من النافذة . كتبت من المكتبة وهي باردة في الليل . مع اني استطيع ان اتصور البرد والظلام ، نخيالي لا يستطيع ان يسلم بهما دون اي شيء آخر . اراك جالسة على ارض الغرفة ، والشمس مشرقة عليك ، اذ كنا نتحدث في القرن السابع عشر . اراك متحركة ، والشمعة في يدك من رف الى رف ، لمعانها في شعرك وأخيلتها تتحرك عند قدميك . اراك تحت الاشجار تراقبين التنس ، وعائدة من الملعب وجالسة الى جنبي في عودتنا من رنوك ، وسائرة امامي في الطريق المفضية الى الكوخ . كل هذه الصور ، التي تنبعثن منها ، انما هي صورة واحدة تتصفي فيها الوف التأملات ، بل هي حقيقة اعظم من حقيقة الشيء المرنى .

هنا ثغرة في كتابي ، مداها ثلاث ساعات او اكثر . لم استطع ان امضي في كتابته . فخرجت اتمشى في المرح ، حيث الاشجار تطلق في هواء جليدي ، كأن حبلاً من الجمد



تتدلى من اغصانها . ثم جلست احديق في رسالتك ، وفي المصباح ، ومع ذلك لم اتمكن من المضي فيه . انني لا استطيع ان ادرك هدوء عقلك يا جولي . بل انني لا اعلم على ما كنت طويت رسالتك لو انك كتبت اليّ — لا الى ديكرات

سأقول لك لماذا غادرت جيرة القصر من خمسة اشهر . فمن ناحية انت امرأة والاختيار لك — سبب تقليدي . اما من ناحية اخرى ، فلسبب خاص بي . انني استطيع ان اكتب عنه الآن ، بهدوء ورباطة جأش . أما حينئذ فلم يكن لنا الا الاستناد الى البديهة . فقضت بداهتك بأن اذهب . فكتبت كتابك في الحال ومن دون تردد . لم تفكري فيه بل جلست وكتبت . وبعد ساعة جاءني به يعقوب الى الكوخ . فأيدت بديهي بديتهك . علمت ان حبنا كان قد اصبغ اعظم او اسخف مما نفقه — اما الكل او لا شيء . ولكنني لم استطع ان ارى ولا ان اميز . كنت احس ولكنني كنت عاجزاً عن الحكم

الحب الصداقة وكل صلة حميمة بين شخصين ، لها شخصية خاصة مميّزة عن شخصية كل منهما المنفصلة ، مع انها نشأت من اندماج الشخصيتين . نحياتها او افسادها او تشويهاها او تحقيرها خطيئة لا تغتفر في رأيي . بيد انني لا اعتقد ان متعة الحب الجسدية خطيئة ، وانما هي تصبح خيانة مميّة ، حين يطفئ على الصلة الانسانية ، التسليم بهذه المتعة او الرغبة فيها . فأنت وأنا ، باكتشاف احدها الآخر ، اصبحنا اما ربّين يملكان في صلة احدهما بالآخر مقدرة على خلق جوهر لا يفنى ، اعلى منا كلينا ومستقلاً عن لذاتنا ، او حيوانين وقعا في شرك . فاما ان تنمو شخصيتانا ، متجهتين نحو السلام والسكينة عن طريق حبنا وبسببه ، او تنلاشيان في الشهوة السخيفة . فحبنا ، قوة من وراء القدر ، فيمكنها ان تخلق شخصية مندججة اجل واشد حيوية ، من كلينا ، او هولدة عقيمة لا غير . وكنت اود ان اعرف ، واحكم على انفسنا . اقول « وكنت اود ان اعرف واحكم » ثم اذا بي لا اريد شيئاً الا ان اكون قربك ، وان اهرج الفكر ، في شهوتي لك . ولكن بديهي كانت الى الذهاب ، كما كانت بديتهك الى امري بالذهاب . ومنذ ما ذهبت فهمت لماذا ذهبت

ثمرة اخرى . كنت في المرح ، حيث بدأ الصباح يتنفّس . وقد قرأت ما كتبت — كتاباً من قطعتين . تقولين كتاب محبّك ، وكتاب معلمك . ومهما يكن ، فلا بدّ من ارساله كما هو ، فاني لا استطيع ان احدث تعديلاً في احد قسميه من دون ان اكذب عليك وعلى نفسي . حتى ما كتبه معلمك ، فكّر فيه محبّك . وفي هذه عذر عن جفافه . وكنت قد قلت مرة انني لن احاول ان ابلغك ما يحول في نفسي ، لانك لا بدّ ان تسخري مني . ولكنني افضل ان تسخري على ان اخدعك ، لانني اراني الآن اكثر مما كنت قبلاً محبّك . . . .



## اذا تحطّم المصباح

— لشلي —

اذا تحطّم المصباح خبا النور في التراب  
اذا تفرّقت الغيمة زال جمال قوس قزح  
اذا تكسر القيثارة نسيت النغمات الاخاذة  
اذا تكلمت الشفاه اودت اناشيد الحب

الموسيقى والجمال لا يبقيان بعد المصباح والقيثار  
كذلك اصداء القلب لا توحى النشيد اذا كانت الروح صامته  
لا توحى نشيداً بل نغماً حزيناً كالريح في غرفة متهدمة  
او كتلاطم الأمواج الذي يشيع به بحار الى القبر

بعد ما تتمزج القلوب يخرج الحب من العش الذي احسن بناؤه  
فينفرد الضعيف بحمل عبئه

ايها الحب الذي يأسى لضعف الاشياء على الارض  
لماذا تختار الاضعف ليكون مهدك ودارك ونعشك

ان عواطفه تهزك كما تهز العواصف الغربان في الفضاء  
ويسخر منك الذكاة الالهي كما تسخر الشمس من سماء الشتاء  
في عشك يندثر كل عود ، فاذا عاد عقابك  
تركك معرضاً للسخرية ، متى تساقطت الاوراق وهبت الرياح الباردة



## المملكة الممرضة

ملكة البلجيكي على ذكر وفاة الملك البرت الاول

لكريم ثابت

لما بلغ الدوق شارل ثيودور فتلسباخ البافاري الخامسة والثلاثين من عمره اعتزل خدمة الجيش بعد ما أبلى فيه بلاءً حسناً وانتظم في سلك كلية الطب بالجامعة وأكبَّ على درس الطب بحمد ومثابة فلم يشجعه الاساتذة في بادئ الامر ظناً منهم ان الامير الطالب يريد تسلية وقتية حتى اذا سئمها كما سئم الجندي من قبلها لم يتردد في مغادرة الكلية وهجرها ، ولكنهم ما لبثوا بعد اشهر ان لاحظوا ان سموه اكثر زملائه اجتهاداً في دروسه وأشدَّهم مواظبة على تأدية فروضه فتحول ظنهم الاول فيه الى احترام لمواهبه وفي آخر سني الدراسة فاز سموه بدبلوم الدكتوراه في الطب وأراد ان يزاول صناعته اسوة بزملائه الذين نالوا الدبلوم معه فرأى من سداد الرأي ان لا يبدأ العمل في مدينة كبيرة كـ « مونيخ » فانتقل الى مدينة « تجرنسي » وفتح فيها عيادة جميلة ثم آثر التخصص فنخصص في امراض العيون وفتح عيادة جديدة في مدينة « ميرانو » ولما ذاع اسمه تقل عيادته الى « مونيخ » وكان قد اصبح من الثقات في الفرع الذي تخصص فيه

\*\*\*

وكان للامير الطبيب كريمة اسمها « الیصابات » عرفت بالنشاط من حداتها فطلبت منه ان يسمح لها بمساعدته في عيادته كممرضة فأجابها الى طلبها فاغتبطت اغتباطاً شديداً وأخذت تتردد على العيادة يومياً من اول ساعات النهار ولا تنصرف منها الاً بعد ما يغادرها آخر المرضى وقسمت مهمتها في العيادة الى قسمين فكانت عند ما يدعوها والدها الى جانبه لتساعده في عمل يعمله تؤدي ما تؤديه الممرضة العادية وعند ما لا تكون معه تجلس مع المرضى ولا سيما الامهات وتواسيهم وتبحث معهم في احوال الشعب الى ان يدق والدها الجرس فتخف اليه مسرعة

ففي جانب من جوانب تلك العيادة درست الاميرة الیصابات البافارية احوال الشعب الحقيقية وتعلمت « فهم الحياة ومعرفتها » كما قالت هي نفسها بعد ذلك

\*\*\*

وكرَّت الاعوام واصبحت الاميرة الممرضة ملكة للبلجيكي بزواجها من جلالة الملك البرت الاول ملك البلجيكي المتوفى حديثاً . ولا يسع الكاتب ان يتكلم عن جلالتِه من دون ان يتكلم عن جلالاتها



« لان كلاً منهما متمم للآخر » كما قال عنهما الكونت سفورزا الوزير الايطالي الكبير وقد عرفها معرفة وثيقة ، فرأيت ان اصف لقارئات المقتطف جلالة الملكة اليصابات وكنت قد تشرفت بمعرفة جلالتهما قبل زيارتي للبلجيك في الصيف الماضي فانه لما انتهت زيارتها وزيارة الملك البرت الرسمية لجلالة ملك مصر مكثت جلالتهما اياماً اخرى في القاهرة زارت في خلالها جمعية الاسعاف وهناك تلطف سعادة وزير البلجيك المفوض السابق فقدمني لجلالتهما ولما كنت في بروكسل في هذا الصيف رأيتها في بعض الحفلات التي اقيمت عند الاحتفال بعيد الدولة الوطني وشاهدت مبلغ تعلق الشعب الشديد بها

وفي اشتغال جلالتهما كمرضة في عيادة والدها في صباها وعطفها على البائسين ما يفسر اهتمامها بزيارة جمعية الاسعاف في القاهرة

وفي خلال الحرب العظمى اشتغلت جلالتهما كمرضة ايضاً في المستشفيات العسكرية فانه بينما كان زوجها الباسل يعيش مع جنوده في ميدان القتال كانت هي تطوف تلك المستشفيات لتضمد جروح الجنود بيديها الكريمتين ولتواسيهم وتبث روح الامل في نفوسهم بالفاظها العذبة وكثيراً ما كانت تقيم لهم حفلات اجتماعية لتسليهم وتنسيهم آلامهم وفي كل حفلة منها كانت جلالتهما تعزف على كمنجتها بالبراعة التي اشتهرت بها ويقول العارفون انها من اقدر العازفات على الكمنجة وكان والدها الطبيب ماهراً في العزف على البيانو ويروي المتصلون بأسرته انه لما كان يجلس الى البيانو كانت كريمته الفتاة اليصابات تضطجع على الارض وتصفى الى عزفه بملء جوارحها

ولما انتهت الحرب وجهت جلالتهما عنايتهما الى انشاء المستوصفات والعيادات وكان بين الجمعيات التي انشأتها برأستهما هذا الغرض جمعية لمقاومة الامراض التناسلية ، وحدث يوماً ان عظيماً من عظماء البلجيك هناها بالشجاعة التي ابدتها بتأسيس هذه الجمعية وقبول رأستهما فقالت له : « ان معرفة احوال الشعب هي التي اوحى الي بالواجب الملحق على عاتقي وكان هذا الواجب ينطوي على الارشاد الى الطريق بينما كانت النساء الاخريات يترددن وما دامت احوالي تسمح لي بالارشاد الى الطريق الذي يتعين سلوكه كان يجب علي ان افعل ذلك »

وكان بين الحفلات التي اقيمت في بروكسل احتفالاً بالعيد الوطني حفلة لتوزيع «مداليات الشجاعة والنخوة» على الذين عملوا في خلال السنة اعمالاً تدل على الشجاعة والمروءة والنجدة كأن ينقذ شاب زميلاً له أشرف على الغرق او كأن يجازف معلم بحياته فيقتحم حجرة اشتعلت فيها النار لينقذ صبيين حصراً فيها الخ ... وشهد هذه الحفلة جميع افراد الاسرة المالكة احتراماً لتقليد متبع في البلجيك وهو ان تشهد الاسرة المالكة كل الحفلات الشعبية التي تقام احتفالاً بالعيد الوطني

وكانت الملكة لابساً ثوباً بسيطاً كمعادتها وتحادث الجالسين حولها ببساطتها العادية ولكن ملامحها وكل حركة من حركاتها ومشيتها كانت تنم على الدم الملكي الذي يسري في عروقها



وفي كل مرة كانت تقف جلالها لتسلم مدالية لمستحقها كان الشعب يقابلها بعاصفة من التصفيق والهتاف . ومما تحسن الاشارة اليه هنا ان موظفاً كبيراً في وزارة الخارجية البلجيكية قال لي « ان عدد الاطفال الذين سمو البرت واليصابات في الشهر الاول وحده من شهور الحرب العظمى يزيد على عدد الاطفال الذين سموا بهذين الاسمين منذ ما اعتلى الملك البرت العرش الى ان نشبت الحرب وذلك لان ما اظهره الملك والمملكة من اليوم الاول من ايام الحرب جعل الشعب يشعر بأن هناك رابطة جديدة تربطه بهما وهي رابطة التضحية المشتركة »

\*\*\*

ولا اريد ان اختم هذه العجالة عن المملكة اليصابات من دون ان اشير الى زيارتها الاولى لمصر في سنة ١٩٢٣ فانها بعد ما تفرجت على مقبرة الملك توت عنخ آمون عادت الى بلادها وهي مفتونة بعظمة هذه الآثار وجمالها فما كادت تصل الى بروكسل حتى فكرت في تخليد ذكرى هذه الزيارة بالشاء معهد للعاديات المصرية فكشفت بذلك الاستاذ كبار العالم البلجيكي الكبير فأيد الفكرة وتم انشاء المعهد باسم « معهد الملكة اليصابات للعاديات المصرية » وهو يشغل اليوم جناحاً كبيراً في البناء الاكبر للمتحف الوطني في بروكسل وقد اصدر المعهد حتى الآن مؤلفات شتى عن الآثار المصرية ومصر الفرعونية

وتلقى في المعهد من وقت الى آخر محاضرات نفيسة عن مصر القديمة وفي كل مرة تقريباً يرى الجمهور لسماع المحاضرة سيدة طويلة القامة نحيلة الجسم تفتح باب القاعة بيدها ثم تسير الى اول كرسي تجده وتجلس عليه كأنها فرد من الافراد فيتهامس الحاضرون قائلين : الملكة

## فوائد منزلية

- \* اذا صب الشاي على غطاء المائدة فذر عليه ملحاً زاعماً حالاً واركه حتى يغسل لا يظهر فيه اثر الشاي
- \* اذا اضيفت ملعقة صغيرة الى الخرشوف ( ارضي شوكي ) حين طبخه بقي لونه اخضر ولم يسود
- \* صب في بالوعة المطبخ كل يوم قليلاً من الماء الغالي والصودا فتأمن صعود الغازات الضارة منها
- \* يمكن حفظ السمك طرياً مدة يوم او يومين باضافة اوقية خل الى اربعة وعشرين اوقية من الماء واغلائه وتغطيس السمك فيه دقيقتين لا غير ، ثم يعلق في مكان بارد
- \* أفضل الطرق لتنظيف البسط وهي مفروشة اذا تعذر رفعها ونفضها ان تمسح بمحرق مبلولة بالماء السخن والامونيا



## اولادنا وتبعة الزواج

لكاتب اميركي

والحوادث التي على هذا النمط كثيرة فكم من فتاة لا تزال في مقتبل العمر وميعة الصبا، تزوجت وطلقت لانها لم تفهم ماهي التبعات الخطيرة التي يلقيها الزواج على الزوجين ، قبل اقدامها عليه . وكم من شاب هدمت سعادته لان والديه اهملا ذلك

اما انا فلدي ابن وابنة، وقد عزمت بعد حكاية صديقي ان اعلمهما ما يتعلق بالزواج قبل ان يصلا الى شتا الجرف ، وقد اغمض عينيهما الحب الذي يستولي على الشاب او الفتاة للمرة الاولى . سوف اعلمهما ما في الزواج من خطر الشان ، وما عليهما من واجب ، وما يتوقع ان يلقي على عاتقهما

من تبعة ، حتى اذا اختار احدهما ان يتزوج فعل ذلك وهو بصير بما اقدم عليه

اريد ان افهم ابني ما في الزواج من الخطورة والشرف . وان عقد الزواج الذي يعقده مع زوجه هو العقد الوحيد الذي يمتد طول الحياة . من السهل على الفتى ان يهوى فتاة جميلة ، او فتاة ذكية او فتاة رشيقة ، او فتاة « نغشة » ظريفة ،

في صباح يوم جميل جاءني صديق عزيز وعلى وجهه أمارات الاسى والغضب . حيثته وابتمت له فرد التحية وقال بصوت فيه آثار الانفعال — زبهم ونتعب عليهم ثم انظر ماذا يفعلون عرفت الى ما يشير لان الصحف كانت قد ذكرت ان ابنه وعمره تسع عشرة سنة كان قد فر مع فتاة ليقترن بها . وقص

علي قصة ابنه وهي لا تخرج عما يقع عادة في مثل هذا الحادث من تبادل الحب ، فالتعاهد على الزواج ، فرفض والذي احد المتعاهدين او والذي كل منهما ، فالفرار . فما كاد ينتهي من سرد حكاية ابنه حتى بادرت بالسؤال : —

هل حدثت ابنك هذا عن الزواج ، وأفهمته

ما ينطوي عليه من تبعات قبل ان طلب منك السماح له بالزواج ؟ فقال

— كلاً لم احداثه بشيء من هذا . ولماذا يجب ان احداثه عن الزواج . انه لا يزال في التاسعة عشرة من العمر ، ولم يخطر ببالنا انه يفعل ما فعل . ولما فاتحنا في الموضوع اخلصنا له القول ومحضناه النصيح ولكنه لم يصنع الينا

كل شيء في الطبيعة يرز ويتكلم عن الامومة . فالشمس هي ام الارض ترفعها حرارتها وتحضنها بنووها ولا تفادرها عند المساء الا بعد ان تنومها على نغمة امواج البحر وترنيمه العصافير والسواقي . وهذه الارض هي ام للاشجار والازهار تلدها وترضعها ثم تقطعها . والاشجار والازهار تصير بدورها امهات حنونات للثمار الشبيهة والبزور الحية . وام كل شيء في الكيان هي الروح الازلية الابدية المملوءة بالجمال والمحبة

جبران خليل جبران



ولكن الصعوبة كل الصعوبة ، ان يستمر حبها له ، ومن الواضح ان الزواج لا يكون هنيئاً الا اذا استمر الحب المتبادل بين الزوجين

وسوف اعلمه ان في كل من الزوجين نقائص وعيوب وهفوات . ولكن عين المحبة الصحيحة المستمرة ، يجب ان تغضي وتتجاوز عن جميع هذه الهفوات . يجب ان يعلم ان نضارة الوجه وغضارة الشباب ، لا يستمران مدى الحياة كما عهدا اولاً ، ويجب ان يستعد لذلك متروداً بالمحبة الصحيحة والفهم العطوف

\*\*\*

كذلك سأفهم ابني ان البنات لسن ملائكة كما يتراءى له باديء ذي بدء . وان لهن هفوات وزلات كسائر الناس . فالفتاة التي يرى في عينيها بريق العطف والكياسة ، قد تكون سريعة الغضب حادة الطبع ، والفتاة التي تغني بأغذب الاصوات فتترب ، وتنطق بأليق الالفاظ فتسي ، قد تنطق في ساعة غضب بما لا تقوه به لو كانت مالكة عنانها . لذلك يجب ان يكون مستعداً لتلقي مثل هذه الصدمات ، حتى اذا وقعت عرف كيف يأخذها بصدر رحب وبشاشة تدل على انه يفهم ما في الطبع البشري ، من النقص ، وشعور عميق يدل على ان قوة المحبة فيه تستطيع التجاوز والتسامح . ثم هناك مسألة أخرى ، وهي ابدأ ماثلة امام الشاب ، وهي هل يستطيع ان يقوم بنفقات بيته العتيد ؟ على انني لن اشدّد كثيراً على ابني في هذا الموضوع . لاني اعرف كثيرين تزوجوا ولم يكن لديهم سوى دخل يسير ، فكان زواجهم سعيداً ، بل كان دخلهم اليسير ، باعثاً قوياً على اجتهادهم ونجاحهم . وانما اريد ان اشدّد على ابني في الاسئلة الآتية حين يقع اختياره على فتاة :

ماذا تعرف عن اسرة الفتاة ؟

الحب والديهما وتسر للقياهما ؟

أينغص عيشك اذا اضطرراً ان يقضيا باقي عمرها في بيتك ؟

أستطيع ان تعيش مع اخ لها او اخت لها ؟

هل في اسرتها احد لا تطيق سلوكه ؟

هل تتفق معها في المسائل الدينية ؟

هل تحب اهلها حتى ليدفعك حبك الى مساعدتهم اذا كانوا في حاجة الى مساعدتك ؟

\*\*\*

هذه بعض مطالبات الزواج يا ابني . نعم انك تزوج الفتاة دون اهلها . ولكن لا يمضي زمن قبل ان تدرك ان ما كان عزيزاً لديها يجب ان يكون عزيزاً لديك وموضع احترام منك . انك



لا تقدر ان تصرف النظر عن اهلها وتحافظ على محبتها لك . ولا ريب في انك سوف تقضي  
 — في الغالب — جانباً من حياتك معهم وقد يتعين عليك ان تنفق عليهم  
 قد يظهر لك ان هذه امور سهلة ولكن اذكر ان هذه الامور سوف تستمر مدى الحياة  
 تستطيع ان تتجاوز عن هفوات زوجك ومطالبها الخاصة !  
 تستطيع ان تغض النظر دائماً عما قد يشوب طبعها من الخدّة !  
 تستطيع ان تتجاوز عن ذلك وتحافظ على حبك اياها ؟  
 قد يزيل المرض جمالها ، او قد يذوي الحزن زهرة شبابها ، او قد تسبب هموم البيت واعماله ،  
 غصوناً في وجهها ، وخشونة في يديها ، افتستطيع ان تحبها رغم ذلك ؟ تستطيع ان تضحّي ببعض  
 مطامحك من اجلها ، اذا كانت لا تقدر ان تسير معك او اذا عجزت عن اللحاق بك في تقدمك ؟

\*\*\*

اما ابنتي فسوف اعلمها ان الزواج ، رهيب و طاهر . وسوف اعدّها لتكون زوجة امينة واماً  
 صالحة . سوف اعلمها ان الزواج والواجب امران لا ينفصلان . بل سوف ادرّبها حتى لا يعي  
 الحب عينها ، عن رؤية الخلق الصالح المتين ، وانها اذا رأت شاباً يجيد الرقص ، او يحسن تزويق  
 الكلام ، فيجب الا تتحدّع وتحسب انه يستطيع الاجادة في اعمال الحياة الخطيرة  
 الملائكة بين الرجال قلائل يا ابنتي . والشاب الذي تهوينه لا يستمر مدى الحياة على ما عرفته فيه  
 من اللطف والدعة والكرم والايتار . هموم الحياة كثيرة . ومقتضيات العيش مرهقة . وقد يجيئك  
 الغد ، بما لم تعهديه في زوجك من قبل . فكوني حكيمة يا ابنتي لانك سوف تجدين في زوجك  
 عيوباً لم تكتشفها من قبل . فكوني ، مستعدة لمواجهةها بصدر رحبٍ ومحياً طلق . واذا كنت  
 تشعرين انك تحبين شاباً ، رغماً عما ترينه فيه من العيوب وعمّا قد يظهر فيه من الانانية والخشونة  
 يوماً ما ، فعندئذٍ اقبليه زوجاً لك

\*\*\*

الاحترام والفهم يجب ان يكونا اساس الحب . على المرأة ان تعجب بمخلق زوجها ، اذا شاءت  
 ان تمتحن حبّها له وهل يصلح هذا الحب قاعدة للزواج . كذلك على الرجل ان يحمل اعباء الحياة  
 بشجاعة وثبات ، اذا اراد ان يحتفظ بحب زوجته وعما بها به . فأنا اريدك يا ابنتي ان تدركي انك  
 حين تخرجين من حفلة الزواج ، عليك ان تخوضي مع زوجك بحر الحياة الزاخر ، بما فيه من آراح  
 وهموم واخفاق ، وما فيه كذلك من بهجة وسرور وظفر . كذلك يجب ان تعاملي اهلك كما تنتظري  
 منه ان يعامل اهلك . فقد اتحدت الاسرتان في الاسرة الجديدة



## صديقتي عن الرحمة

( كتبت في المستشفى )

لأبي نخله

هذا اول يوم تتلاقى قدماي فيه على الفراش بعد الفرقة . فاضمّ الواحدة الى اختها ، او الفتيها عليها ، او ارسلها في ثنايا اللحاف . طلاقة يحسني عليها مثلاً المسكين جاري في الغرفة المحاذية . وقد مرّ عليه الشهر ، وهو مشدود الى سرير الحديد . وهكذا يقنع بالقليل من الشطر ، من لا يستطيع ان يصيب الشطر جميعاً ! او يقايس كما يقول (ديكنز) بين قليله وقليل الآخرين ، فيقنع بالقلة . وههنا وجدوا ( الكنز الذي لا يفنى ) ....

ففي فرحة هذا التلاقي تحت اللحاف احنّ الى القلم . فكان الكتابة ( صحة ) الكاتب ، كما ان الاراق صحة العود ، والجري صحة الماء

ثم اني احنّ الى المداد لا الى قلم الرصاص . فكأنني لا اريد ان اصيح بالصوت الخافت ، بل بالمداد الأزرق ، فأهتف في مسمع العيش عالياً : اني تعافيت !

اذن فهذا قلبي في يدي ، احركه في رفيق كثير ، ليس له به عهد . فتشمله الآن نعمة (المورفين) ، اسبغها عليه من اطراف اصابعي . و ( المورفين ) اخت رحمة الله ، في ليالي الاراق والتبرج . او الاستغناء الضيق عن تلك الرحمة الواسعة . وهي من جهة شق النفس وذل الطلب كرحمة الله ايضاً . هيئات ان يفضّ الطبيب حقّها ، الاّ بالضراعة وبالتوسل

فيا قلبي . لقيتك بعد اليأس والبرح ، فكأنني لقيت مفتاح السرور . اغرزك في كل باب من ابواب خواطري ، فيتفتّح على الانشراح والغبطة ، وأطلّ منه كما اطل على مباهج الاالواح الايطالية فن خفق جناح على الربوة ، الى لمع شعاع في مرآة الصحو ، الى هبوب حلو ، يتهادى على كتف الشاطئ ، الى الف شيء آخر من افراح المريض ايام النقاهة !

يقول ( نيتشه ) : « العضو الواهن في الجسم الانساني عبء ، فاقطعوه »

فقطع لسانه ! أما والله لو كنت من جيل ( نيتشه ) ، لجمعتُ اليّ آلاف الخلائق من المرضى ، وخرجت اليه بهذا الجمع المتناقل الخطوات اصيح في وجهه ، ويرددون من ورأيي : نحن الواهين بانيشه ، فاذا اطرحتنا نسخت الرحمة من الوجدان البشري وقضيت على اكرم الشيم وأفضل الطبائع وفي الحقيقة ان دنيا عريضة تزخر باصناف البهجات وتعيّج باشكال اللذائذ ، ولكن ليس فيها على ذلك كله يدّ تقبل على الجريح بكأس من الماء ، هي دنيا يحقّ لجماعة « اليسوعيين » ان يبولوا عليها باسم ( يسوع ) ، وان ينبري كتّابهم لسلقها بالاقلام وباللسنة . ولعلّ هذه



لقول حكيم العرب الاشهر « ابن اكرم » :  
يعرف الجنة في النار !

كان فقيد الادب الرفيع احمد شاكر  
الكرمي - فياً الريحان قبره على الجانبين -  
اتمس ما يكون في خريف ١٩١٩ . فقد ألح عليه  
الداء وراه الضنى ، وانقطع خيط الامل منه .  
وبيني وبين شاكر ما بين الماء والراح . وداد  
كالهوى ، وكاسم الهوى طيب ! فكيف يحول  
« المكروب » بين شقيقي نفس وأدب وصبي

في اخريات ليلينا . بخاصة  
وشاكر على عشية فرقة  
وازماع سفر طويل .  
فكنت اقرب الخلق الى  
فراشه احمل للحبيب المضني  
الاحاديث او الذكريات  
والسلوان حتى يشق الليل !  
وكان ( ليون دوده )  
لا يزال بعد في ( بلجيكا )  
ينشر في ( الاكسيون  
فرانسيز ) رسائله التي طبقت

الفلك يومذاك . فسألني شاكر في احدى العشيات  
ان انقل له ، وهو يسمع ، مقالة من مقالات  
( دوده ) تلك . فوقعنا على واحدة بأني الكاتب  
فيها ، على ذكر الطب واهله ، فيشيد بذكر  
العباقره الاطباء ، الذين نفحوا البشر بنوادر  
العلاج ، في طراز من المديح . يندلع له حسداً  
لسان « أبي الطيب » نفسه !

فقلت - الرجل درس الطب وتوفر عليه ،

اول مرة اتلاقى فيها واليسوعيين على رأي !  
\*\*\*

كانت ليلتي الثانية في المستشفى « نابغية »  
من اشد ليالي هولاً . فلما تحرّك الصبح حننت  
الى جرعة ماء . فدخلت عليّ أليس<sup>(١)</sup> ملاكاً  
ابيض بلا جناحين . فتناولت الكأس من يدها ،  
وكأنها تقدم لي الدنيا على كفها ، فقلت لها :  
اظفرك هذه في عين « نيتشه » ، ولتغرز غرزاً !  
فلم تعرف الممرضة ما « نيتشه » هذا ،

وما دخله في كأس ماء  
وارواء غليل . فقلت :

نيتشه نقيض القديس  
« جان ده ديو » على خط  
مستقيم . القديس جان  
خلع حياته على المرضى  
المساكين . ونيتشه يراهم  
اعباء ثقيلة على ظهر المجمع  
الانساني يجب طرحها .  
ومن حسنات الحظ كان

نيتشه لم يترك من بعده

ذنباً . فلم يرقم كاتب على خلافته . في حين ان جمعية  
Fate Bene Fratelle التي ألفها صاحبنا القديس  
الاسباني تضرب فروعها في كل صوب  
قالت أليس : وحقك ان نيتشه هذا المعوجع  
الاسم ما انتابه وجع رأس في عمره ...

\*\*\*

ان حكمة « أليس » المختصرة تقطر عقلاً !  
وهي على اختصارها ، شرح مسهب في الصدد



فبل ان ينقطع الى القلم « وتدركه الحرفة . . . » فلا تعجب لهذه القصائد المزروعة ينظمها حينئذ « لاول منزل » . . . فابتسم شاكر ابتسامته الملساء العذبة ، التي لم تستطع يد الغاسل في ما بعد ان نحوها . ثم قال في جد كثير :

— قسوت على (دوده) — وتطلع الى رفرف في الزاوية ، مكتظ بالكاتب — افتحسب انت « انت نفسك ! » ان ملايين الحروف هذه تفيدني اليوم شيئاً ؟ هات سرولة واحدة من (الأنجولف) ، وعلى تصانيف الادب والفلسفة العفاء . واذ قيل : الكاتب فلان لا فض فوه ، وجب ان يقال : الطبيب فلان قبلت يده ! وبين عالم الادب وعالم الطب هوة من الفرق . عالم الطب يخر رأفة ، وعالم الادب فقدان الرأفة فيه ، ضربة لازب . وما بالك اذا دبّت الرأفة الى اقلام النقدة ، فنادوا الادعياء والفضوليين ، وتركوهم ينقرون على « مائدة افلاطون » شمالاً ويمناً . فالرأفة اذن سجية الطب . والمريض عتيق الرأفة ، يعيش على حواشيها ، وفيء الى اكتافها ! فشجاني تلك العشية كلام شاكر ، الذي يقطع عدان السعال ، وتحز فيه البحة . وهو يعاودني اليوم وانا عتيق الطب ، فيهدر في مسمعي ، ويضع في ضميري !

فيا اطباء الكون قبّلت اياديكم . وقد آمنت بحكمة « أليس » وادركتني من عبقرى فيكم ، رأفة مسحت جراحي . اما « نيتشه » عدو المريض ، والجريح المؤرق في عتمة الليل ، فالله « يرحمه » زهرة تؤنس الوحشة عند قبره ! !

— بيروت —

## فمن ضوء الشمس

في الحلوى

ضوء الشمس المخزون في مختلف المواد الغذائية ، من احدث الوسائل لمعالجة امراض الدرن وفقر الدم والكساح . ويقال ان طبيبين من اطباء مدينة فيينا كشفوا عن طريقة لتعريض الشوكولاتة للاشعة التي فوق البنفسجي من غير ان يفقدها شيئاً من طعمها الاصلي او يغيرا رائحتها ، وقد جرب المختبران نتائج طريقتيهما اولاً في الفئران فأخذوا يغذيانها بتلك الشوكولاتة ، المعالجة بالاشعة ، فسمنت كثيراً . ثم جرباه في تغذية الناس فكانت فائدته عظيمة ، اذ استعاد الناس الذين تناولوا هذه الشوكولاتة شهوتهم للطعام ، وقويت دماؤهم ، بمعنى زيادة كرياتها الحمر ومن المعروف ان العلامة سينبوك الاستاذ بجامعة وسكنصن الاميركية ، اخترع طريقة لاشباع الحبوب الغذائية بضوء الشمس الصناعي فنال باختراعه امتيازاً من حكومة اميركا ثم نزل عنه الى الجامعة المشار اليها خدمة للانسانية ، فقدمته الى مصانع الاغذية التي تصنع المأكولات الخاصة بطعام الافطار واشترطت عليها بيع الاغذية ، المشبعة بضوء الشمس الصناعي للجسم ، على ألا تزيد أسعار هذه الاغذية ، لكي يقبل الناس على شرائها واستهلاكها ، فتعم فوائدها الصحية



# عَقْلُ الطِّفْلِ

فِي تَطَوُّرِهِ

بقلم احمد عطية الله

- ٣ -

﴿ طرق دراسة الطفل ﴾ لعلَّ العناية المتأخرة بدراسة الطفل ترجع الى حد كبير الى الصعوبة في طرق هذه الدراسة . فبينما من السهل ان نحكم على استعداد رجل بالمجهود الذي يبذله في عمل من الاعمال او بالقاء اسئلة اختيارية كما هي الحال في الامتحانات المدرسية ، او نحكم على سلوكه من معاملته للغير او بملاحظة العادات التي تكوَّنت فيه وصارت طبيعة ثابتة ، اذا بالطفل لا يساعدنا على اجراء مثل هذه الاختبارات

الصلة بيننا وبين الطفل صلة غير وثيقة ، فهو اما ان يكون عاجزاً عن استخدام اللغة كأداة للافصاح عن شعوره ، او ان يكون عاجزاً عن التحكم بالفاظه واختيار ما هو النسب وأدق . لهذا كانت النتائج التي قد يصل اليها بعض الباحثين في سيكولوجية الاطفال قابلة للنقد والتفنيد لتأثرها بعوامل مختلفة ، قد تغيب عن ملاحظة الباحث ، او قد يخطئ في تقديرها لنوع العلاقة بينه وبين الطفل . ودراسة الطفل تأخذ طريقتين :

(١) مراقبة تقدم الطفل (٢) مقارنة مجموع من الاطفال في سن واحدة والطريقة الاولى ايسر تطبيقاً اذا اخذناها ، لاننا لا نتطلب موضوعاً للدراسة Subject الاً طفلاً واحداً او عدداً محدوداً منهم وتتلخص هذه الطريقة في مراقبة سلوك الطفل في كل دور من ادوار حياته ، وذلك بتدوين سجل لحياته العقلية في كل مظاهرها . فاذا جمعنا هذه المادة الاولى امكننا ان نقسمها الى مجموعات ، كل مجموعة تختص بدور معين ، او ان نأخذ اوضح طبائع الطفل في كل دور كمميزات لهذا الدور . وبهذه الطريقة يمكننا ان نراقب التطور الجسدي والعقلي والخلقي الذي يسير فيه الطفل

ولكن لهذه الطريقة مساوئها ، لان اعتمادنا على طفل معين ، او مجموعة محدودة من الاطفال تجر الباحث الاستقرائي الى استنتاجات خاطئة ، او الى قوانين لا يمكن تطبيقها تطبيقاً شاملاً . والآباء في البيت هم الذين يتسنى لهم ان يقوموا بهذه المهمة لا سيما في ادوار الطفولة الاولى حيث يقضي الطفل جماع وقته في البيت تحت رعاية امه وعناية والده . وهذا هو الخطر في قيمة هذه



الابحاث ، لان النتائج التي نصل اليها عن هذا الطريق تكون عادة متأثرة بميول هؤلاء الآباء مهما حاولوا التخلص من آثارها . ومما يجدر ذكره ان كثيراً ممن قاموا بمجهودات طيبة في هذا السبيل قد اجرؤا ملاحظاتهم على ابنائهم

والطريقة الثانية في دراسة الطفل تتلخص في مقابلة مجموع كبير من الاطفال في سن واحدة وجعل بعض طبائع الاطفال محوراً لهذه الدراسة المقابلة ، وكلما اتسعت دائرة البحث واختلفت البيئات التي يعيش فيها هؤلاء الاطفال ، كانت النتائج الاستقرائية التي نصل اليها اقرب الى الصحة لان البيئة وتقاليد البيئة تؤثر في صحة هذه النتائج وقيمتها . فباكتشاف الطبائع والاستعدادات العقلية المشتركة بين هؤلاء الاطفال يمكن ان يستخرج الباحث مميزات لهذا الدور من ادوار الطفولة او ذاك . والصعوبة في الاخذ بهذه الطريقة عدم وجود العدد الكبير من الاطفال الذين في سن واحدة ، الا لافراد قلائل ممن يتسنى لهم الاتصال بمجموع الاطفال الذين يضمهم مكان واحد كالمدراس والصعوبة الثانية في نجاح هذه الطريقة ، هي ان القائمين بمثل هذه التجارب عادة غرباء عن هؤلاء الاطفال ، لذلك كان من المحال ان نثق باجابة الاطفال اذا كان البحث يحتاج الى سؤا لهم . فاذا كان المختبر (السيكولوجي) من معلمي المدرسة التي يختبر تلاميذها ، فان الاطفال يعرفون

بطبيعتهم الناحية التي يرون ميلاً اليها من معلمهم فيجعلون اجابتهم محقة لرغبة المعلم . واذا كان المختبر غريباً عن الاطفال ، اكتشف بسهولة اصطناع الاطفال في الاجابة لاسيما اذا كانت اسئلته تدور حول الحياة المدرسية

ولكن مع كل ذلك فالاحصائيات التي تستخلص من مثل هذه التجارب تعتبر بلا شك اقرب صدقاً من الطريقة السابقة لهذا كانت دراسة الاطفال في الوقت الحاضر متجهة الى هذه الطريقة ولا سيما في اميركا

### المقال الرابع

النمو الجسمي والحسي عند الاطفال

### المقال الخامس

الطفل في عامه الاول

## فعل اللبن في النمو

بحث الدكتور مان من اعضاء مجلس البحث الطبي البريطاني ، في تأثير اللبن في نمو الاطفال ، فأخذ ٥٠٠ ولد من اللقطاء وغذى بعضهم بغذاء عادي مغذ حاو اللبن والزبدة ، وغذى البعض الآخر ، بغذاء مثله تماماً ولكنه خالٍ من اللبن والزبدة فزاد وزن الولد من الفريق الاول على وزن الولد من الفريق الثاني في خلال اربع سنوات نحو اربعة أرتال الى نحو سبعة ارتال ، وزاد طوله من نحو بوصتين الى اكثر قليلاً من بوصتين ونصف بوصة



## مميزات الطفل النفسية

قبيل المراهقة

الحياة بين السنة التاسعة والسنة الثالثة عشرة فريدة بما يمازج حركاتها وسكناتها من العواطف وال رغبات الجديدة والاميال والافكار والانفعالات التي لم تظهر قبلاً . فالولد الآن هو غير الطفل الذي كان او الشاب الذي سيصير والفتاة تختلف كل الاختلاف عما كانت عليه في سني حياتها الاولى وعما ستصير اليه في مستقبلها القريب

١

تبدأ في هذا الدور المميزات الجنسية بالظهور وتكون الصحة فيه على اقواها ومقاومة الداء على ارفعها والحركة على اشدها والنشاط على اوفره وقوة التمييز والحفاظة على احدها ويكون النمو في القسم الاول بطيئاً وخصوصاً في الصبيان ثم يسرع قبيل الدخول في دور البلوغ ( المراهقة ) وتلاحظ الامهات ان اكثر المميزات ظهوراً في هذا الدور هو روح الاستقلال والاعتماد على النفس . فيبدأ الولد بانشاء علاقات شخصية خارج البيت مع اصدقائه العديدين ورفاقه في الدرس واللعب . فيؤلفون الجمعيات التي غايتها الذهاب معاً الى السينما او السباحة او صيد الاسماك او الطيور . والولدي هذا الدور تثيره روح الشجاعة ويدفعه حب الاقدام والمغامرة فيقدم على الهرب من المدرسة لكي يتابع ما يرى فيه لذة فائقة وبهجة لا غاية وراءها . واذا لاحظنا اعماله وحركاته بدقة وجدنا انه عاد لا يعني بالالعب الخيالية الوهمية التي كان يعني بها قبلاً . لانه في دور حياته الجديد كما في الادوار السابقة يسعى وراء حسيات الحياة تاركاً معنوياتها جانباً وذلك طبيعي فيه . ولكن مع كل ما يظهر فيه من حب المغامرة والحركة والمخاطرة . نرى ان روح احترام القانون قد شرع يؤثر في حياته تأثيراً يدفعه الى اطاعة قوانين العصبية التي ينتمي اليها بفرح وسرور وفضلاً عن ذلك فهو يشعر ان طاعة القانون ضرورة له لكي يتمكن من المحافظة على مقامه الاجتماعي الجديد

وظهور المميزات الجنسية تقضي بانفصال الصبيان عن البنات بحكم الطبع لان البنات في هذا الدور يصبحن غير قادرات على الاشتراك مع الصبيان في اعمالهم العديدة المتنوعة التي تحتاج الى قوة وشجاعة واقدام والصبيان لا يميلون الى الالعب التي تلعبها الفتيات ولا الى الجمعيات التي يؤلفنها فبينما نرى الصبيان يؤلفون العصابات التي غايتها القنص والسباحة واصطياد الطيور والاسماك . نرى الفتيات يؤلفن جمعيات الخياطة والاحسان وما شا كل

٢

وبظهور الغرائز الاجتماعية وباندماج الاولاد في الجمعيات السابق ذكرها ينمو فيهم وخصوصاً في الصبيان منهم روح احترام الرأي العام . رأينا الولد في ادوار حياته السابقة يقتدي بوالديه وبقلد



عليه . ولكنه في هذا الدور من الحياة يتمثل ببعض افراد عصبته الذين حبتهم الطبيعة بالخلل والزيا التي جعلتهم محترمين مكرمين من جميع رفاقهم . انه لا يهتم برأي الكبار المحنكين مهما كان الرأي صالحاً والقول صواباً بل يفعل « ما قاله الرفاق » . ولا شك في ان الولد من هذا الامر في خطر عظيم لانه قد يعتاد اموراً تضر به وبمستقبله وخصوصاً لان جميع رفاقه احدث مثله لم يبلوا الحياة ولم يعرفهم الدهر . على ان ما يناله من التمرين على احترام رأي الاكثرية ضروري له حين خروجه الى مدرسة العالم الكبرى حيث يرى الديمقراطية سيدة في الجمعيات والمجالس والحكومات ، تقضي باتباع حكم الاكثرية ولو كانت على شطط . وفي هذا الامر عبرة لنا ابناء الشرق لاننا لم نتعلم بعد احترام رأي الاكثرية بل يظن الواحد منا ان رأيه هو الرأي الصواب وقوله يجب ان يكون القول الفصل . وما دمنا كذلك فلسنا اهلاً للحكم النيابي الديمقراطي الذي ندشده ونسعى وراءه . جميع بلدان الشرق لم تزل طفلة من الوجهة الديمقراطية ولا تستطيع السير نحو غايتها الرفيعة الا اذا تعلم فتيان اليوم وفتيات الانحاء بمخشوع واحترام امام الرأي العام — امام قرار الاكثرية

٣

زد على ذلك ان الولد يبدأ في هذا الدور من حياته يتفهم معنى الشرف والامانة والمحافظة على وعوده والدفاع عن سمعته وسمعة اخوانه ورفاقه وهذه الصفات من افضل فضائله . ولا يخفى ان آراءه قد لا تصيب محجة الصواب احياناً وقد تركب في الكثير من الاوقات متن الشطط ولكن في المحافظة على ما يعتقده حقاً والامانة في تنفيذ وعوده ولو كانت ضارة به فضيلتان يجب ان نحملهما محلهما من الاكرام والتفشيظ . فاذا فعلنا ذلك تمكنا من احتلال معادل نفسه والنفوذ الى مكائنها الخفية فنستطيع عندئذ ان نساعد على السير في معترك الحياة مرفوع الرأس باسم الثغر ناهجاً سوي السبل متوسلاً بأفضل الوسائل وأصلحها

في الولايات المتحدة في مدينة دنفر قاض في محاكم الاولاد يدعى لندسي . هذا القاضي استطاع ان يخلص اولاداً كثيرين من مسالك الشر ومهاوي التهلكة لانه وثق بهم وجعلهم يشعرون انه يجزمهم ويثق بمقدرتهم على النهوض من حمأة الرذائل التي سقطوا فيها . واسمه اليوم معروف في انحاء العالم المتمدن وكثيرون يقتفون خطواته وينسجون على منواله . وفي ذلك دليل على اننا نستطيع الاعتماد على ما في الفتى من روح الشرف والتفاني في سبيله

٤

وتكثر في هذا الحين احلام الفتى الذهبية ومطامحه الرفيعة وآماله الكبار ولكنها احلام اقرب الى الحقيقة منها الى الوهم ومطامح وآمال يتثبت الولد من حقيقتها لانه يرى نتائجها في الرجال الذين يرام ويقرأ عنهم . اولئك الذين رفعهم اجتهادهم الى أعلى ذرى الشهرة والعظمة . فهو من هذا القبيل كتلة من الامل تبحث عن هاد يضعها على طريق الحياة الصالح ونهجها القويم فتسير الى



المجد الذي تضرره الايام في ثنايا لياها للمجد المجتهد . ففي دور الطفولة الثالث تظهر عاطفة عبادة الابطال والنسج على منوالهم والسعي في اثرهم . والولد لا يفرق مطلقاً بين مثل أعلى مجرد والرجل الذي يتجسم فيه ذلك المثل او بين مبدأ سام والانسان الحازن عليه . فاذا فكر بالجرأة الادبية تمثل له النائب القلائي الذي دافع في المجلس النيابي دفاع الابطال مبيناً كل ما يتعلق بالقضية من الحقائق غير خائف في الحق لومة لأثم . واذا قرأ عن البذل والتضحية يذكر ممن عرفهم او سمع عنهم شاباً سار مخترقاً الذهب او مقتحمًا هول الامواج الطاغية ليخلص طفلاً يحترق او ينجي فتاة تفرق . واذا ذكر الشجاعة والاقدام ذكر القواد العظام ورواد القطبين ومكتشي القارات وغيرهم . لذلك يصعب على المعلم في هذا الدور ان يفهم الولد مبدأً اخلاقياً جديداً او مثلاً نفسياً طالياً بتفسيره تفسيراً مجرداً بل عليه ان يسرد امامه اعمال الرجال الذين تمسكوا بتلك المبادئ وساروا وراء تلك المثل وسعوا لتحقيق تلك الغايات فكانت حياتهم نعمة من نعم الله على البشرية

هو العمل يرفع الرجال الى مصاف العظام — اولئك العظام الذين يحسن بنا ان تقتدي بهم وان نسرد سيرهم في البيوت وعلى منابر المدارس . العمل هو الوسيلة المثلى والغاية القصوى في حياة الفرد وحياة الامم . لان مجرد القول والادعاء لا يجديان نفعاً . فالمعلم الذي يفعل مايقول ويجب ألا يقول إلا ما كان مطابقاً لسنن الحياة النافعة الشريفة يكون له اثر كبير في تكييف حياة تلاميذه لانهم ينظرون اليه كبطل ، به يريدون ان يقتدوا وعلى اثره ان يسيروا

\*\*\*

قلنا قبلاً ان حياة كل واحد بوجه عام تاريخ مختصر للجنس البشري وارتقائه . لذلك زى الولد في اول هذا الدور يعشق التلميذ او المعلم القوي العضل الخفيف الحركة القادر على تعاطي انواع اللعب بخفة ومهارة وما ذلك إلا لأنه غير قادر ان يدرك منتجات العقل البشري في العلم والعمران . ولكن حينما تكتمل قواه العقلية يشرع بقدر اعمال اديسن قدرها فينجني باجلال قوة عقله وينظر نظر المعجب المكبر لخلق لتكن العالي . وكم في العالم من رجال ونساء لا تذكر اسماءهم إلا ويرافقها الاجلال والوقار النصيح والارشاد قليلا التأثير اذا كان المربي لا يعيش بحسب الخطط التي يرسمها لتلميذه . قد يستطيع المعلم ان يستهوي تلاميذه لانه رياضي بدني قوي ولكن ليس ذلك بالامر اللازم ولا هو وحده بالكافي اذ لا بد ان يشب الولد عن طوقه فيتحوّل احترامه واعجابه الى القوة العقلية والنفسية فعليك اذا أيها المعلم ان تعلم بأمانة وتعيش بطهارة وعظمة . افعل ما تقول ولا تقول الا كل ما هو حق وعدل وجمال تدرك ضالتك المنشودة بل غاية التهذيب القصوى لان روح عبادة الابطال لا تنمو في الولد بالملاحظة والكلام بل بالتقليد والاقتداء

٥

في هذا الدور يأخذ الولد ولعاً شديداً بالقراءة والمطالعة . فكم من ولد ينتظر بفارغ الصبر



صدور مجلة روائية اعتادها وكم من ولد يقضي الساعات الطوال مكباً على سيرة عنترة او روايات جاك ملتون وجون سنكلر وساكتن بلايك

فيا أيها المربي ! هذه فرصتك الساححة التي اذا فانت فلن تعود . هذا هو بدء مرحلة جديدة من مراحل الحياة اذ يجد الولد نفسه على عتبة عالم جديد حافل بالوجوه الغريبة والاقوال المتناقضة والآراء المتباينة . يرى فيه التشاؤم والتفاؤل ، والظلام محاذياً للنور والسعادة ازاء الشقاء . ويشهد الفضيلة تسير مع الرذيلة جنباً الى جنب والمبادئ السافلة تنازع مُسئلاً الحياة العليا الحياة والبقاء . فابذل جهدك لتعود تلميذك انتخاب الافضل والاعلى والاصلاح لان الولد ابدأاً معرض للسير مع تيار المطابع الجارف فيشتري الروايات الرخيصة الثمن وفيها من الحوادث ما يكفي ميله الطبيعي للحركة والتبجح ولكنها خالية من دروس مطوية في حياة اشخاصها وعبر تتخلل تضاعيف سطورها . على ان هذا لا يوجب علينا ان نعطي التلميذ كتباً علمية فلسفية قد تحدث عكس الاثر الصالح الذي نتوخاه لان مطالعة كتب فوق مقدرة المطالع كالاكل الضخم لمريض ناقه او لطفل لا تزال معدته ضعيفة فينجم عن ذلك ان الولد يفقد اللذة في المطالعة قبل ان يتمكن منه العادة ويكون الضرر بالغاً

\*\*\*

وأرى ان خير الكتب التي يجب ان يطالعها الاولاد سواء الصبيان او البنات في هذه السن نوعان ١ - سير الابطال من رجال وسيدات الذين بلغوا ذرى الشهرة والمجد بمجدهم واجتهادهم ومنابرتهم غير حافلين بما يقف في سبيلهم من المصائب والمشاقل بل تخطوها ناظرين ابدأاً الى المثل الاعلى الذي بلغ امامهم ويبغون الوصول اليه . فتكون مطالعة الولد للحوادث والاعمال التي سارت بهؤلاء على طريق النجاح عاملاً قوياً يبعث فيه حب الاقدام ويدفعه الى الدأب والسعي في سبيل العلى والمجد ٢ - الروايات الادبية الشائقة - يحسب البعض الروايات مجموعة حوادث منسقة ومنمقة تشهوي القارئ بما فيها من الخفايا والالغاز وما توجده من التشويق للاطلاع على اسرارها وخفاياها . والبعض الآخر يضمّن حوادثها وسير اشخاصها مبادئ خلقية رفيعة وعبراً عمرانية ثمينة فتظهر للقارئ نتيجة السير في سبيل الحق والتمسك بالفضيلة . والبعض يجعل فيها حقائق تاريخية قبل عليها القارئ بلذة بين هو يعرض عن بعض التواريخ الجافة . وذلك كله بلغة رشيقة تجمع بين المثانة والناقة والسهولة فتفيد المطالع من حيث الاخلاق والآداب واللغة . ولا يبرح من الذهن ان غايتنا هنا ليست اطلاع الولد على فلسفة الحياة فقط بل تعويده محبة الجمال لان محبة الجمال نور نباض ينبعث من النفس فيرفعها الى الملأ الاعلى ويولجها الى هيكل السعادة الصحيحة . فاروايات الجميلة والقصائد الجميلة والصور الجميلة والتماثيل الجميلة كل هذه ينبوع غبطة فائقة ومصدر فرح عظيم . فعود تلميذك التمتع بكل ما هو جميل سام تضع حجر الزاوية في بنائه الروحي الذي تنشده



## زينة البيت

دخل عظيم من العظماء بيت رجل لا تهتم زوجته بغلاء اثاث بيتها كما تهتم بحال منظره وحسن وضعه ، فدهش مما رآه في ذلك البيت من حسن الزينة والانتظام فان الكراسي والمقاعد كانت متنوعة وموضوعة على اسلوب تراح العين الى رؤيته لا كلاسلوب المتبع في اكثر البيوت الكبيرة، حيث توضع الكراسي والمقاعد بحوانب الجدران صفًا واحداً ينبو عنه الطرف تعباً وملاً بعد ان يراه مرة واحدة . والجدران كانت مغطاة بانواع مختلفة من الصور والرفوف والمزاهر والمراوح منتظمة على اشكال بدیعة لا تشبع العين من النظر اليها ولا تكل ، لانها ترى في كل جانب منها شيئاً جديداً ورسماً بدیعاً بخلاف بعض البيوت الكبيرة التي تغطي جدرانها بالمرایا، والورق الكثير التزويق ، فلا يرى الداخل او الجالس الا صورته ، وغطاً واحداً من التزويق متكرراً الف مرة على الجدار الواحد . والوان الكراسي والمقاعد والبسط والستائر في الغرفة التي دخلها ذلك العظيم مختلفة ولكنها متسقة ومتوافقة ، فليس بينها تنافر ، كالتنافر الذي تحس به العين اذا وقعت على اللون الاخضر محاذياً للون البنفسجي . ومسألة انسجام الوان المنسوجات والاخشاب التي يصنع منها الاثاث سرٌّ من اسرار الذوق الحسن في فرش البيوت

اما زينة البيت فليست شيئاً محدوداً منقطع الاتصال كالاكسام الجامدة، بل هي شيء حي متصل ، يستدعي ان يعتنى به ، ويتعهد بالتغيير والتبديل، كما يتعهد الجسم الحي بالغذاء . فكم من مرة يبني احد الاغنياء بيتاً ويعهد بفرشه الى رجل من مهرة الصنائع فيزوق جدرانه بالذهب والمرایا ويلق السجوف الحريرية على كواه وأبوابه ، ويدسط البسط الثمينة في ارضه ويضع عليها اثن الموائد والمقاعد والكراسي . ثم لا تمضي ايام كثيرة حتى يتجمع الغبار على اطراف المرایا والسجوف ، وتقع الشمس على الاثاث فينفض لون بعضه ، وتلصق الاوساخ ببعض اطرافه ويلحس العث البعض الآخر ، فيذهب رونقه وتزول طلاوته ، واذا كان في البيت خدم وحشم يتعهدونه بالكس والنفض ، فهم غير مكلفين بتغييره وتبديله . فيبقى على صورة واحدة تنقبض النفس من تكرار رؤيتها ، على العين . والميل الآن في زينة البيوت ، الى البساطة قبل كل شيء . ثم الى الراحة . فرب غرفة لا تجد فيها الا مقعداً وكرسيين ومائدة وصورة معلقة على الجدار فتراها مستكملة شروط الجمال والذوق . والمقاعد والكراسي تكون في الغالب مما يريح الجالس لا مما يهره

والبيت الذي فيه ربة حسنة الذوق ، تجعل زينته كالاكسام الحية النامية ، تتعهد وتغير من وضعه وتزيد فيه وتنقص منه بحسب مقتضى الحال . ولكنه يكون في كل حال مراة لشخصيتها . وذلك لا يقتضي نفقة كبيرة ولا عناء شديداً فرب وردة في محلها تشرح الصدر اكثر من مائدة ثمينة في غير محلها



# باب المراسلة والمنظرة

في محور الشعر — لبشر فارس

قرأت في « مقتطف » شهر ديسمبر المنصرم نقداً لديوان « صناجة الرياشي » بقلم الشاعر الاديب حسن كامل الصبري واتفق له ان اخذ على الرياشي افندي سقطات في الوزن فوهم فيها اخذ . وقد بينت ذلك في « مقتطف » يناير الماضي . فرد عليّ يتعنت ويemand في مقتطف « فبراير » في باب « المراسلة والمنظرة » . ومن غريب ما ذهب اليه في الاستدلال انه يرى في شعر الرياشي سقطات في الوزن بدليل ان هناك ابياتاً غير موسيقية . والتحقيق ان الموسيقى شيء والوزن شيء آخر فالوزن فن موضوعي قائم على قواعد مستقرة حالة ان الموسيقى ترجع الى الذوق والمس وكلاهما أمر ذاتي يختلف باختلاف الادراك السماعي . هذا واما قول الاديب الصبري في رده عليّ انني « كان يجدر بي ان اقطع ابيات الرياشي » فما يدخل في باب المسكرة . وكان الاولى به ان ينقاد للحق فيعترف بخطائه ولو فعل لكفي نفسه شر اجابتي هذه . أيقول الشاعر الصبري للناس ليقطعوا ابيات الشعر وهو لا يقيم اوزانه . وحسي ان أثبت هنا ابياتاً مكسورة له . قال في مجلة « أبولو » ص ٨٩ ( اكتوبر ١٩٣٢ )

انت من يا « عازفاً » فوق قلبي اغنيات تسيل من وجداني

انت من يا « ساكباً » فوق روحي ضوء حب يسيل كالطوفان

انت من يا « من يسر » الى النفس بنجوى الارواح من رضوان

وقال في « مقتطف » يناير ١٩٣٢ ( ص ٩٢ ، ٧٣ )

« فأتاحت لك الطبيعة عقلاً عبقرى التفكير صلب المراس »

« فاذا انت لؤلؤة العصر وحق ان يسمى هذا بعصر (توماس) »

« جبت في الارض كالسلام نواحيها وجزت منها بحارها والجبالا »

« يخرس الموت منطق الشمع اغاني ويحجي ما أنت منه سناه »

« فوق جسر الحياة مرت خلائق شتى من عهد بدء الحياة »

« فتناساهم الذاكرون هواناً وتلاشت آثارهم في الغداة »

« كل ما تبغى خلاص وهدى لبني الارض من مغاور الظلمات »

وقال في « مقتطف » يوليو ١٩٣١ ( ص ٤٥ )

« انا انت لكن خبريني خبريني هل اعود الى ربيعي »

« انا انت منتشر الغصون ن مددت ظلي في الحياة »

« لكن يعود اليك يوم تورقين له فهل يأتي ربيعي »

« ويعود ماضيك الجميل ولا اعود الى ربيعي »

فلارتوى (كذا) فيض الدمو ع لعل تنفعني دموعي »

وقال في « مقتطف » اكتوبر ١٩٣٢ ( ص ٣٣٢ )

« فمضى خاشعاً وفي يده المنجل يهترأ اهتزازة هي دعر »

واني والله ليسوفني ان اغمز بصاحبي الاديب الصبري هذه الغزوة ؟ ولكنه طرح نفسه ذلك المطرح وان بدا لي ان ازبد على ما ذكرت حملته على ان يراجع ما قلت في نقدي لديوان الرياشي والله الهادي الى سواء السبيل



# مكتبة المقتطف

كتاب هارون الرشيد

Harun al-Rashid by. H. St. John Philby (Peter Davis, 5 S.)

شيء عن مؤلفه سانت جون فيلي

للغربيين ولع غريب في تفهم شؤون الشرق وتاريخه ، فسوادهم لا يعلم عن الشرق سوى انه مرتع خصب للمؤامرات والمشاجرات والمفاجآت ، وعندهم ان قصة ( الف ليلة وليلة ) فريدة الادب العربي ، يعدونها جوهرة براقعة ، فينسجون من خيوطها التاريخية الوهمية الضعيفة قصصاً وكنياً وتراجهم او هي من خيوط العنكبوت . وتراهم اذا كتبوا عما له مساس بالشرق حلقوا في سماء الخيال والتصور . وظنوا انفسهم في عالم كعالم المريح ، مغلق مستور ، تغطيه حجب كثيفة ، وتفوح منه روائح الند والعود والكافور ! ويظنون اهله يرفلون في حلل الخبز والديباج والحرير . ولعلم حين يكتبون تآليفهم هذه ، يحسبون الشرق ، كما يتخيل مرتادو دور السينما عندنا ، نجوم الشاشة البيضاء وأبطال هوليدو او مدينة نيويورك في الليل ، او مسارح باريس المتلاثلة بالانوار

على اننا ونحن نتناول الكتاب الحديث الذي ألفه الشيخ عبد الله فيلي ، الانكليزي الصميم الذي يعمل في جزيرة العرب لحساب دولته ، او تاجر السيارات في جدة اذا شئت ، لا بد لنا من تعريف القراء بهذا المسلم الانكليزي ، صديق ابن السعود ، وذكر كلمة عنه وعن اعماله في جزيرة العرب وآثاره الادبية وتآليفه عنها . وهل اولى من فيلي ان يؤلف كتاباً عن هارون الرشيد - الشخصية البارزة في قصص الليالي العربية - كما يسميها الانكليز

سانت جون ستوارت فيلي من الرجال الانكليز الذين يتدخلون في كل شيء ، فتراه مسلماً بين المسلمين وانكليزياً في انكلترا ، وهو ضد لورنس الذي يعمل في الظاهر والخفاء ، ومن تعمد عايمهم بريطانيا في المهام الخطيرة لتوطيد نفوذها في الشرق

ولقد كان لبريطانيا ابان الحرب في بلاد العرب ممثلان سياسيان ، الاول (لورنس) C. E. Lawrence ملك العرب غير المتوج ! ومندوب انكلترا عند الهاشميين (شرفاء مكة) . والثاني شخص قوي الشكيمة والعزيمة ذو بشرة سمراء فاحمة وعينين شديقتي الزرقة ، صامت ضنين بالحركات قليل الكلام يشغل سحابة يومه في مكتب على مقربة من مدينة البصرة ، ذلك هو الضابط والموظف السياسي سانت جون ستوارت فيلي مندوب انكلترا لدى الوهابيين ، ولقد شغل قبلاً



مناصب هامة في حكومة الهند فكان من عمالها المعبرين ولكن ما كادت تضع الحرب اوزارها حتى رأينا فيلي ينسحب بانتظام وينزوي في مكان مجهول ، فيختفي عن العيان ذهب في عام ١٩٣٠ احد الصحافيين الفرنسيين<sup>(١)</sup> الى شبه الجزيرة العربية فزار جدة ، واتيحت له محادثة المستر فيلي ، فقص عليه تاجر السيارات (المستر فيلي) ما يلي :

« لقد مضى علي خمس عشرة سنة وانا اعيش في الصحراء ، وانت تعرف انني كنت في اثناء الحرب العالمية موظفاً في العراق ، ولكنهم الحقوني بخدمة ابن السعود وارسلوا (لورنس) لمساعدة فيصل . وانا منذ سنة ١٩٠٨ اشتغل في خدمة حكومة الهند . فلما انتهت الحرب استقلت من عملي ، وكانت لي ثقة عظيمة بابن السعود ، الذي لم يكن له علاقة معنا (الانكليز) ، فربح المعركة واستولى على الحجاز ، ويمكنه الآن ان يؤلف من بلاد العرب دولة عظيمة ، غنية ، قوية ، وسيأخذ بيد البلاد في طريق المدنية شيئاً فشيئاً . وانك ستري في المستقبل مملكة عربية كبرى !

المستر فيلي ولع خاص بالجغرافيا والاكتشاف ، فهو عضو في الجمعية الجغرافية الملوكية ، وهل ثمة فائدة أعظم من هذين العلمين لبريطانيا ؟ « ان قصة اكتشاف بقية بلاد نجد في القرن العشرين يعود الفضل فيه لسانت جون فيلي ، الذي قاد في سنة ١٩١٧ - سنة ١٩١٨ بعثة سياسية الى زعيم الوهابيين في الرياض . . . فقد قطع فيلي الجزيرة العربية من البحر الى البحر ، وهذا عمل لم يقم به قبل فيلي من الاوربيين سوى الكبتن سادلير Capt. Sadlier في ١٨١٩ . واما الطريق الذي سلكه فيلي في رحلته هذه ، فنن الهفوف فالرياض الى الطائف<sup>(٢)</sup> « ويعود الفضل في معرفتنا البلاد العربية وخصوصاً الواحات والمدن المحصنة (الحماية) في داخلية البلاد الى السير جون فيلي الذي فُصل ذلك في كتابه (قلب البلاد العربية) في سنة ١٩٢٢ The Heart of Arabia . وقد جاء عمله هذا متمماً للكتاب الذي وضعه الرحالة المشهور (دوتي)<sup>(٣)</sup> عن الجزيرة العربية وسماه Arabia Deserta<sup>(٤)</sup>

وما عدا هذا ففيما كتب له فيما يكتبه عن الشرق وخصوصاً عن البلاد العربية مقام كبير عند الغربيين . وله من المقالات في الطبعة الاخيرة من دائرة المعارف البريطانية المباحث الاتية : بلاد العرب ، شرقي الاردن ، جرتود بل (الرحالة الانكليزية) ابن سعود ، وغير ذلك . واما كتبه التي تبحث عن العرب وبلادهم فهي : قلب البلاد العربية The Heart of Arabia ، الانتدابات العربية Arabian Mandates الحقيقة عن بلاد العرب The Truth about Arabia . وله كتاب آخر ظهر في

(١) انظر في مجلة (Vu) الافرنسية مقال La Guerre en Masque Noir. II. — Diner Chez le "Faiseur Je Rois" par Xavier de Hanteclouque. Vu No. 135 p 1060—1062, 15 Oct. 1930

(٢) دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة ، المجلد الثاني ص (١٧٢) مادة (بلاد العرب) . لا تنس ايها القارئ ان كاتب هذا المقال في المعلمة البريطانية هو فيلي نفسه !

(٣) Charles Montagu D. Doughty : كاتب ورحالة انكليزي مشهور (١٨٤٣ - ١٩٢٦)

(٤) دائرة المعارف البريطانية : Encyclopaedia Britannica 14 th ed. vol 2. p. (528)



السنة الماضية عن الربع الخالي The Empty Quarter ، عقب رحلته الأخيرة في صحراء دهننا  
 اما الكتاب الذي نحن بصدد (١) فقد وضعه المؤلف في شباط (فبراير) سنة ١٩٣٣ عن مكة  
 المكرمة — عاصمة المسلمين المقدسة — بدىء بطبعه في حزيران (يونيو) وانتهى منه في آب  
 (اغسطس) ١٩٣٣. وقدمه مؤلفه الى ثاني بناته Dora المولودة في بغداد سنة ١٩٢١ بابيات (حظان  
 ابن المعلى (٢) القائل : —

لَوْ لَا بُنَيَّاتُ كَزُغْبِ الْقَطَا رُدِدْنَ مِنْ بَعْضِ إِلَى بَعْضِ  
 لَسَكَانَ لِي مُضْطَرَّبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ  
 وترجمها فيلي الى اللغة الانكليزية كما يأتي :

But for my little girls, like chicks  
 Of sand-grouse huddled side by side,  
 I would wander freely, roaming  
 Over the earth so far and wide.

والكتاب مقدمة صغيرة تقع في ست صفحات يشير فيها المؤلف الى الكتب استعان بها من  
 عربية وافرنجية ، ومن الكتب العربية الحديثة (عصر المأمون) للدكتور احمد فريد رفاعي ، ثم  
 يشكر المؤلف لزوجته مساعدتها اياه في عمل الفهرس واملائه عليها فصول الكتاب . والكتاب سنة  
 فصول وفهرس ، وصفحاته (١٥٩) بقطع وسط

حلب : (سورية) فؤاد عينتاني

### روبنصن كروزو

من سلسلة قصص الاطفال — وضع كامل كيلاني — طبع بمطبعة المعارف بمصر

قال روسو في هذا الكتاب ، «هو عندي اثنان ذخري في التربية الاستقلالية الطبيعية ، وسيكون  
 اول كتاب يقرؤه طفلي اميل» . وليس بعد هذه الشهادة شهادة في كتاب . وقصة روبنصن كروزو  
 من اشهر القصص العالمية . ولما تجدفتي او فتاة ممن يتكلمون الانكليزية لم يقرأها فهي قصة مغامرة  
 اخاذة ، تنبه في الصغار حب الاستطلاع ، وتعودهم الدأب وتنشئهم على الحياة الاستقلالية . فخرج  
 موجز لها ، بقلم كامل كيلاني السليس السليم ، وطبعها ذلك الطبع النظيف الواضح المتقن الذي  
 اشتهرت به مطبعة المعارف ، وتحليتها بالصور الكثيرة ، ذخر جديد ، يضم الى مكتبة الاطفال العربية



## المجموعة الطبية الصغرى

وضع طائر ارمانوس الاجزاجي

لا ادري لاي سبب يطلب مني نقد مؤلفات اصدقائي القدماء ولا سيما اذا وضعوا صورتهم وعمرهم في اول الكتاب فهذه الدقة في الصدق ان وافقتهم فانها لا توافق غيرهم ولا ادري كيف انقل منها الا في قولي انه عند ما اجتمعنا في الجيش المصري كان هو برتبة يوزباشي قديم وكنت ملازماً حدثاً جديداً ولنترك البحث في الاعمار ونأثر من المؤلف في نقد الكتاب فأقول

هو كتاب صغير الحجم كبير الفائدة اورد فيه مؤلفه نحو اربع مائة نوع من النبات شرحها شرحاً طبياً موجزاً لفائدة جمهور القراء ورتبها على حروف المعجم وذكر امام كل نبات اسمه اللاتيني والفرنسي والانكليزي وذكر فصيلته بالعربية او الافرنجية وتجنب الاكثار من ذكر المترادفات الكثيرة لكي يسهل على القارئ اختيار الاسم الصحيح

وانه يتعذر عليّ نقد هذا الكتاب الجليل الفائدة ما لم اورد منه بعض الامثلة . قال في مادة اهلبيج . هو من الفصيلة الآسية ثم ذكر اسماءه باللاتينية والفرنسية والانكليزية وقال هو لفظ هندي يطلق على عدة اثمار زيتونية الشكل ذات خواص قابضة ملينة معدية كما انها اشتهرت علاجاً في تقرحات اللثة وعلساً . ثم ذكر انواعه وهي الاهليلج الاصفر والاهليلج الصيني ويعرف بالبلبيج والاهليلج الكابلي والاهليلج الهندي وهو الهندي شعيري . وقال في الامليج انه ليس بالاهليلج وليس من فصيلته

ولا يخفى ان الاهليلج خلاف الزقوم لان الزقوم من فصيلة غيره والعرب ظنوا الزقوم نوعاً من الاهليلج فينبغي التفريق بين الزقوم والاهليلج فالزقوم يعرف في السودان بالهلبيج والهلبيج وما تحريف اهلبيج لكنه ليس بالاهليلج كما ظن بعض الكتاب

وقال في الزمان هو من الفصيلة الآسية ثم ذكر اسمه اللاتيني والفرنسي والانكليزي وذكر خواصه وذكر ان جذره يعرف بالمغات والحقيقة ان المغاث جذر نبات آخر على ما حققه اديب في مقتطف فبراير سنة ١٩٢٥

وذكر صحة اسماء السليخة والدراسيني والقرفة اي انه فرق بينها وذكر صحة الاسم العلمي والعربي فافشرا كذلك صحة الاسم العلمي للبخازي والخطمي وغير ذلك من صحة الاسماء العلمية والعربية لكثير من انواع النبات وكنت اود لو فرق بين العامي والفصيح في بعض الاسماء فأشار الى العامي باشارة خاصة ولكن هذا الكتاب للجمهور والغاية منه ان تفهمه القراء

وما يؤخذ على المؤلف اغفاله فهرساً يذكر فيه الالفاظ الافرنجية لسهولة المراجعة



## النبوع

## نظم الدكتور احمد زكي ابي شادي

في اواسط القرن الرابع بدأ الشعر العربي ينزل درجات ، وكان في سقوطه يتحسن بأثواب من جمال اللفظ يوارى بها سواته ويستتر عرّره وكان الشعراء يعملون في استخراج انواع من البديع والاستعارة والمجاز والاشارة واستوفوا بذلك غاية بعيدة في تركيب الالفاظ وترتيب الكلام وبقي الشعر يسفل بعد ذلك حتى نجحت في القرن الماضي طائفة من الشعراء ردت اليه شبابه ، وأعدت عليه جدته . إلا أن هذا الشعر لم يكن بالذي يرضي هذا الجيل الحاضر من الادباء ، فخرج عليه جماعة ممن تنقفوا بأداب الاعاجم من دول اوربا فبدأت هذه الجماعة تبتدع لنفسها طريقة في الشعر وذلك بجادة المعاني وتحسينها وتحقيقها والتوسع في النظر الى اوائلها وأواخرها وتابعها ومتبوعها وعلاقتها بالنفس وآثارها في القلب الى غير ذلك من الاغراض . ثم ترى بعضهم قد أهمل اللفظ واستجاده واختياره ، ولم يلقوا بالآ الى الصيغ العربية التي لا يفهم الكلام إلا بها ، ولا ينعقد المعنى إلا عليها . وأغلب الظن أنهم يظنون ان هذه العبارة التي ينشئونها تؤدي المعنى الذي ارادوه ، فيلقون بها دون روية او تثبت ، فاذا جاء القارئ ليفهم الكلام على عربيته لم يخرج بشيء ولا يجدي عليه إلا أن يتوهم مراد الشاعر توهماً . غير ان الحقيقة التي لا ينكرها احد ان كثيراً من هؤلاء الشعراء قد انطوت اشعارهم على كثير من جليل المعاني ولكنهم افسدوها بضعفهم في البيان وقلة عنايتهم بالاساليب العربية الجميلة التي يطابقون بها بين المعنى الذي ارادوه والصور التي تنشئها هذه الاساليب في ذهن القارئ البصير . ونحن لا نرى للشعر معنى إلا بهذه المطابقة بين المعنى المراد والاسلوب المتخذ اداة للتعبير عنه ، وإلا فإن المعاني الشعرية لا تزال قائمة في انفس الشعراء من اول عهد الانسانية الى هذا اليوم ، ولا يتقدم شاعر على شاعر اذا تساوا في المعاني ، إلا بالبصيرة البيانية النافذة التي تقع به على الالفاظ والاساليب التي تطابق المعاني القائمة في نفسه

هذه كلمة موجزة أردنا ان تقدم بها لذكرك ديوان صديقنا (الدكتور احمد زكي ابي شادي) الذي سماه (النبوع) ورأي في شعر أبي شادي أنه جيد المعاني ، وربما أراد هذا الشاعر معنى جليلاً ولكنه لا يأخذ نفسه بالمطابقة بين المعنى الذي أراده والاسلوب الذي يعرضه فيه ، وهو يعلم ذلك في شعره فيحتاج له ويدافع عنه ولعلّ الرافعي اراد ذلك حين قال في كلمة سمعتها منه ان أبا شادي (مبتدع طريقة) . وذلك ان أبا شادي قد صار في شعره على وحي الخاطر (كما يقولون) دون التنقيح والتصفية والاختيار وجعل هذا مذهباً من المذاهب التي يسلكها الشعراء . وأنا لا أفتات على الرافعي في مراده من هذا الوصف . ولكن ذكرته كما سمعته فان أخطأت في تأويلي فذلك من قبلي لا من قبله

هذا وقد قرأت ديوان أبي شادي الجديد فوجدت فيه نفسه بنشاطها ، وقلبه بشبابه ، وعقله



بتوثيقه ، وعلمه بتنوعه ، فهو أكثر شعرائنا استخراجاً للمعاني ولاغراض المعاني . وانت اذا أخذت احد دواوينه أعجبك من شأنه هذا التنوع في الاغراض التي يرمي اليها بشعره ، وهو في هذا كثير المعاني الجيدة وقد تقع له الالفاظ العالية والتراكيب القوية مما يدلنا على انه لو توفّر على الاخذ بأساليب لغته لأخرج لنا في الادب العربي أدباً باقياً قوياً ناضراً جميل الظاهر والباطن ويجدر بنا هنا ان ننقل كلمة للجرجاني في الوساطة فهو يقول عن نظم الشعر ونقده « وملاك الامر في هذا الباب خاصة ، ترك التكلف ، ورفض التعمّل ، والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه ، والعنف به ، ولست أعني بهذا كل طبع ، بل المذهب الذي قد صقله الادب ، وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة ، وألهم الفصل بين الرديء والجيد ، وتصور أمثلة الحسن والقيبح » . فهذه الكلمة نسوقها الى الشعراء فان الشعر اذا كان متكلفاً في استجداء اللفظ واختيار المعاني لم يكن شيئاً ، وخير الشعر هو المرسل على سجية الآتي من طبع ، ولكن شرط الطبع والسجية هو هذا الذي قاله الجرجاني في كلمته ، ولو اجتمع هذا الشعرائنا لكان لنا من شعرهم فن تستروح له القلوب وترف عليه الأرواح

\*\*\*

### تقويم التعليم

وضعه أحمد عطية الله — أخرجته دار الهلال

احسن المؤلف ايّما احسان بوضعه هذا التقويم . واحسنت كذلك دار الهلال باخراجه في الشكل الانيق الذي اسبغته عليه . كل ما يهتمك من شؤون التعليم المصري ، في درجاته المتعددة من رياض الاطفال الى الجامعة ، وفي نواحيه المختلفة من مدارس صناعية وفنية وبعوث للشبان وللشابات رسل الى اوربا الى تعليم العميان وتقارير الخبراء الاجانب الذين جاءوا مصر بدعوة وزارة المعارف لينظروا في خطتها التعليمية والمنهج المختار للدراسة ، كل ذلك تجده موجزاً ايجازاً حسناً في فصول التقويم ومزيناً بصور مختارة ، لرجال التعليم وسيداته وحفلاته ومبانيه واعضاء البعوث وما اشبه وقد احسن المؤلف بوضع يومية لشؤون التعليم المصري ، عن سنة ١٩٣٣ ، فذكر اهم الحوادث التي حدثت خلال تلك السنة شهراً شهراً ، بحسب تواريخها ، وفي اول مارس سنة ١٩٣٣ مثلاً انتخب الدكتور منصور فهمي عميداً لكلية الآداب وفي ٧ ابريل قررت مصلحة سكة الحديد افتتاح مدرسة التفارغ فتقدّم الى الانتظام فيها ٧٢٠ طالباً وفي ٢٤ اغسطس وصات بعثة الكشف المصرية الى بودابست وقوبلت بحفاوة بالغة وفي ١١ نوفمبر انشأت مصلحة التجارة والصناعة معهداً للزجاج الخ فالكتاب يسد فراغاً كبيراً في عالم التقاويم ، وحبذا لو تمكن المؤلف من موالاة اصداره ، مرة كل سنة او مرة كل سنتين ، مراعيّاً في فصوله ما جدّ في نواحي التعليم المصري



## مبادئ الزراعة العامة

تأليف جعفر خياط خريج جامعة كاليفورنيا ومدرس الزراعة في دار المعلمين ببغداد

طبع بمطبعة الكرخ البغدادية ٤٥٤ صفحة بالقطع الكامل

يحتوي هذا الكتاب على تسعة فصول في مبادئ النبات والاقتصاد الزراعي والبحاث في التربة واصنافها وخصوبتها والاسمدة بانواعها واجراءات فلاحه الارض ووسائلها . والدورة الزراعية أو نظام التعاقب الزراعي والفلاحة اليابسة أو الزراعة البعلية على المطر، والري والصرف وملوحة الارض وغسلها وطرق تكثير النبات بالبزور والتطعيم والتجزئة وغيرها والمنتجات الزراعية من محاصيل الحقول (الغيطان) كانت أو من ثمار البساتين وزهورها وخضرواتها والصناعات الزراعية كصناعة حفظ الماء كولات والمربيات والمخللات وغيرها وصناعة الحرير بنوعيه الطبيعي والصناعي والآلات الزراعية من حشرات وامراض وعوارض جوية وتربية الحيوانات والدواجن — والمروج (ارض المراعي) واخيراً قائمة الاصطلاحات العلمية الواردة في الكتاب

وقد اعجبنا قول المؤلف في مقدمة مؤلفه ان الزراعي الحديث هو الرجل المتعلم الذي يستطيع العمل والاستفادة بمعارفه وتجاربه ومشاهداته في ادارة المزارع وتكييفها بحسب ظروفه الخاصة ويذكرنا هذا القول بقول امير المؤمنين علي : من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم

ان العراق قطار زراعي خصب قامت بزراعته دول اخرى سادت الدنيا حيناً من الدهر ولا يزال فلاحوه او ما ابقت المظالم منهم يستغلون ارضه او بعضها بما توارثوه عن اسلافهم من المعارف الزراعية فهذه المعارف او عرف هؤلاء الفلاحين يجب جمعه وتهذيبه وجعله اساساً يبني عليه الزراعي الحديث ما يهتدي اليه بعلمه وتجاربه او بعبارة اخرى يجب البدء من الاساس وهو عمل الفلاح فنجمعه ونهذبهُ مما يغشيه من الابهام والاهام ثم نزيد عليه ما نهتدي اليه بتجاربنا واجاثنا وهذا ما اقترحه الآن على زعماء العراق واساتذته كما اقترحتهُ قبل في مصرنا على صفحات المقتطف والمقطع ولا شبهة في ان نشر هذا الكتاب يساعد النهضة الزراعية العراقية بل لا بد لها من امثاله (لبناء صرح العراق الاقتصادي الذي لا يقوم الاً على الزراعة) كما يقول مؤلفه وزجو معه ان يكون اول حلقة من سلسلة كتب اخرى زراعية باللغة العربية

ونود خدمة هذه اللغة وتدوين الفلاحة تدويناً يسهل تناولها ان يستعمل اساتذتنا الزراعيون المعاصرون ما استعمله اسلافهم الاقدمون من الالفاظ والتعابير في مؤلفاتهم وان يعتنوا بجمع الالفاظ والتعابير الفنية التي يتداولونها في عرفهم الزراعي ويستعملونها فان علماء اوربا — الذين نفتديهم — يفتخرون بمثل ذلك كما قال لي المرحوم فقيده العلم في الشرق الدكتور صرّوف رحمه الله وكذلك كان مذهب الجاحظ عالم العربية واديبها الاكبر في ازهى عصورها احمد الانبي



## تاريخ الوزارات العراقية

سفر نفيس ممتع وضعه عبد الرزاق الحسيني من ادباء العراق ومشاهير كتابه ضم بين دفتيه التاريخ السياسي للدولة العراقية من ابتداء نشأتها حتى قيام الوزارة العسكرية الثانية في سنة ١٩٢٦ فهو يورد اسماء اعضاء كل وزارة وبرامجها والظروف التي احاطت بتأليفها وانسحابها واعمالها والمعاهدات التي عقدتها مع رسم شمسي لرجالها وذلك بأسلوب سهل وبعبارة خالية من التحيز والتشيع ويقع هذا الكتاب في ٢٣٠ صفحة بالقطع الكبير وهو مطبوع طبعاً متقناً على ورق صقيل في مطبعة العرفان بصيدا وقد اهداه مؤلفه الى جلالة الملك غازي كما وضع له الاستاذ الكبير محمد رضا الشبيبي وزير المعارف الاسبق في العراق مقدمة نفيسة اطرى فيها جهود المؤلف ونشاطه

والكتاب مفتوح بالكلام عن الوزارة النقيبىة الاولى وقد تم في عهدها انشاء الدولة العراقية وتوليح جلالة الملك فيصل ملكاً عليها وقد استوفى البحث على تاريخ هذه الحقبة الخطيرة من تاريخ العراق واورد الوثائق السياسية الخاصة به ثم اتبعه بكلام عن الوزارة النقيبىة الثانية فالثالثة فالوزارة السعدونية الاولى فالوزارة الهاشمية فالوزارة السعدونية الثانية فجاء كتابه مستوفياً من جميع الوجوه لا يستغنى عنه كل مشغل بالسياسة العربية والشرقية

وقد وعد المؤلف باصدار مجلد آخر يحتوي على تاريخ الوزارات التي تألفت من الوزارة العسكرية الثانية حتى اليوم ولعله يبر بوعده قريباً فالحاجة شديدة الى مثل كتابه . وثمة ٢٥ قرشاً صاغاً مصرى

٠.١ س.

## حكيم البيت

الدكتور ابراهيم ناجي نطاسي بارع وشاعر مثقف رقيق وهو من الادباء الذين يتلاقى فيهم جانب الفن وجانب العلم وان كان الشعر أظهر ما عرف به عند الخاصة . ومن محاسن الاتفاق ان يتفق ظهور غيره بالشاعرية مثله ممن يحترفون الطب او الهندسة او غيرها في جيل واحد وبلد واحد . والدكتور ناجي واسع الاطلاع في آداب الفرنجة وأديب جم النشاط حتى ليحملك ما تشاهده فيه من الحركة المستمرة والدأب المتواصل على ان تفكر قليلاً في الوقت الذي يتسع لمثل هذا المجهود الموزع بين الطب والشعر

وقد أراد ان يجمع بينهما في صعيد واحد فأنشأ مجلة « حكيم البيت » وهي مجلة أدبية صحية لا تستغني عنها ربّة البيت المثقفة فن ابوابها باب « اطباؤنا في المرأة » وهي صور قلمية بليغة لاطباء مصر الممتازين وباب صحة الطفل وباب « دائرة معارف العلاج » وباب « التغذية » وغير ذلك من شؤون الصحة والعلاج . وفي آخر كل عدد قصة ، تقرب بعض المباحث الطبية المفيدة بأسلوب لغوي القراء بالمطالعة



## البريد في مصر

من حيث انتظامه مقياساً لمدينة الشعوب ١٠٠٠  
ثم بيان موجز يحتوي على ما لصاحب  
الجلالة الملك من الفضل على ارتقاء مصلحة  
البريد المصرية في العهد الحديث كأنشاء حساب  
الامانات ، ونظام البريد المستعجل ، والبريد  
الجوي وما الى ذلك

\*\*\*

اما الفصل الذي جعل  
عنوانه الكتابة والرسالة  
والورق فبحث علمي  
تاريخي نفيس ، قد نقله  
الى قراء « المقتطف » في  
عدد نال  
وتجنيء بعد ذلك  
فصول موجزة ، ولكنها  
بليغة في تتبع ارتقاء  
البريد المصري من اقدم  
العصور الى الآن ، فتمه  
فصل لعصر الفراغة وآخر  
للبطالة ، فأخر للعصر  
الروماني وهكذا

وفي الصفحة ٦١ يبدأ فصل ممتع في طوابع  
البريد بوجه عام وطوابع البريد المصري بوجه  
خاص وكيف تصنع  
وحبذا الحال لو كان الكلام على صنعها  
أوفى مما هو

وضعت مصلحة البريد المصرية ، كتاباً  
انيقاً كل الاناقة ، مفيداً كل الفائدة ، في تاريخ  
البريد في مصر ، وارتقائه من اقدم العصور الى  
العهد الحاضر . وطبع هذا الكتاب على ورق  
فاخر مصقول في المطبعة الاميرية ، وزين بصورة

ملونة لحضرة صاحب  
الجلالة الملك فؤاد وصور  
اخرى لكبار الاسرة  
العلوية ، ومديري مصلحة  
البريد المصرية ، وبعض  
مبانيها ، ثم رسوم بيانية  
ملونة تبين ارتقاء اعمال  
البريد في مصر كما استوضح  
من الاحصاءات الرسمية  
وقد جاء في مقدمة  
الكتاب « البريد نظام  
يتصل اتصالاً وثيقاً بنظام  
الدولة ومدنية الشعوب  
فلا تكاد توجد هيئة  
اجتماعية وتقوم حكومة  
وتنظم وسائل المواصلات

لنقل الذخيرة والمؤن وجباية الضرائب  
والهيمنة على شؤون الدولة ، حتى يصبح  
البريد ضرورياً لنقل اوامر الملك وتسهيل  
اعمال الحكومة ، وتمكين العلاقات بين  
الجماعات والافراد . ولقد يجوز ان نعتبر البريد

## مطبوعات جبريرة

\*\*\*

النثر الفني في القرن الرابع  
للدكتور زكي مبارك

التجديد في الادب الانكليزي الحديث  
لسلامه مومي

تاريخ الصحافة العربية  
للفيكونت فيليب ده طرازي

رحلة الصيف  
للاستاذ توفيق الحكيم

ابو علي عامل ارتست  
لمحمود تيمور بك

حواء بلا آدم  
لمحمود طاهر لاشين



# بَابُ الْاِخْتِلَافِ الْعِلْمِيَّةِ

ارنست هيكل

Ernst Haeckel

فاقتنع بصحته وصار اول أنصار مذهب النشوء في المانيا حتى قال دارون ان مذهب النشوء انتشر فيها بهمة هيكل وغيرته وبحنه . ولما نشر هيكل كتابه في ابناءة الاحياء Morphology سنة ١٨٦٦ قال الاستاذ هكسلي انه طبق مذهب النشوء على نتائجهِ وانه سيبقى أثراً في تاريخ علم البيولوجيا في القرن التاسع عشر . وكانت عبارة الكتاب علمية عويصة فسطها حتى لا يبقى فهمه مقصوراً على الخاصة بل يتناول العامة وطبعه ثانية باسم تاريخ الخلق الطبيعي فراج اي رواج وقد بين فيه ان الفرد يمر في نموه على الاطوار التي مر عليها نوعه في ادوار ارتقائه وقسم الحيوانات الى ذوات الخلية الواحدة (بروتوزوى) وذوات الخلايا الكثيرة (متازوى) فالاولى تبقى كما هي واما الثانية فتبتدىء بخلية واحدة ثم تتعدّد خلاياها بالانقسام

وهو أول من حاول رسم سلسلة الحيوانات او شجرتها التي يبين فيها علاقة انواعها بعضها ببعض وردّها كلها الى اصل واحد كما تردّ افراد القبيلة الواحدة الى جد واحد . وجمع خلاصة بحثه في هذا الموضوع في المقالة التي تلاها في مؤتمر علم الحيوان الذي عقد بكمبردج سنة ١٨٩٨

احتفل في ١٦ فبراير الماضي بانقضاء مائة سنة على ولادة ارنست هيكل العالم الالماني ، الذي كان يعدّ في الطبقة الاولى من علماء البيولوجيا . ولد في بوتسدام في ١٦ فبراير سنة ١٨٣٤ ودرس العلوم الطبية في فريزبرج وبرلين وثبنا على ملر وفركو وكوليكور وغيرهم من اكبر علماء المانيا ونال دبلوم الطب والجراحة سنة ١٨٥٧ وتعاطى صناعة الطب في برلين جرياً على رغبة أبيه لا على رغبته لانه كان يحب الانقطاع العلم والتعليم . ثم اختير استاذاً لتشرّح المقابلة في مدرسة يانا (Jena) الجامعة ومديراً لمدرسة علم الحيوان فيها . وانشئت له استاذية لتعليم علم الحيوان فأقام فيها استاذاً لهذا العلم ودعي لمناصب اعلى في ستراسبرج وفيينا فلم ينتقل اليها وجعل يانا مقراً لم يخرج منها الا للسياحة والبحث عن الامثلة الطبيعية . وآلف في وصف طوائف الحيوان على اختلاف اجناسها وانواعها كتباً شتى تعدّ في الطبقة الاولى بين الكتب التي من نوعها . واكتشف انواعاً كثيرة من الحيوانات وبحث البحث المدقق في علم البيولوجيا . واتفق أن نشر دارون كتابه اصل الانواع وهيكل مشغول بالمواضيع البيولوجية فكان له أثر شديد في نفسه



## التطور والحرارة

يتأخص مذهب التطور، في ان الاحياء تتحول وتتطور، فتنشأ من تحولها وتطورها انواع جديدة من الحيوان والنبات. حدث ذلك في الماضي. ولا يزال يحدث الآن ولولم تسهل مشاهدته لان، فعل التطور بطيء كل البطء. فهذا المذهب في عرف جميع علماء الحياة الذين توفروا على درس الموضوع ولهم آراء يؤبه لها فيه حقيقة لا مرأى فيها، والادلة التي توجب عليهم هذا القول تستمد من علمي التشريح وتشرح المقابلة وعلم الآثار المتحجرة وعلم وظائف الاعضاء وعلوم النفس والكيمياء وغيرها

وركنا التطور، ها الوراثة والتحول الفجائي. فالاول يكفل استمرار النوع والصفات الخاصة التي يتصف بها، والثاني يحدث التغير الذي يكفل تنوع الاحياء وارتقاءها بظهور صفات جديدة فيها تجعل صاحبها اصلح للفوز في معترك الحياة

وقد كننا الى عهد قريب، نعتقد ان التحول الفجائي، في الكائن الحي، لا سيطرة لنا عليه فهو من الطبيعة، لا يسرعه ولا يعمقه رد شديد او حر شديد او ما اليهما من الفواعل الطبيعية. ولكن الاستاذ مبلر الاميري، من جامعة تكساس، اكتشف من عهد قريب، ان الاشعة السينية، لها تأثير قوي، في مادة الخلية الحية، فتزيد ظهور التحولات الفجائية فيها، والحيوان الذي يفضل لمثل هذه المباحث

واستقصى فيها تسلسل نوع الانساب الى ست وعشرين حلقة من المخلوقات من حي لا بناء الله كالمونيرا الموجودة الآن الى حي ذي حويصلة واحدة كالبروتستا الى الاحياء الكثيرة التراكيب الى الانسان القديم الذي وجد بعض عظامه في جزيرة جاوى سنة ١٨٩٤ وهو في رأيه الحلقة المتوسطة بين الانسان الحالي وأعلى طوائف الحيوان ولم يكثف بدرس مذهب النشوء وتطبيقه على كل انواع الحيوان بل حاول تطبيقه على القضايا الفلسفية والدينية ونشر كتابا في ذلك سماه «أحجية الكون» لكنه تطرّف فيه كثيراً وذهب الى وحدة الخلق الآلي وغير الآلي معاً زاعماً ان خواص الكربون الكيماوية والطبيعية في مركباته الشبيهة بالالبومين هي العلة الوحيدة للحركات التي تميز المواد الآلية من غير الآلية وان الحياة تولدت في المواد الكربونية النتروجينية بفعل ذاتي وان الافعال العقلية من نوع الافعال الفسيولوجية اي انها من خواص المادة الحية فهي موجودة بالقوة في كل خلية حية. وما الافعال العقلية سوى مجموع تلك الافعال المستقرة في الخلايا الاصلية وكما نشأت الحيوانات العليا من الحيوانات الدنيا نشأت اسمى القوى العقلية من القوة الموجودة في الخلايا الاصلية. وانكر خلود النفس وحرية الارادة ووجود الله مستقل بدانه عن المادة ولا يخفى انه قلما لقي من وافقه على النتائج التي استنتجها من مذهبه الاخير بل قلما لقي من وافقه على المذهب نفسه. ولا ندري كيف كان اعتقاده حينما دنت ساعة الموت ولا كيف تكون آداب البشر اذا انكروا خلود النفس



ان يحيط بجانب من معانيه يمكنه من فهم المراد به حين ذكره

فمن الالفاظ الجديدة التي تعودناها الآن ، في عالم الصحة والتغذية لفظ « الفيتامين » . ولا حاجة بنا هنا الى تفسير معناه . ثم هناك لفظة اخرى يجب ان نفهم مدلولها ، ونتعود استعمالها ، لانها ولا ريب ، سوف يكون لها اكبر مقام في علم وظائف الاعضاء ، وما ارتبط منه بعلم النفس — هذه هي لفظة الهرمون وجمعها هرمونات . اللفظة كما ذكرناها معربة ، ونفضل لها هذا التعريب ، لانها ليست ثقيلة على سمعنا ، ولانها تدل على شيء معين أصبح متحيزاً في عالم الفكر الغربي

والهرمون ، افراز داخلي تفرزه بعض الغدد ، مباشرة الى الدم ، من دون ان تفرزه عن طريق قناة . وهذه الغدد التي تفرز كذلك ، تعرف بالغدد الصم . ومن الغدد ماله قناة ولكنه مع ذلك يفرز هرموناً او اكثر . ومن هذه الغدد التي تفرز هرمونات ولها اثر كبير في حالة الانسان العصبية والنفسية الغدة الدرقية وهي فسان على جانبي القصبة تحت الحنجرة . فالتصميم والاقدام والحزم في اشخاص كنيابوليون ، صفات مردها الى هرمون هذه الغدة . وكذلك حالة التوتر العصبي الشديد ، في اشخاص كايفان الرهيب الملك الروسي البطاش . يقابل ذلك ان المصابين بالبلادة العقلية والروحية او بالبله ، يرتد سبب اصابتهم الى نقص في هرمون هذه الغدة . فالبله الذين يحقنون بخلصة هذه الغدة ، يشرق نور الذكاء في عيونهم

حشرة تعرف بذبابة الدروسوفيل ، او بذبابة الفاكهة . فانه لما عرض هذا الذباب للاشعة السينية زاد متوسط التحولات الفجائية التي تظهر فيه ، زيادة فاحشة . ثم ايد علماء آخرون مباحثه هذه ، فأثبتوا ان للاشعة السينية ، وما هو من قبيلها مما ينطلق من الصخور المشعة يؤثر في ذباب الفاكهة هذا التأثير العجيب

بيد اننا اطلعنا حديثاً في مجلة اميركية صادرة في اواخر يناير سنة ١٩٣٤ ان الاستاذ هارولد بولو وفيليب ايثس قدما تقريراً الى جمعية الوراثة الاميركية ، وصفا فيه عدة تجارب جربها بذباب الفاكهة المذكورة فثبت لهما ان تعريضه لحرارة عالية ، مدداً قصيرة يزيد متوسط التحولات الفجائية التي تحدث فيه ، وهذا يؤيد النتائج التي وصل اليها الباحث الالماني الدكتور جولدشمث . ويقال ان نسبة ظهور التحولات الفجائية بعد تعريض هذه الحشرات للحرارة الى عدد ما كان يحدث فيها عادة كنسبة ٥ الى واحد فاذا صح هذا القول فقد كشف الانسان عن طريقة أخرى يتحكم بواسطتها في المادة الحية

### القلب والغدة الدرقية

على السائر مع اخوانه في موكب العمران العظيم تبعات عقلية لا يستطيع ان يهملها من دون ان يتخلف عن اخوانه . ومن هذه التبعات العقلية فهمه لبعض الالفاظ الجديدة التي يصح ان يكون كل لفظ منها عنواناً لفصل قائم بذاته من تقدم العلم . وليس المراد ان يتعمق في كل ما ينطوي عليه مدلول هذه اللفظة ، بل



بلومجارت ان يزيل الغدة الدرقية كاملة وفي ديسمبر سنة ١٩٣٣ عمل الدكتور برلين مساعد بلومجارت اول عملية من هذا القبيل لرجل مصاب بعلة مزمنة من علل القلب ، وكان عاملاً قد قضى ثلاث سنوات اكثرها في الفراش ، فاصبح قادراً أن يرتزق

ولكننا قلنا ان الذين ينقص فيهم هرمون الغدة الدرقية عن المتوسط الطبيعى ينشأون بلاء او بلهاً ، أفلا يقع لهؤلاء المرضى ، الذين تزال غددهم الدرقية كاملة ضعف في عقولهم وبلادة ؟ والرد على ذلك ان الحقن بخلاصة الغدة الدرقية وبمقادير معينة ، يكفي للتنبية العقلي من دون ان تنقل وطأة العمل على القلب . هذا هو المخرج الطبيعى من المأزق ، على ان الدكتور بلومجارت يحذر من اجراء هذه العملية الا بعد الفحص الدقيق والتثبت من وجوبها

### تجفيف النبات وحفظ الفيتامين

يستحسن تجفيف النبات — من خضراوات وثمار وما اليها — لاسباب متنوعة تتعلق بالحالة الاقتصادية من جهة وبالحالة الاقليمية او الجوية من جهة اخرى . بيد ان هذا التجفيف اصبح لا يرضي كثيراً من الناس ، لانهم يعتقدون ان الخضراوات اذا جفّت فقدت ما فيها من الفيتامين . غير ان الاستاذ تشارلز توماس والمستر لبرتون فروين من جامعة كولومبيا الاميركية ، حلاً على ما يقال هذه المعضلة العلمية الصناعية ، اذ استنبطوا طريقة لتجفيف الخضراوات من دون ان تفقد ما فيها من الفيتامين . ففي الطرق القديمة

ولا يخفى ان الجسم ، في نظر علماء وظائف الاعضاء آلة . والظاهر ان الغدة الدرقية ، هي بمثابة الصمام ، الذي يعين سرعة سير الآلة او بطأه . ففي بعض الحوادث التي يصاب بها اصحابها باحتقان القلب ، او بالذبحة القلبية ، يرجح ان الصمام مفتوح على مدهاء ، والآلة سائرة باسرع ما تستطيع ، فاذا حدث مثل ذلك في مصنع من المصانع ، فالمهندس يخفف النار ، ليخفف سير الآلة حتى لا تتحطم . ولما كان الجسم الانساني لا يحتوي على جهاز او توماتيكي ليحول دون هذا الاسراع الزائد ، فان القلب يبقى يخفق خفقاناً زائداً حتى ينهك وينتهي الجسم بالموت

نخطر على بال الدكتور هرمان بلومجارت من أطباء مدينة بوسطن ، انه اذا ازال في حالة كهذه ، جانباً من الغدة الدرقية ، يكون فعله كفعل المهندس الذي يخفف النار في موقد الآلة . وكذلك فقد يستطيع ان ينجي الحياة المهددة بالموت . واعين بمبلغ من المال ، مخصص لهذه المباحث او ما يقابلها في جامعة هارفرد ، فاجرى المباحث الاولى ، ووصل منها الى نتيجة عجيبة ، وهي انه يمكن ازالة الغدة الدرقية كاملة ، وكذلك تستطيع أفعال الجسم الذي ازيلت غدته الدرقية ان تسير سيراً بطيئاً ، وبعد المباحث الفسيولوجية الاولى التي قام بها بمساعدة طائفة من العلماء والاطباء ، أخذ هو والدكتور برلين ، مريضين مصابين بضعف القلب الناشئ عن الاحتقان ، وأزالا من كل منهما تسعة أعشار غدته الدرقية ، فتحسنت الحالتان تحسناً سريعاً ، ثم وقعت نكسة . فقرر الدكتور



الذي يسبب الحمى التيفودية ، جسم مستطيل ذو سوط . والكائن الذي يسبب النزلة الصدرية اصغر كثيراً من باشلس التيفود وهو كروي الشكل ولا سوط له . هذان الصنفان من البكتيريا يحدث اولهما الحمى التيفودية والثاني النزلة الصدرية لانهما يعيشان في اعضاء مختلفة من الجسم الانساني ، ويتكاثران بأسلوبين مختلفين ، ويفتكان بالنسج الحية بطريقتين متباينتين

ولا يقتصر الاختلاف على الجراثيم التي تسبب الامراض المنوعة ، وانما يتعداها الى الاجسام . حتى اذا اخذت منطقة يكثر فيها مرض الجواتر ( تضخم الغدة الدرقية ) وجدت بعض الناس غير مصابين به ، مع ان احوال المعيشة واحدة للمصابين والاصحاء على السواء . فالاجسام تختلف في تفاعلها مع المكروبات وغيرها من عوامل المرض . وهذه حقيقة كثيراً مانغضي عنها ، فنظن ان النساء والرجال والاطفال سواء امام مرض من الامراض او مكروب من المكروبات

### العين الكهربائية تخرق الضباب

اخترعت آلة بحرية جديدة تسمى « عين الضباب » ترى الاشياء الخفية في الظلماء والضباب والدخان الطبيعي والصناعي . وقد جربت في الباخرة (ملكة برمودا) فنجحت نجاحاً حمل كبار موظفي البحرية واصحاب بواخر نقل الركاب على الاعتقاد بأن تلك الآلة العجيبة ستحدث انقلاباً كبيراً في زماني الحرب والسلام

التي كانت تحجب بها الخضراوات كان الهواء الساخن يطلق على النبات الى ان يحف . فطول تعرض النبات للهواء الساخن يميت او يحل الفيتامين الذي فيه . اما النبات في الطريقة الجديدة ، فيدار دورانياً رحوياً من سرعة معينة في الوسط الساخن فيطرده ما فيه من الرطوبة ، بفعل القوة الصادرة من المركز ، وبفعل الحرارة ، وكذلك لا يطول تعرضه للحرارة فيجف وفيتامينه سليم على ما يقولون

### ما هو المرض

المرض هو نشاط الجسم الى دفع عادية فيسيولوجية تعرقل افعاله الحيوية بوسائل كيميائية او ميكانيكية

هذا التعريف يجعل المرض قائماً على ركنين هاتبيعة الجسم ، ونوع العادية التي تصيبه . وكثيراً ما يهمل النظر الى طبيعة المرض الثنائية التي اشرنا اليها ، حتى لتسمع احياناً اطباء يؤكدون لك ان التدرن ، سببه باشلس الدرن . ولكن قليلاً من انعام النظر يثبت ان باشلس الدرن ليس الا ركناً واحداً من الركنين اللذين تقوم عليها الاصابة بالتدرن . ففي استطاعة البكتريولوجي ان يستغيب هذا الباشلس في مزدرع خاص من دون ان يصاب هذا المزدرع بأعراض التدرن . وقد يحقن الجواد به من دون ان يصاب بأعراض التدرن التي نشهدها في الانسان المسلول

ونحن نعلم ان امراضاً مختلفة تنتاب الانسان نزل الى جراثيم مختلفة كالبكتيريا . فالباشلس



ايضاً فتقوم بالانذار المرغوب . وذلك عدا كون عين الضباب تدل على الحرائق التي تحدث في الغابات قبل استفحالها . وقد ازمع المستر مكينل تقديم مخترعه هذا الى بحرية الولايات المتحدة لكي تستخدمه في بوارجها بمثابة آلة دفاعية

\*\*\*

ويجدر بنا في هذا المقام ان نصف مخترعاً آخر اساسه الضوء والبصاصة الكهربائية ايضاً - ونعني به التليوكس Telelux : -

اخترع العلماء منذ بضع سنين جهازاً سموه ( تليثوكس ) اي الخادم الصناعي ثم اخترعوا له حديثاً اخاً صغيراً سموه تليوكس مداره على النور بدلاً من الصوت الذي يتوقف عليه عمل التليثوكس لان لو كس Lux لفظ لاتيني معناه ضوء ووكس Vox معناه صوت

وقد جرب التليوكس في معرض كهربائي بمدينة بتسبرج بولاية بنسلفانيا من اعمال الولايات المتحدة فقام بانارة النور الكهربائي واطفائه وأدى اعمالاً أخرى من هذا القبيل وذلك حين يتلقى الاوامر من سيده كاشارات نورية فينفذها توجاً . ويؤلف دماغ هذا ( الخادم المصنوع ) من بصاصتين كهربائيتين تحسان بذبذبات الضوء فتحولانها نبضات كهربائية مطابقة لها . فان صوت شعاة نور الى تينك البصاصتين حركتا الآلات المقوية للدورة الكهربائية . وهذه تدير ( في دورها ) جهازاً ميكانيكياً ويتيسر للمخدوم ان يقف بعيداً عن ذلك ( الخادم المصنوع ) مسافة ٧٥ قدماً فيلقنه اوامره بضغط زر كهربائي متصل ببطارية تنير نوراً دورياً بحسب العمل المطلوب

ومن فوائدھا منع تصادم البواخر بعضها ببعض في الظلمة والضباب . فتراھا في احلك الليالي تنبه ربان الباخرة المركبة فيها على دنو البواخر الاخرى منه وهي على بعد ١٥ ميلاً . وتدلل على جبال الجليد عند اقترابها من الباخرة فتدراً عنها غوائلها . واذا اشرف امرؤ على الغرق استطاع الباحثون الاستدلال عليه بها وهو يكافح الامواج فيوجهون نحوه المصباح الكشاف فيتسنى للمنقذين الوصول اليه وانقاذه

\*\*\*

وفي زمن الحرب اذا تسالت احدى سفن الاعداء في الظلام متخفية باطفاء مصابيحها استطاعت ( عين الضباب ) رؤيتها في الحال ويتاح ايضاً لتلك العين الحساسة ، الشعور بدنو الطيارات والمناطيد المعادية فتتذر بقدمها . وسر قدرة ( عين الضباب ) على رؤية الاشياء في الظلمة ، يعرف من قاعدة علمية مشهورة . وهي ان كل شيء أشد حرارة من جسم يحاوره في يئته يشع اشعة من الحرارة تسير في خطوط مستقيمة تماثل الاشعة التي تصدر من الدفايات الكهربائية المنزلية فتخترق الضباب والدخان والظلمة بسهولة

ومع كون تلك الاشعة لا تراها العيون البشرية بيد ان رؤيتها ممكنة بالبصاصة الكهربائية . وهي الاداة التي جعلها المخترع القومندور پول مكينيل Commander Paul H. Mac Neil ( قوام عين الضباب ) . تخترق الاشعة الافق فاذا صادفها شيء حار اُثر فيها تأثيراً يحدث إشارة تنعوى فتتذر السامع بالخطر الذي يهدده . وان كان ذلك الشيء اقل برودة من يئته كجبال الجليد مثلاً اُثر فيها



## الغازات السامة والفاسياء

لما استخدمت الغازات السامة في الحرب الكونية كسلاح للهجوم والدفاع ، خالها جلّ الملائمة من المخترعات الجديدة ، كلّ الجدة . وما دروا أن الطبيعة ، أول المعلمين ، قد سبقت أن تجهز شتى مخوقاتها بأمثال ذلك السلاح الذاتي وكان ذلك التجهيز سابقاً بألوف الاحقاب ، لاتخاذ الانسان آلاته منظران

فان كنت تبغي استيقان ذلك ، فعليك ان تؤمّ الغياض منقباً عن بغيتك ، بين صخورها فلا تلبث ان يطرق سمعك دويّ كدوي الغدارة عند انطلاقها ، وتغشاك غمامة صغيرة من دخان ضارب للزرقة ، ينبعان من كنف خنفساء ضئيلة . وذلك الدوي هو ضراط الخنفساء وتلك الغمامة هي فساؤها تطلقها من مفساها دفاعاً عن نفسها ، عند ما يثير حفيظتها أي خصم من خصومها . لكي تثبط عزيمته وقتياً ربّما تلوذ بالفرار . وذاتك الفساء والضراطها سبب تسميتها بالفاسياء او الخنفساء الضراطة . وثمة ضرب من النمل مجهز بجهاز لاطلاق الحامض التليك ! فان هاجمت نملة منه ، رفعت رأسها ، وزقت من فيها وابلاً من الحامض التليك الى بعد خمس بوصات عوض جندي

## رجال المال والأعمال

اخذ علينا الاستاذ العقاد . والدكتور زكي مبارك اننا لم ننشر في كتاب رجال المال والاعمال سير رجال شرقيين تصحّ أعمالهم وسيرهم ان نكون قدوة كسير الغربيين فرأينا ان نتدارك ذلك في لحن نشره قريباً مع المقتطف

## عودة الروح — تابع صفحة ٣٢٦

وكذلك رضي « مصطفى » عن نفسه ولم يحدّثه ما يمنعه من ملاحقة « سنية » والامل رضاها ، فخرت له معها هذه الحوادث المثيرة للضحك والاشفاق معاً ، خصوصاً في حروجة مركزه في عيادة طبيب الاسنان وفي نومه في الشرفة . وتستطيع ان تتصور من هذا بعض نواحي هذه الشخصية التي غيرت مجرى حياتها نظرة عارضة وقعت محض صدفة واتفاق ، ولكنها ليست نظرة الرجل العايب بل الرجل الذي يتربّ المرأة التي تسطع في سماء حياته نجماً يهديه ويملا فراغ قلبه وتكون له نعم الزوج وشريك العمر

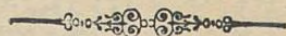
وأنت تحب « مصطفى » وقد تضحك منه ، ولكنك لا تسخر من هذه الشخصية الحلوة ، تعجب بها وتتمنى لها حظاً وافراً من السعادة والهناء ، وتلمح في تضاعيفها هذا الخلق النبيل الذي يعمر قلب الرجل النبيل في سمعته وراء الزوجة الصالحة والمرأة الكريمة النبيلة . وتمر على « مصطفى » لحظات من يأس ، ولحظات من امل ، ويتأرجح قلبه بين هاتين العاطفتين طويلًا وبين الجزع والرجاء ، والاقبال والاحجام ، ولكنه لا يصمت صمت « محسن » ولا يقتحم اقتحام « سليم » فينتصر من حيث اخفقا ، ويتم التعارف بينه وبين « سنية » ويحد كل منهما في الآخر الشطر الناقص والجزء المتمم ، ولا يكون على « مصطفى » بعد ان خطا خطوته الاولى مع « سنية » وقد كللت بالنجاح ، الا ان يقفوها بالخطوة الثانية مع اهلهما فيطلب يدها وتكمل الثانية كالاولى بالنجاح وبالتوفيق والحظ الهنيء [ في الجزء التالي تمتة البحث ]



## الجزء الثالث من المجلد الرابع والثمانين

صفحة

من السدم النارية الى الانسان العاقل	٢٦١
مستشفى المؤاساة . لفؤاد صرّوف	٢٦٩
رجوع الهارب ( قصيدة ) لعلي محمود طه	٢٧٥
نظرات اجتماعية . لاميير بقطر	٢٧٧
الاسلوب العلمي . للاميير مصطفى الشهابي	٢٨٥
الزهرة السوداء ( قصيدة ) لخليل شبيب	٢٩٥
النيل في العهد الفرعوني : للدكتور حسن كمال	٢٩٦
مزاق التفكير . لحنا خباز	٣٠١
ما هو الموت . لنصيف المنقبادي المحامي	٣٠٤
في مرقص ( قصيدة ) لعبد الحميد السنوسي	٣١٠
دير في العراق . لمحمد عبد الجواد الاصمعي	٣١١
آياته في خلقه . الصفات الجنسية	٣١٩
الطاقة . لمحمد عاطف البرقوقي	٣٢٢
عودة الروح : نقد وتحليل لمحمد علي حماد	٣٢٦
سير الزمان : اصلح أشكال الحكم للدكتور عبد الرحمن شهبندر : آلات التدمير	٣٣٧
الجديدة : القوى الروحية في اليابان : مشكلة النمسا	
حديقة المقتطف : رعاية القمر : لبوداير — الينبوع : لتشارلز مورغن — اذا	٣٥٣
تحطم المصباح : لشلي	
مملكة المرأة : الملكة الممرضة : لكريم ثابت — فوائد منزلية — اولادنا وتبعه	٣٥٩
الزواج : لكاتب اميري — حديث عن الرحمة : لامين نخله — خزن ضوء الشمس —	
عقل الطفل : لاحمد عطية الله — فعل اللبن في النمو — مميزات الطفل النفسية —	
زينة البيت	



باب المراة والمناظرة * في بحور الشعر . لبشر فارس	٣٧٥
مكتبة المقتطف * كتاب هارون الرشيد . روبنصن كروزو . المجموعة الطبية الكبرى . الينبوع .	٣٧٦
تقويم التعليم . مبادئ الزراعة العامة . تاريخ الوزارات العراقية . حكيم البيت . البريد في مصر	
باب الاخبار العلمية * ارنست هيكل . التطور والحرارة . القلب والغدة الدرقية . تجفيف النبات	٣٨٥
وحفظ الفيتامين . ما هو المرض . العين الكهربائية تخرق الضباب . الغازات السامة	